رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية

ومحاورات جارودى بالقاهرة



الناشر
دار الغد العربى

دار الغد العربى

سلسلة « كتاب الغد » ٥

رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

ومحاورات جارودى بالقاهرة

ترجمه عن الفرنسية

قسم الترجمة - بدار الغد العربى

الناشر

دار الغد العربى

٣ ش - دانش - العباسية

ت: ٢٨٥٦١٢٢ - ٢٩٧٣٨٧ - القاهرة

« كتاب الغـد »

سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية التى تهم القارئ العربى . . . .

المشرف العام على السلسلة

حمدان جعفر

الغلاف بريشة الفنان : عبد الكريم غيته

العنوان الأصلى للكتاب

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT
Roger Garaudy
1996

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشـــــر

لقد كان روجيه جارودى ، المفكـر الفرنسى المعروف ، والذى اعتنق الإسـلام منـذ عشـر سنوات وتسمى بـاسم رجـاء جـارودى ، من كبـار رجـالات الحزب الشيـوعى الفرنسى حيـث كان عضـوا بارزا فى لجنتـه المركـزية . ونـاضل منذ شبـابه فـى صفوف هذا الحـزب ، وله فـى هذا المضمار كتاباتـه ومؤلفاته العديدة . ولكنـه ما إن اهتدى إلى الإسلام ، وذاق حـلاوتـه عن علم ومعـرفـة ، حتى انبـرى يكتب عن هـذا الـدين الحنيف ويدافع عنـه وعن تعاليمه فى ديار الغرب ، ولـه فى ذلك أيضا صولاته وجولاته التى مازالت تثير الجدل والنقاش .

ومن عجائب المفـارقات ، بل ومن محـاسن الصُّدف أن يقيض الله للعـرب وللفلسطينيين خاصـة من يـدافع عن حقـوقهم التاريخيـة ومن ينادى بـالعدالـة ورفع الظلم عنهم . فقـد كرّس رجـاء جارودى حيـاته ووقفها على جليل الأعمـال التى تدعو إلى رفعـة أمة الإسلام و إيقـاظها من سباتهـا وتذكيرها بعظمـة حضارتها وبما لهـا من أفضال على العلم والعلماء . ولقد جلب هذا عليه الكثيـر من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسـالى الشرق ، غيـر أنه لم يحد عن طـريق الحق رغم مزاعـم المتهـافتين والحاقدين الذين ادعـوا زورا وبهتانا أنه قـد ارتد عن

الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط. ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، فى الوقت الذى شنت عليه الصهيونية وأتباعها فى الغرب حربا شعواء.

إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير «مجازر لبنان: معنى العدوان الإسرائيلى»، والذى وقَّعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية «ليكرا» وهى جمعية صهيونية دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية. ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة. ونجحت فى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى. وهى نفس التهمة التى يقف جارودى فى الوقت الحالى بسببها أمام المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذى صدر عام ١٩٩٠، والذى يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية.

ففى أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

ولقـد حـاول جـارودى فى كتابـه هـذا أن يستكشف حقائق التـاريخ الحديـث فى ضوء شهادات عتـاة الصهيونيين وأن يكشف النقـاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليهـا السياسة الإسرائيلية فقـام بتفنيد ما استنـدت إليه الصهيـونيـة العالميـة لإنشـاء دولة إسـرائيل ، بـالحجج والوثائق التاريخيـة ، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهـود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمى الذى يؤكـد على أن ضحايا الحـرب العالمية الثانيـة من اليهود قد بلغـوا ستة ملايين يهودى. وقد نجحت هذه الحملة فى تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده ، فى حين إنه لا يملك حتى حق الـدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصـه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثـر الشخصيات الدينية شعبية فى فـرنسا ، وعرف بمواقفـه الشجاعـة فى الدفاع عن الفقـراء والمساكين والأجـانب. فهو مؤسس جمعية «عمواس» الخيرية التى تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمى المسكن وتخفيف وطأة الفقـر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب الجليل فى الأيام الأخيـرة لحملة ضارية من الصحافة لـوقوفه فى صف واحـد مع صديقـه جارودى ، وأسقطت عنـه جمعية «ليكـرا» المذكورة عضويتها الفخرية ، فاضطر وهو فى سن الرابعة والثمانين إلى الابتعـاد عن بـاريس ، والهجـرة إلـى الجبل لتفـادى المـلاحقـات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف.

●●●

ويحتوى الكتـاب على ثلاثـة أجزاء، فضلا عن مقـدمة وخـاتمة. فالجزء الأول يتناول «الأسـاطير اللاهوتية» ويعالج الجـزء الثانى موضوع «أساطيـر القرن العشـرين» أما الجـزء الثالث فقـد كرسه للحـديث عن «الاستخدام السيـاسى للأسطورة». وفـى تمهيده لهذا الكتـاب يتساءل جـارودى: لماذا هـذا الكتـاب؟ ويرد على ذلك بأنـه جـزء من ثلاثيـة خصصها لمحـاربة التطـرف لدى جميع الأديـان السماويـة. واستطرد يقول: إن هذا الجزء ينصب على الأساطيـر التى قامت عليها السياسية الإسرائيلية، . وقد حـاولت شجب ما فيها من هرطقة سيـاسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، وإن دولة إسرائيل ما هى إلا «رد الرب علـى الهولوكـوست». ثم قـال: «إن هذا الكتاب يحـافظ بأمانة على النقد السياسى والأيديولوجى دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مسـاهمة منا فى معركـة التوصل إلى سلام حقيقى يقـوم على احترام الحقيقة التـاريخية والقـانون الـدولى، وتفعيل التاريخ النقـدى للعالم المعاصر».

والواقع أن الذى أثـار حفيظة اليهود والصهاينة فى الغرب هـو كلامه عن معسكـر أوشفيتـز. وعن التشكيك فـى رقـم ٦ مـلايين يهـودى من ضحايا الحـرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقـدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمـة معاداة السامية أو اليهـود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة .

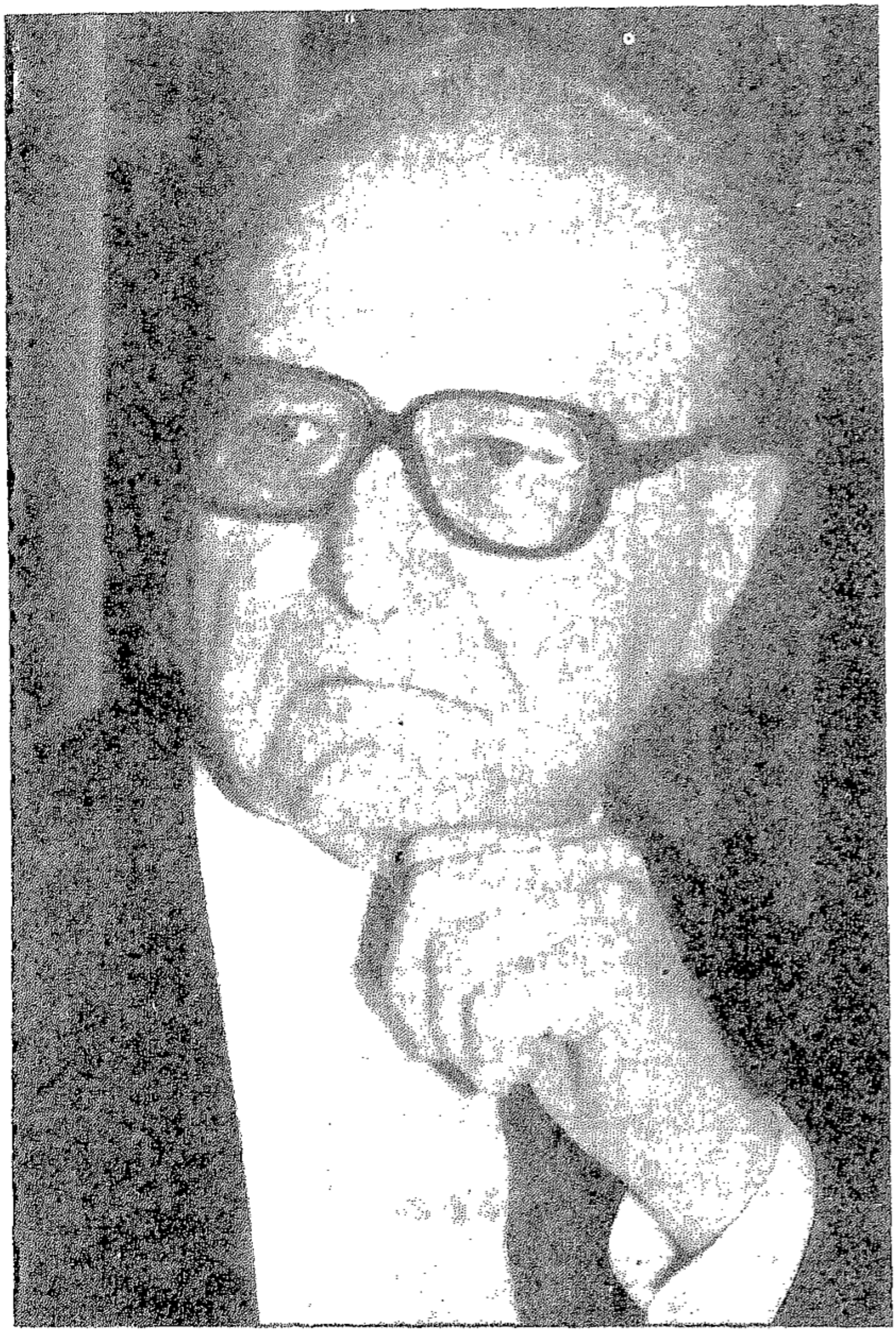
●●●

وإن لمن دواعى سرور [دار الغـــد العربى] أن تقدم هذا الكتاب القيم لقراء العربية . . ولشباب هذه الأمـة بوجه خاص هذه الأمة التى لن تموت أبدًا . . مهما حاولت الصهيونيـة العالمية ، والاستعمار الأمريكى الجديد . . وإذا كـانت هذه الحقيقة التى نعيشها تشهد تـرديًا لا مثيل له فى تاريخ هذه الأمـة إلا أن الغد المشرق لهذه الأمة سـوف ينبلج صباحه عما قـريب ، وسوف تنهض الأمـة من غفوتهـا حاملة رسـالتها السـامية وحضارتها العـريقة لتعيد صياغـة الحياة على أرض العرب من المحيط إلى الخليج بـالحريـة والحق والعدل والكرامـــة وإن غدًا لناظـــره قريب . . .

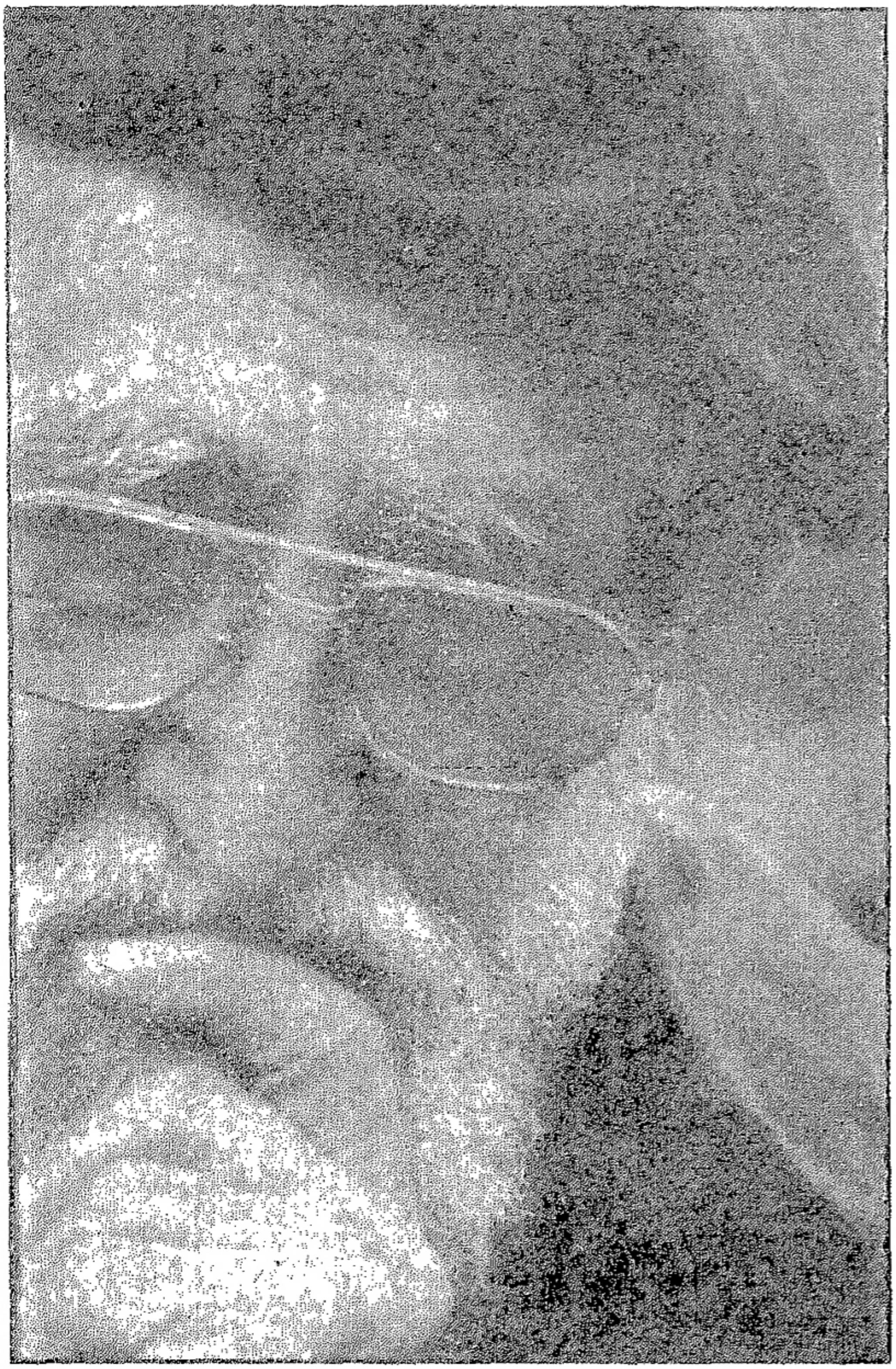
حمدان جعفر

مدير عام دار الغد العربى

●●●



رجاء جارودى



الأب بيير

الأساطير المؤسِّسة

للسياسة الإسرائيليــة

تنويه من المؤلف

« إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة، لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية، التى يدافع عنها الآن قانون «جيسو فايوش الغاشم» الذي صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث وجعلت قانونا قمعيا يعوض ضعف الحجج».

●●●

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهـرطقة . وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسـة بإضفاء القـداسة عليها عـن طريق قراءة حـرفية وانتقـائية للكلام المنزَّل .

وهذا هو المرض القاتل فى نهايـة هذا القرن الذي سبق لى أن عرَّفته فى كتابى عن التطرف الدينى .

ولقد حاربت هذه النـزعة لدى المسلمين فى كتابي «**عظمة الإسلام وانحطاطه**» مجازفـا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقـولْ «إن التطرف الدينى هو مرض الإسلام» .

وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين فى كتابى «**نحو حرب بين الأديان**» ، مجازفا بأن أغضب كـل من لا يحبون أن أقول «**إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى**» .

وأنـا أحـارب هـذه النـزعـة الآن لـدى اليهـود فى كتـابى «**الأساطير المـؤسِّسة للسيـاسـة الإسرائيليـة**» مجـازفـا بأن أثير ضـدى عـواصف الصهاينة ــ الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكِّرهم الحـاخام هيرش بأن «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيـانا قوميا . . وتلك هى الهرطقة» .

[المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة فى ٣ أكتوبر ١٩٧٨] .

فمـا هى الصهيونيـة التى أدينها وأفضحهـا علنا فى كتـابى «وليست

الديانة اليهودية»؟ .

وهى غالبا ما عرَّفت نفسها بنفسها :

١ ـ إنها عقيـدة سياسية «منذ ١٨٩٦ ، ارتبطت الصهيونية بـالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل » .

[المصدر : موسوعة الصهيونية وإسرائيل . دار هـرتزل، نيـويورك ١٩٧١ ، المجلد الثانى، الصفحة ١٢٦٢] .

٢ـ إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر . ولم ينتسب مؤسس الصهيونية، هرتزل، إلى الدين «إننى لا أنقاد لأى دافع دينى» .

[المصدر : تيودور هرتزل: اليوميات ، طبعة فيكتور جولانسز ، ١٩٥٨] .

«فأنا لا غنوصى (أى أنه من اللاادرية)» [ص ٥٤٠] .

فهو لا تهمـه الأرض المقدسـة بوجـه خاص : فهو يقبـل أيضا ومن أجل أهدافـه القوميـة ، بأوغندا أو طـرابلس أو قبرص أو الأرجنتين ، أو موزمبيق ، أو الكونغو. [المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق] .

ولكن أمام معـارضة أصدقـائه من أصحاب الديـانة اليهوديـة ، فإنه يعى أهمية الأسطـورة القوية ، كمـا يقول [اليـوميات ، المجلـد الأول، ص ٥٦٠]التى «تؤلف صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر» .

[المصدر : هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٤٥٠].

إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله. وهو ماصرح به عندما حوّل أسطورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية: «إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ينسى.. وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لمّ الشمل القوية لشعبنا».

[المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٢٠٩].

« إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية.. إنها مسألة قومية ».

٣ ـ إنها عقيدة استعمارية. وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه: فكخطوة أولى، تحقيق « شركة ذات امتيازات »، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية.

ولذا فإنه توجه نحو من اتضحت مهارته في هذا النوع من العمليات: المتاجر الاستعمارى سيسيل رودس، الذى استطاع انطلاقا من شركته ذات الامتيازات تحويلها إلى دولة جنوب إفريقيا، التى كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه: روديسيا.

فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩٠٢ ما يلى:

« أرجوك أن ترسل إلىّ نصا يقول إنك قد فحصت برنامجى وأنك توافق عليه. وقد تتساءل لماذا أكتب إليك يا سيد رودس. ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى ».

[المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص ١٠٥].

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هى الخصائص الثلاث التى تشرح السياسة الصهيونية التى انتصرت في مؤتمر بازل فى أغسطس ١٨٩٧، والتى انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلى، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: «لقد أسست الدولة اليهودية» [المصدر : اليوميات، ص ٢٢٤].

وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التى سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسى (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية).

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأى حال من الأحوال امتداداً للديانة والروحانية اليهودية.

ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التى كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكونية للأنبياء.

«إننا نشجب تماما أى مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية. وإن أى محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطىء لرسالة إسرائيل . .

التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها . . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومى ، ولكن روحى . . فهو يشير إلى عصر مسيحى حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض» .

[المصدر : المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين ، الكتاب السنوى السابع ، ١٨٩٧ ، صفحة ١٢] .

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من « رابطة حاخامات ألمانيا » ، وحتى « الاتحاد الإسرائيلى العالمى لفرنسا » ، «والاتحاد الإسرائيلى » في النمسا ، وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية ، المستوحاة من التمسك بروحانية الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى ، المخاصمات والمشاحنات التى دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة ، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى ، من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية ، على عكس ما كان متوقعا . ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

ولم يتوقف مارتن بوبر ، أحد الأصوات اليهودية الكبرى في هذا

القرن، طوال حياته، وحتى وفاته في إسرائيل، عن شجب انحلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية.

فقد أعلن مارتن بوبر في نيويورك: « إن الشعور الذى اعترانى منذ ستين عاما، عندما انضممت إلى الحركة الصهيونية، هو في جوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم.. لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين ـ وأن تبدأ بآمال عريضة لكى لا تتردى بعد ذلك حتى تصبح نزعة أنانية مقدسة، تجاسرت ــ كموسولينى ــ أن تعلن نفسها أنانية مقدسة، كما لو كانت الأنانية الجماعية تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية.

وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟.

لقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سببا في انقسام الصهاينة: فالبعض أراد أن يحظى بامتيازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخرون، ولا سيما الشباب، أرادوا فقط السماح لهم بالعمل في فلسطين مع جيرانهم، من أجل فلسطين ومن أجل المستقبل..

ولكن كل شيء لم يكن يسير على ما يرام في علاقاتنا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية.

وهـذه المـرحلة العضـويـة من الاستيطـان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر.

وهتلـر الـذى دفع بجمـوع اليهـود إلى الـذهـاب إلى فلسطين، لا بالنُّخَب التى جاءت لمواصلة حيـاتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضـوى الانتقائى هجرة جماعية ومـا استلزمه ذلك من إيجاد قوة سيـاسية لسلامها وأمنها.. وقد فضلت غـالبية اليهود أن يتعلموا من هتلـر بدلا من أن يتعلموا منـا.. ولقد برهن هتلـر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القـوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقـاب.. وهذه هى الحالة التى كـان علينا أن نحاربها.... وفي « إيهـود » اقترحنا ألا يكتفى اليهـود والعرب بـالتعايش ولكن أن يتعـاونوا.. وذلك بمقـدوره إحداث تنميـة اقتصاديـة في الشرق الأوسط، وبفضلـه يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الإنسانية ».

[المصدر : النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨].

وفي بيانه الذى ألقاه أمام المؤتمر الصهيونى الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال: إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى...

ولكن إذا مـا كـانت روح إسـرائيـل ليست شيئًـا آخـر سـوى تخليق هويتنـا القومية، وتبريـر جميل لأنانيتنا الجماعيـة.. التى تحولت إلى صنم معبـود، بـرفضنـا قبـول إلـه آخـر سـوى رب السمـوات، نكـون

كـالشعوب الأخـرى ، ونشـرب معهـم من الكأس التى تسكـرهـم فالأمـة ليست هى القيمة العليا . . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة : إنهم أعضاء في جماعة مؤمنة .

« لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها ، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هى ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر. وهـذا الشكل الجديد للرغبـة في الأرض هى الخلفية التى آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب . .

وما هو دور فكرة «اختيـار إسرائيل» في كل ذلك؟ فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى المصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين ، ولكن من رسالـة ومن منطلق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكّرون بها : إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله ، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة » .

وختم حديثه بذكر تلك « الأزمة القـومية » للصهيونية السياسية التى تعتبر تحريفا لروحانية الديانة اليهودية ، قائلا :

« كنا نأمل في أن ننقـذ القومية اليهوديـة من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود . ولكننا قد أخفقنا » .

[المصدر: مـارتن بـوبـر، إسرائيل والعـالم. نيـويـورك، ١٩٤٨ ، الصفحة ٢٦٣].

وقد اعتبـر الأستاذ جـوداس ماجنيس ، رئيس الجـامعة العبـرية فى

القدس منـذ ١٩٢٦ ، أن « برنامج بلتيمور » لعـام ١٩٤٢ ، الذى قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين « سيؤدى إلى حرب ضد العرب » .

[المصـدر: نورمـان بتـويش، من أجل صهيـون. سيرة جـوداس مـاجنيس ، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا، ١٩٥٤ ، الصفحة ٣٥٢].

« وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هـذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منـذ ٢٠ سنة ، قال : إن الصـوت اليهودي الجـديد يتكلم عبر فوهات البنادق . . . وهذه هي التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنـون القوة المادية . وليحفظنـا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبيـر من الشتات القـوى . وكنا نعتقد زمن الصهيـونية الرومـانتيكية ، أن صهيون ينبغي افتداؤه بـالاستقامة والنـزاهة . ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئوليـة هذه الغلطة ، وهذا التحول . . حتى من لم يوافقوا على تصـرفات الإدارة الملحدة ، ولكنهم ظلوا قـاعدين مكتوفى الأيدى . إن تخدير المعنى الأخلاقى يؤدى إلى الضمور والهزال » .

[المصدر : المرجع السابق ، ص ١٣١].

والواقع أنـه منذ إعلان بلتيمور ، كان القـادة الصهاينة في أمـريكا قد حصلـوا على أكبـر حـامٍ لهم : الولايـات المتحـدة . وقضت المنظمـة الصهيونيـة العالمية على معـارضة اليهود الأمنـاء على التقاليد الـروحية لأنبياء إسرائيل ، وطالبت بإنشـاء ليس فحسب « وطن قومى يهودى فى

فلسطين » ، طبقـا لنصوص (بل ولـروح) إعـلان بلفور، ولكن بإنشـاء دولة يهودية في فلسطين .

وقد سبق لألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجـه :

« في رأيى فإنه من المعقول أكثر التـوصل إلى اتفاق مع العرب على أسـاس حياة مشتركـة ومسـالمة ، بـدلا من إنشـاء دولـة يهوديـة . وإن إحساسى الذاتى بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لهـا حدودهـا ، وجيشهـا ومشـروعها للسلطـة الـدنيـوية مهمـا كـانت متواضعـة . وأخشى من الخسـائر الداخليـة التى قد تتكبـدها اليهـودية بسبب قيـام قـوميـة ضيقـة في صفـوفنا . . وإننـا لـم نعـد يهـود عصـر المكابى . ومجرد أن نصبـح أمة بالمعنى السياسى للكلمـة يساوى أننا سنحيد عن روحانية طائفتنا التى ندين بها لأنبيائنا» .

[المصـدر: الحاخـام موشى مينـوهن : انحلال اليهـودية في زمننـا ، ١٩٦٩ ، صفحة ٣٢٤] .

ولـم تنقصنا رسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولى .

وسنكتفى هنا بذكر مثـالين اثنين على ذلك ، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكم التفتيش الفكـرية للوبى الإسرائيلى ـ الصهيـونى : ففى عام ١٩٦٠ ، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس ، أعلن المجلس الأمريكى لليهودية :

« وجه المجلس الأمريكى لليهودية أمس الإثنين خطابا إلى السيد كريستين هرتر ينكر فيه حق الحكومة الإسرائيلية في التحدث باسم اليهود كافة .

ويعلن المجلس أن اليهودية هى مسألة دين وليست مسألة جنسية» .

[المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦٠].

وفي ٨ يونيه ١٩٨٢ ، كتب الأستاذ بنيامين كوهين، من جامعة تل أبيب، وأثناء غزو الإسرائيليين الدامى للبنان، إلى الأستاذ بيرفيدال ناكيه[١]:

« أكتب إليك وأنا استمع إلى راديو الترانزيستور الذى أعلن « أننا » في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان : وهو ضمان السلام لأهالى الجليل . وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز، تجعلنى كالمجنون . ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضارية ، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتها ، لا علاقة لها بأى شيء ، لا بحادث الاغتيال الذى وقع في لندن، ولا بأمن الجليل . . ولا اليهود، أبناء إبراهيم . . هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية ، هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقساوة؟ إن أكبر نجاح للصهيونية هو « عدول اليهود عن

---

(١) وهو أستاذ فرنسى يهودى مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون .

اليهودية» . . .

وأرجوكم أيها الأصدقاء أن تقوموا بكل ما فى وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهى العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والإسرائيليين كبشر » .

[المصدر : خطاب منشور في جريدة « لموند » بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص ٩] .

« الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الإسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية ـ نازية » .

[المصدر: ايعدوت احرونوت ، ٢ يوليه ١٩٨٢ ، ص ـ ٦] .

وهذا هو رهان المعركة بين الديانة اليهودية التوراتية وبين القومية الصهيونية ، التى تقوم مثلها في ذلك مثل أى قومية ، على رفض الآخر وتقديس الذات .

فكل قومية في حاجة إلى تقديس ادعاءاتها : فبعد تفكك المسيحية ، ادعت كل دولة ـ أمة أنها قد تلقت الإرث المقدس وأنها حازت على الولاية من الرب :

ففرنسا هى « البنت البكر للكنيسة » ، والتى بها تتم أفعال الرب . وألمانيا هى « فوق الجميع » لأن الله معها . وأعلنت إيفا بيرون « أن رسالة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العالم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، تكهن

بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصرى، وأخذ يهذى بعبارات مثل «لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة» . . . وتشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات.

وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة.

فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع: جوهر النبوءة (دار كلمان ليفي، ١٩٨٢، ص ـــ ٣١١)، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكونى للتحالف: تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول: إن إسرائيل هى وبامتياز «علامة التاريخ الإلهى في العالم. فإسرائيل هى محور العالم، وهى العصب والمركز والقلب». [ص ـ ٣١١].

ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، «بالأسطورة الآرية» التى أسست أيديولوجيتها الجرمانوية والهتلرية. وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر.

والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه: فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفوهم القَسْرى مع الإله، لا يترك أى مجال للآخر.

ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن

الحـوار يقتضى ، وهو مـا لا نملُّ من تـرديـده ، أن يعى كل إنسان منـذ البداية ما ينقصـه من إيمان ، وأنه في حاجة إلى الآخـر لسد هذا الفراغ لديـه ، وهو شرط كل تفـوق على الذات ، وكل رغبة في الكمـال (وهو روح كل إيمان حيٍّ) .

فإن مختاراتنـا هذه عن الجـريمة الصهيونيـة يسير في امتـداد جهود هؤلاء اليهود الذين حـاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومنـاصرتها ضد الصهيونية القبلية .

وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقـد سياسة العدوان والإفك والدم التى تمـارسها الصهيـونيـة الإسرائيليـة بل التأييـد غيـر المشروط لهـذه السياسة التي أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمـة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفى ، وما يضعها فوق كل قانون دولى بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم .

●●●

أولا

الأساطير اللاهوتيـــــة

١ ـ أسطورة «الوعد» :

أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟

«لنسلك أعطِ هذه الأرض
من نهر مصر إلى النهر
الكبير نهر الفرات »

سفر التكوين : ١٥ـ١٨

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

«إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى التوراتية».

الجنرال موشى ديان، جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

● فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ، قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم يصلون فى الحرم الإبراهيمى .

● وفى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ ، اغتال إيجال عامير إسحاق رابين «بأمر من الرب» ومن جماعته المسلحة، التى تنادى بإعدام كل من يفرط فى الأرض الموعودة «ليهودا وسامرا» (الضفة الغربية حاليا) ويسلمها للعرب .

أ) فى التفسير المسيحى :

يوجز البيردى بورى، أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية فى جنيف، رسالته للدكتوراه «الوعد الإلهى والخرافة الشعائرية فى أدبيات يعقوب»، التى ناقش فيها كبار المؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البرخت آلت ومارتن نوت، على النحو التالى :

«إن الموضوع التوراتى لهبة البلاد يستمد أصوله من «الوعد الأول» أى الوعد الإلهى لإبراهيم بحسب المأثور فى سفر التكوين . فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا فى مرات عديدة وبأشكال مختلفة : إن الله وعد

الآباء وذرايتهم بملكيـة الأرض التى كانوا فى سبيلهم إلى التـوطن فيها . وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شىء على المناطق الواقعة حاليا فى الضفة الغربية .

ويعرض القصاصون التوراتيون علينـا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصـور المحددة تحـديدا دقيقـا . فهم يـدخلون كل الـذكريـات والتواريخ والخـرافات والحكـايات والأشعار التـى وصلتهم والتى نقلها لنـا التراث الشفهى ، ضمن إطـار محـدد للأنسـاب والتأريخ . ويتفق معظم المفسرين المحـدثين على أن هذه الصورة التاريخيـة ما هى إلا صورة وهمية إلى حد كبير .

وقد برهنت أعمال البرخت آلـت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متواليـة (الآباء ـ السخرة فى مصر ــ غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعى .

وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعـاصرة وفقا لمقولة البيردى بـورى ، كتبت السيـدة فـرنسـواز سميـت ، عميـدة كليـة الـلاهـوت البروتسانتية فى باريس تقول :

«إن البحـوث التـاريخيـة الأخيـرة تـوصلت إلـى تقليص العـروض الكـلاسيكيـة للخـروج من مصـر ، وغـزو كنعان ، .والـوحـدة القـوميـة الإسرائيلية قبل المنفى ، وصورتها على أنها قصة خرافية ، فعلم التاريخ التوراتى لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه» .

[المصدر: فرنسـواز سميت : البروتستانت والتوراة وإسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ـ

مجلة لالتر، نوفمبر ١٩٨٤، رقم ٣١٣، ص ٢٣] .

لقد قدمت السيدة فرانسواز سميت ــ فلورانتان توضيحا صارما لأسطورة الوعد في كتابها: «الأساطير غير الشرعية، دراسة حول الأرض الموعودة» لابور وفيديس، جنيف، ١٩٩٤ .

ويستطرد البيردى بورى قائلا: إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى على أنه إضفاء للشرعية ـ بعد الأحداث ـ على الغزو الإسرائيلى لفلسطين، أو على أنه امتداد للسيادة الإسرائيلية فى عهد داود. بعبارة أخرى، فقد أدخل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبى الداودى والسليمانى .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء :

١ ـ الوعد بالأرض، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البدو الرحل التى كانت تطمح إلى الاستقرار فى مكان ما بالمناطق الصالحة للسكنى. وبمقتضى هذا، فإن الوعد كان جزءا من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة .

٢ ـ أما وعد الرُّحَّل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسى أو العسكرى لمنطقة أو لبلد بأكمله، بل الاستقرار فى منطقة محدودة.

٣ ـ وفى الأصل، فإن الوعد المعطى للآباء والذى تحدث عنه سفر التكوين، لم يقطعه يهوى (الرب الذى دخل فلسطين مع مجموعة

الخروج)، ولكن الرب الكنعانى ايل فى إحدى أقانيمه المحلية. والرب المحلى، مالك الأرض، هو وحـده الذى يستطيع أن يمنح للرُّحَّل حق الاستقرار فى أراضيه.

٤ ـ وبعـد ذلك، وعندمـا تجمعت القبائل الرُّحَّـل التى استقرت مع قبـائل أخرى لتشكيل «شعب إسـرائيل»، فإن الـوعود القـديمة كـانت بمثـابة أهـداف قد تحققت، ومن ثم بـدأ الوعـد يتخذ أبعـادا سياسيـة وعسكرية «وقومية». وعلى ذلك فإن الـوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحـو، فُهِمَ علـى أنـه التجسيـد المسبق للغــزو النهـائى لفلسطين، وكإعلان و إضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء :

«بينما يرجع وعد «الرُّحَّل»، الذى يهدف إلى توطين عشيرة موحدة، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بـالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد «القـومية». ونظرا لأن القبائل الإسرائيليـة لـم تتوحد إلا بعد استيطـانها فى فلسطين، فإن إعـادة تفسير وعـد الرحل ليصبح وعدا بـالسيادة السيـاسية، قـد تمت بعد الأحـداث. وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥ ـ ١٨/ ٢١، الذى يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطـق الواقعة «بين نهـر مصر (= وادى العـريش) والنهر الكبير نهر الفرات» وعلى جميع الشعـوب التى تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود.

وقد أتـاحت البحوث التفسيريـة التأكيد على أن توسيع وعـد الرحل

وجعله وعدا «قوميا» قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا .

ولقد عاش القصاص يهويا، الذى يعتبر أول قصاص كبير (أو بالأحرى: محرر الأحاديث) للعهد القديم، فى عصر سليمان. ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهدا على هذه العقود التى تحقق فيها وعد الآباء، الذى أعيد تفسيره فى ضوء داود، بما يفوق كل الآمال .

ونص سفر التكوين ١٢ ـ ٣ ب، هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال يهويا. ووفقا لهذا النص، فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع «قبائل الأرض». وقبائل الأرض هم أولا كل الشعوب التى كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية .

وهكذا فإننا لسنا فى حِل من التأكيد على أنه فى فترة ما من فترات التاريخ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان. ومن الناحية القانونية، فإننا لا نملك أى صك للهبة موقّعة من «الله»، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر فى أن المنظر الوارد فى سفر التكوين ١٢ ـ ١/ ٨؛ ١٣ ـ ١٤/ ١٨، على سبيل المثال، لا يعكس حادثة تاريخية .

فهل من الممكن، والحال هذه، تفعيل وعد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه فى خدمة المطالبات السياسية، فهو قطعا ليس كذلك .

فليس هناك أى سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه .

ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل» .

[المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التى ألقيت فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى كريت ـ بيرارد (سويسرا) والتى نشرت فى مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية، العدد ٣، ١٩٧٦ (مونبلييه)] .

ب) فى التفسير اليهودى للنبوءات :

(محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» فى الولايات المتحدة) .

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب .

إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أو على الأقل قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل .

وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات .

أ ـ أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأرض التى كان لها فى حد ذاتها صفة القداسة .

فالمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب، فى وقت كانت فيه هذه العلاقة

قد قطعت من جانب الملك وشعبه.

وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح، «استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب، وقادة بيت إسرائيل، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمّامات من الدم والقدس بجرائمكم. . . . إن صهيون سَيُحرث كالحقل، وستصبح القدس (أورشاليم) كومة من الأطلال، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام».

المصدر: ميشا الثالث، ١ ـ ١٢ .

لن يكون صهيون مقدسا، إلا إذا سادت شريعة الله. وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التى استنت للقدس هى شريعة مقدسة.

ب ـ وليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص لها: فإن الشعب الذى أعيد توطينه فى صهيون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التى للعلاقة مع الرب.

ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل .

. . . وتوضح تقاليد النبوءات بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تُربتها، ولا على شعبها، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض.

والأمر الـوحيد المقـدس والجديـر بصهيون، هو التحـالف الإلهى الذى تعبِّر عنه مواقف شعبه.

ومع ذلك فإن دولـة إسـرائيل الحـاليـة ليس لهـا أى حق فى ادعـاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحى. . .

فهذه هى محض غوغائية التربة والدم .

فلا الشعـب بمقدس ولا الأرض بمقدسـة وهما ليسـاً جديـرين بأى امتيازات روحية فى العالم.

إن النزعـة الشمولية الصهيونيـة التى تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودى، حتى ولـو بالعنف والقـوة، تجعل من هذا الشعب شعبـا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها».

[المصدر: الحاخام ألمر برجر: «النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل»، محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن (هولندا) فى ٢٠ مارس ١٩٦٨] .

●●●

ولـم يكن إيجال عـامير، قاتـل إسحاق رابين، بعربيـد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية .

فهو ابن حـاخام، وطـالب ممتاز فى الجامعـة الإكليركيـة بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المـدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة فى الجولان، ويحتفظ فى مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الـذى اغتـال منـذ عـدة شهـور فى الخليل، ٢٧ من العـرب وهم

يصلون). وهـو لاشك قد شـاهد فى التليفـزيون الرسمـى الإسرائيلى، العرض الكبير الخاص بجماعة «إيال» (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مـؤسس الصهيونية السياسيـة، تيودور هرتزل بأن «يعـدموا أى شخص يفرط للعرب فى أرض الميعاد» فى يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا).

ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التـى اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميثـولوجية المتطـرفين الصهيونيين؛ وكمـا يقول عاميـر: «إن الأمر بـالقتل جاءه من الرب»، كمـا كان يحـدث فى عهد يشوع.

[المصدر: لموند، ٨ نوفمبر ١٩٩٥].

وهو لـم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلى: فإن المستوطنين فى قريـة إربا وحبرون (الجليل) كـانوا يرقصـون فرحا يـوم اغتيال رابين وهم يـرددون مـزاميـر داود حـول الضـريح المقـام على شـرف بـاروخ جولـدشتين.

[المصدر: جريدة ألبيس (أسبانيا) الصادرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٥، ص ـ ٤].

لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته، من أنـه «قد حارب طوال حياتـه من أجل السلام» (وهو الذى قـاد جيوش الاحتـلال فى بداية الانتفـاضة وأعطى الأوامـر بكسر عظام أيـدى أطفال الأراضى الفلسطينيـة الذين لم يكن يملكـون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم).

ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين فى فيتنام والفرنسيين فى الجزائر) أن أى حل عسكرى نهائى غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله.

ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلال ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على «المستوطنات» المسروقة من الأهالى الأصليين والتى أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد.

ولقد كان هذا كثيرا بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه «بالخائن».

لقد كان رابين ضحية أسطورة «أرض الميعاد» كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهى ذريعة ألفية للاستعمار الدموى.

ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة.

●●●

٢ - أسطورة
«الشعب المختار»

«كذا قال الرب:

إسرائيل ابنى البكــر »

سفر الخروج : ٤-٢٢

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● «يمكن توزيع سكـان العالم بين إسرائيل وبين الشعـوب الأخرى برمتها . فإن إسـرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أسـاسى من أركان العقيدة» .

[المصـدر: الحاخـام كـوهين فى كتـابه «التلمـود» ، بـاريس ، ١٩٨٦ ، ص - ١٤٠].

هذه الأسطورة هـى الإيمان دون أى أساس تاريخى ، بأن الـوحدانية قد ولدت مع العهد القـديم . وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتهـا وهما : يهوى وإيلوهى ، لم يكن أى منهما وحدانيًا : فقد كانا يناديـان فقط بتفوق الإله العبرانى على سائر الآلهة ، وغيـرتـه عليهم [سفـر الخـروج ٢٠ ، ٢ ــ ٥] . ورب مـوآب . كِمُش ، معتـرف به (سفـر القضـاة ١١ ، ٢٤ وسفر الملـوك الثـانى ، ٢٧) مثل «الآلهة الأخرى» (سفر صموئيل الأول ، ٢٧ ، ١٩) .

وقد أضـافت ترجمة مجمع الكنـائس حاشية جاء فيهـا : «منذ زمن بعيد ، كـان الاعتقاد سـائدا فى إسرائيل بوجـود آلهة أجـانب وقوتهم» . (ص ٦٨٠ ، حاشية د) .

ولـم يحــدث إلا بعـد المنفى ، ولا سيمــا لـدى الأنبيــاء أن ثبتت الوحدانية ، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج : «لا يكن لك آلهـة أخرى تجـاهى» (الخـروج ، ٢٠ ، ٣) إلى صيغ لا تكتفى بفـرض الطـاعة ليهـوى وليس لـلآلهـة الآخرين وهـو مـا تكـرر فى سفر تثنيـة

الاشتراع : «لا تتبع آلهة أُخر» (السادس ، ١٤)، وتنادى : «أنا الرب ، لا إلـه غيرى» (اشعيـا ، ٤٥ ، ٢٢) . وهذا التأكيـد الذى لا يقبل الجـدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق . م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩).

فالوحـدانية فى واقع الأمر هى ثمرة عملية نضج طـويلة للحضارات الكبرى فى الشرق الأوسط ، حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر.

واعتبارا من القـرن الثالث عشر قبل الميـلاد ، أمر الفرعون أخنـاتون بإزالة كلمة «رب» من جميع المعابد . وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقـريبا فى المـزمـار ١٠٤ . وكانت الـديـانة البـابليـة فى طريقهـا إلى الـوحـدانية ؛ وفى حـديثـه عن الـرب مـردوك ، عدد المـؤرخ أولبـريت خطوات هذا التحول : «عندمـا تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هى إلا تجليـات لإله واحـد . . لم يبق سـوى خطوة واحـدة لبلوغ نـوع من الوحدانية» .

[المصدر: أولبريت، الأديان فى الشرق الأوسط، ص ـ ١٥٩].

و «الأنشودة البابلية للخلق» (التى يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه «الخطوات الأخيرة» : «إذا كان البشر قد انقسمـوا حول الآلهة ، فبـالنسبة لنا ، وبكل الأسمـاء التى سميناهم بها ، فإنه هو ربنا» .

وقـد بلغ هذا الـدين تلك الـدرجة من السـريـرة حيث تظهر صـورة العادل المتألم :

«أود أن أمدح رب الحكمـة . . فإن الإله قـد تخلى عنى . . . وكنت أظن إننى فى خدمة الرب، ولكن المقـادير الإلهية، فى قاع اليم، فمن يفهمها؟ .

فمن هو إذن، إن لم يكن مردوك، هو رب البعث» .

[المصدر: المرجع السابق، ص ٣٢٩ـ٣٤١] .

أما صورة أيوب، فهـى سابقة عليها بعدة قرون. وثمـة صورة مماثلة للعـادل المتألـم، وهى صورة دانيـال (وهى غير مـا جاء فى التـوراة العبريـة) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء، التى سميت «التوراة الكنعانيـة» وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بدانيال بجانب أيوب (حزقيال ١٤، ١٤ و ٢٠) .

وتلك مقـولات لا يتفـوق معنـاهـا الـروحى أبـدا على الفحص التاريخى .

وتلك على سبيل المثـال الحال مع المقـولـة الرائعـة بشأن مقاومـة الاضطهاد والتحرر التى وردت فى سفـر الخروج. ولا يهم فى شىء أَلاَّ يعتبر «عبـور بحر البـوص بمثابة حـدث تاريخى»، كمـا يقـول مـرشياً إيلياد (١) ، وهو لا يخص كافة العبـرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين .

(١) مرشيا إيلياد، «تاريخ العقائد والأفكار الدينية»، الجزء الأول ص ١٩٠ .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفى هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . .

بعد تفعيله وإدماجه فى التاريخ المقدس ليهوا (٢) .

وابتداء من عام ٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر الزراعية الكنعانية لعيد الفصح فى الربيع : عيد بعث أدونيس. ومن ثم أصبح الخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية .

وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب : فالتيهان الطويل فى القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك «مكسيكا» التى لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذى فتح أمامها الطريق. وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأسفار المُسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية .

وقد ارتبط استقرار القبائل الرُّحَّل أو المتجولة وخاصة فى الشرق الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة.

وثمة أساطير حفَّت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذى عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود فى كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا.

وقد ولدت أناشيد مدح الرب فى جميع الأديان، مثل المزامير

---

(٢) المرجع السابق، ص ـ ١٩١ .

المؤلفة على شرف باشاماما، آلهة أو إله قبائل ألانكا.

فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا، فلماذا لا نطرح حول هذه النصوص المقدسة، التى تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة «العهد القديم»، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة؟

وحينئذ فقط، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح، ستبلغ كونيتها الحقيقية: فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية. إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود.

إننا لم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التى نشأت فى أحضانها الوحدانية، وتشكل داخلها العبرانيون.

وفى حضارات أخرى، غير غربية، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير.

وعلى سبيل المثال فى الهند فى نصوص الفيدا.

«إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم» (أنشودة ريج ـ فيدا الثالثة، ٧).

وفريهاسباتى: «إنه أبانا الذى يحتوى كل الآلهة» (الثالث، ١٨).

«تعددت أسماؤه ولكنه واحد».

فهذه النصوص المقدسة يتراوح تاريخها بين القرن السادس عشر والسادس قبل ميلاد المسيح، وكان الأب مونشانان يسميها «أشعار الطقوس المطلقة».

[المصدر: جول مونشانان: الحياة الروحية في الهند، وخفايا الدين المسيحي. الصفحات ٢٣١ ـ ٢٣٩].

●●●

٣ ـ أسطورة «يشـــوع » :

التطهير العرقى

«واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلـون، ونـزلـوا عليها وحاربوهـا وافتتحوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينـه كما فعل بلاكيش.. وصعـد يشـوع وجميع إسـرائيل معـه من عجلون إلى حبرون .»

سفر يشوع : ١٠ـ٣٤

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● فى ٩ أبـريل ١٩٤٨ ، أباد منـاحم بيجين ومعـه وجدات أرجـون العسكرية، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفـــال .

●●●

لن نـنـاقش الفصل الخـاص بالحفـريـات الأسطوريـة فى التـاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه، لتبرير سياسة مًا، إلا في حالة خاصة هي الاستخدام الذرائعى للـروايات التوراتية، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حـاسما في مصيـر الغرب بتغطيـة العمليات الـدمويـة منذ اضطهـاد اليهـود من قبل الـرومـــان، ثم المسيحيين، وحتى الحـروب الصليبيـة، ومحـاكم التفتيش، والتحـالفـات المقـدسـة، والهيمنـة الاستعمـاريـة التى مـارستها « الشعـوب المختـارة »، وحتى عمليـات الابتزاز التى مارستها دولة إسرائيل، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لـوبياتها، وخاصة بأقـوى لوبى لها وهى الولايـات المتحدة، التى تلعب دورا هـاما في سياسـة أمريكـا للسيطرة العالمية والعدوان العسكرى .

هذا هـو السبب في اختيارنـا لهذا الماضى الأسطـورى الذي يـوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا .

●●●

وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التى أمر بها « رب الجيوش»، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة «بتحالف جديد » مع دانيال.

وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبىء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان والأنبياء، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية: « أن يصبح إنسانا لكى يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها ».

ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس « بالقانون » اليهودى ، ولكن « بعطيـة » مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الإنسان. «فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله» (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثاني ، ٨).

إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذى يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه : أى الأسفار الخمسة الأولى : التكوين، والخروج ، والأحبار ، والعدد ، وتثنية الاشتراع ، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهى سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوءى الفخيم الذي يذكِّر دائما بأن « علاقة الله بالإنسان » مشروطة وعالمية

وأنها مرتبطـة بطاعة القانون الـرباني وأنها مفتوحـة أمام جميع الشعوب وكل الناس .

●●●

وأسفار التوراة والكتب التـاريخية هي بمثابة تجميع خطـي للتقاليد الشفهية التي جاء بها مؤرخو القـرن التاسع ، ونُسَّاخ سليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها ، والتي مع ذلك لا سبيل هنـاك للتحقـق منهـا بـالمقـارنـة أو المقـابلـة التاريخيـة ، أو بالأطلال الأثـرية ، ولا بوثـائق أخرى سوى الكتـابات التـوراتية . . ويتعلق الحـدث الأول الـذي أكدتـه التـواريخ الخارجيـة بسليمان ، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية .

وإلى هنـا ، لا تـوجد أيـة مصـادر خارجيـة أخـرى غيـر الكتابـات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها .

وعلى سبيل المثال ، فإن الآثـار الأركيولـوجية في حور بـالعراق ، لا تمدنا بأية معلومات إضافيـة عن إبراهيم ، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام .

وفي سفر « العدد » (الفصل الحادي والثلاثون ، ٧ ـ ١٨) .

يقال لنا إن مـآثر « بني إسرائيل » ، الذين هزموا المـدينين ، « فقاتلوا مدين كمـا أمر الـرب موسى وقتلوا كل ذكـر » « وسبى بنو إسـرائيل نساء مـدين » « وجميع مدنهم مع مسـاكنهم وقصورهم أحـرقوهـا بالنـار » .

وعنـدما عـادوا إلى موسى، « فسخط مـوسى على وكلاء الجيش وقـال لهم مـوسى هل استبقيتم الإنـاث كلهـن، فـالآن اقتلـوا كل ذكـر من الأطفال وكل امـرأة عرفت مضاجعـة رجل اقتلوها، وأما إنـاث الأطفال اللواتى لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم ». (١٤ ـ ١٨).

وتابـع يشـوع، خليفة مـوسى، وفى أثناء غـزوه لكنعان، وبطـريقة منهجية، سياسة « التطهير العرقى » التى أمر بها رب الجيوش.

« وفتح يشـوع في ذلك اليـوم مَقيـدة وضـربهـا بحـد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التى فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا. ثم اجتـاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيـدة إلى لبنة وحـاربهـا. فأسلمهـا الـرب أيضـا إلى أيـدي إسـرائيل وهى وملكهـا فضربـوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيهـا فلم يُبقوا فيها باقيـا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا. وجـاز يشوع وجميع إسرائيل معه. من لبنة إلى لاكيش ونـزل عليها وحـاربها. فأسلـم الـرب لاكيش إلى أيدى إسرائيل فـافتتحوهـا في اليوم الثـانى وضربـوها بحد السيـف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة. حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربـه يشوع هـو وقومـه حتى لم يبق منهم بـاقيا. واجتاز يشـوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلـون ونزلوا عليها وحاربوهـا وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش. وصعد يشـوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها ».

[المصدر: سفر يشوع، الفصل العاشر، ٣٤ـ٣٨].

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد « عمليات الإبادة المقدسة » التي وقعت في الضفة الغربية.

وينبغي لنا، أمام هذه الأحاديث، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما:

١ ـ الأول بشأن صحتها التاريخية.

٢ ـ والثاني بشأن عواقب التقليد الحرفي للإشادة. بسياسة الإبادة.

أ) وعن النقطة الأولى:

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥٠ ثم هُجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سُكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابر العصر البرونزى الوسيط التى استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شيء هناك ينتسب إلى القرن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث.

وكانت النتيجة التى توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من

المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

[المصدر: ك . م : كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧ ، الصفحات ٢٥٦ـ٢٦٥].

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن توجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآى، فقد كانت هناك أطلال تعود إلى ١٢٠٠ سنة .

[المصدر: الأب دى فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١ ، المجلد ١ ص . ٥٦٥].

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أي يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة المتمثلة في موسى ويشوع؟

وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان): «فسمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم » (العدد، الحادى والعشرون، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: «فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولوا على بلاده . » (العدد، الحادى والعشرون، ٣٥) .

ويكرر سفر تثنية الاشتراع : « و إذا أدخلك الرب ، إلهك الأرض التى أنت صائر إليهـا لترثها واستأصل أمما كثيـرة . . فأبسلهم إبسالا (الفصل السـابع ، ١ ــ ٢) . « فـلا يقـف أحـد بين يـــديك حتى تفنيهـم » (الفصل السابع ، ٢٤) .

ومن شارون إلى الحاخام مائير كـاهانا ، فذاك تجسيد للطريقة التى سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين .

ألـم تكن مسيـرة يشوع هى مسيرة منـاحم بيجين عندمـا قضى في ٩ أبريـل ١٩٤٨ على سكان ديـر ياسين ، من الـرجال والنســاء والأطفال البـالغ عددهـم ٢٥٤ نسمـة ، وقتلهم هو وجنـود « الأرجون » لكى يفـر العرب العُزَّل مذعورين .

[المصدر: مناحم بيجين : العصيان ، تاريخ الأرجون ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٠] .

فهو لم يطلب إلى اليهود ، « ليس فحسب طرد العرب ، بل الاستيلاء على كل فلسطين » .

وألـم يكن طريـق يشوع هى التى أشار إليهـا موشى ديـان : « فإذا كنا نمتلك التـوراة ، وإذا كنـا نعتبـر أنفسنـا شعب التـوراة ، فينبغى لنـا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة »؟

[المصدر: جيروزاليم بوست ، ١٠ أغسطس ١٩٧٧] .

وألم يكن طريق يشـوع هو الطريـق الذى وضعه يـورام بن بورات في الجريدة الإســرايئلية الكبرى أديعوت أحرونوت ، الصــادرة في ١٤ يولية

١٩٧٢ : « لا صهيونيـة واستعمار للـدولة اليهـودية بـدون إبعاد العـرب وطردهـم والاستيلاء على أراضيهم »؟

أما وسـائل وأساليب هـذا الاستيلاء علـى الأرض فقد حددهـا رابين عندما كان جنرالا على الأراضى المحتلة : تكسير عظام ملقى الأحجار من أطفال الانتفاضة.

فماذا كـان رد فعل المدارس التلمودية في إسـرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المبـاشرين عن مذبحة صبرا وشـاتيـلا وهو الجنرال رفـائيل إيتـان الـذى نـادى «بزيـادة تحصين المستـوطنـات اليهـوديـة القائمة».

وبنفس هـذا اليقين، انـدفع الـدكتـور بـاروخ جـولـدشتين، وهـو مستوطن من أصل أمريكى، من قرية أربـه « الضفة الغربية » وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجـرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمى. كان باروخ عضوا في جماعـة متطرفة تأسست برعاية أريل شـارون (أى تحت حمايـة من قاد مـذابح صبرا وشـاتيلا والـذى كـوفـىء على جـريمتـه بتعيينه وزيـرا لـلإسكـان، ومكلفـا بتنميـة المستـوطنـات في الأراضى المحتلـة)، وهـو الآن مـوضع تبجيل المتطرفين الـذي يأتون إلى قبره بـالزهور وينحنون لتقبيلـه، فهو الأمين على تقاليـد يشوع الراميـة إلى القضاء على كل شعـوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم.

●●●

وهذا التطهيـر العرقى الـذي يمارس بشكل منتظم في دولـة إسرائيل

اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقـى الذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دم دنس من دماء الآخرين.

وفي السطـور التى تلى أمـر الرب بـالقضـاء على السكان، يـوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفر الخروج، الفصل الرابع والثلاثون، ١٦).

وفى سفر تثنية الاشتـراع فإن الشعب المختار (الفصل السابع، ٦) لا ينبغى لـه الاختلاط بـالآخرين: «ولا تصـاهـرهم ابنتك لا تعطها لابنـه وابنته لا تأخذها لابنك» (الفصل السابع، ٣).

وهذا الفصل العنصـرى هو الطريقـة الوحيدة لمنع تـدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذى يربطه به.

وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه «التلمود»[(١)] كتب الحاخـام كوهين يقول: يمكن توزيع جميع سكـان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء. فإسرائيل هو الشعب المختار».

ولم يتقاعس عـزرا ونحميا، عقب عـودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى:

فقد بكى عزرا لأن الجنس الطاهـر (كذا!) قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

---

(١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦، صفحة ١٠٤.

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى: « جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين » (عزرا ، الفصل العاشر، ٤٤). ويقول نحميا عن اليهود: « فطهرتهم من كل غريب » (نحميا، الفصل الثالث عشر، ٣٠).

ومرض الخوف من الاختلاط ورفض الآخر قد تجاوز البعد الجنسى . فرفض دم الآخر بالزواج المختلط ، يعنى رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته .

وهكذا فإن «يهوا» ينفجر غضبا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة، والتى لا يوجد غيرها طبعا: فسوفونيا يقاتل ويحارب كل أشكال الملابس الأجنبية؛ ونحميا ضد اللغات الأجنبية: « وفى تلك الأيا م أيضا رأيت يهودا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالا ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم ». (نحميا، ١٣ ، ٢٣ ـ ٢٥).

ومن يخالف ذلك، يتعرض للمحاكمة القاسية ، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب: « وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاق قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حِث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حِث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فمالى والحياة » . (التكوين، ٢٧ /

٤٦). وصاح والدا شمشون فزعـا من زواج ابنهما من فلسطينية: « فقال له أبوه وأمه، أليس في بنات إخـوتك وفى شعبى كله امرأة حتى تذهب وتأخـذ امرأة من الفلسطينيين الغُلْفِ: فقـال شمشون لأبيـه: بل إياهـا تأخذ لى لأنها حَسُنَت في عينى». (القضاة، ١٤ / ٣).

ويـؤكد حـاييم كـوهين، الذى كـان قاضيـا بـالمحكمة العليـا في إسـرائيل أنــه: « من سخـريــة الأقـدار المـريــرة أن تستخـدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التى روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل «دولة إسرائيل» (انظـر جوزيف بادى، القوانيـن الأساسية لدولـة إسرائيل، نيويورك، ١٩٦٠، ص ـ ١٥٦).

والواقع أن المسـألة قد طـرحت أثناء محـاكمة مجرمـى الحرب في نورمبرج، لدى استجواب منظّر الإجناس جيولوس ستريشر:

« في ١٩٣٥ وأثنـاء انعقـاد مـؤتمر الحـزب في نـورمبـرج صـدرت القوانين العنصرية». فهل تم استدعاؤك أثنـاء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة، وهل اشتـركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين ؟.

ورد المتهم ستريشر: أجل! اعتقد أننى شاركت في ذلك وإننى منذ سنـوات وأنـــا أكتب أنـــه ينبغى في المستقبل منع أى اختــلاط للـدم الألمـانى بالـدم اليهودى. وقـد كتبت عـدة مقالات في هـذا المعنى، وكررت دائمـا أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهـودى، الشعب اليهودى،

كنمـوذج . وأعـدت في مقـالاتى أن اليهـــود يجب اعتبـارهم كنمـوذج للأجنـاس الأخرى، لأنهم يتبعون قـانونا عنصريـا ، هو قانـون موسى ، الـذى يقـول: إذا ذهبـت إلى بلـد أجنبي ، ينبغي لك ألا تأخـــذ امـرأة أجنبية». وهـذا أيها السادة، على درجة كبيـرة من الأهمية للحكم على قـوانين نـورمبـرج ، فهى قوانيـن يهوديـة أخـذت كنمـوذج . فهى أصل الحفاظ على الهويـة اليهودية التى عاشت طـوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت » .

[المصـدر: محـاكمة كبار مجـرمى الحرب أمام المحكمـة العسكرية الـدولية (نورمبرج : ١٤ نوفير ١٩٤٥ ـ أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمى باللغة الفرنسية)] .

وهكـذا وضع المشرِّعـون والمستشارون فـي وزارة الداخليـة النازيـة قوانين نـورمبرج ، وحق أهالى الـرايخ ، وحماية الدم الألمـانى والشرف الألمانى » .

ويعلق هؤلاء المستشارون والمشرِّعون على هذا قائلين :

« بناء على رغبـة هتلر (الفـوهرر) ، فإن قـوانين نورمبـرج لا تستلزم حقيقـة اتخاذ تـدابير من شأنهـا أن تزيـد من حدة التعصب العنصـرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقـات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى . وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج» .

وهـذه العنصـريـة ، نمـوذج كل أنــواع العنصـرية الأخـرى، هى أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المختلفة.

وأدت الحرفيـة إلى التمادى في المتجـازر التى قام بهـا يشوع : « إن مستوطنـى أمريكا مـن البروتستنت الأطهار، كـانوا في سبيـل الاستيلاء على أراضى الهنـود ومطـاردتهم، وهـم يتـذرعـون بيشـوع » وعمليـات الإبادة المقدسة » للعمالقة والفلسطينيين.

[المصدر: توماس نلسون، « أطهار ماسا شوشتش اليهودية، المجلد السادس عشر، رقم ٢ ، ١٩٦٧].

وتندرج أيديولوجية « الترنسفير » أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبـادة الكنعانيـة والخوف من الاختـلاط، وتسانـدها الآن غـالبية حاخامات يهودا وسامرا. وتقوم هـذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصـوص المقدسـة، مثل الخطـاب المـوجه من الأحبـار إلى اليهـود يستحلفونهم فيها عدم ممـارسة اختلاط الأجناس (الأحبـار ١٩ / ١٩). وأمرهم بـالتمييز بين الدم الطاهر والـدم الدنس (الأحبــار ٢٠ / ٢٥)، والذى ميّز بين إسرائيل والشعوب الأخرى (الأحبار ٢٠ / ٢٤)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (الخروج ٨ / ١٩).

وهكذا لم يتـورع الحاخـام الأكبر سيتروك أن يقـول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أى جهة من الجهات :

« أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات ».

وهكذا فإن إسرائيل « المقدسة » (الأحبار ٢٠ / ٢٦) ينبغى ألا تتدنس

(عزرا : ٩ / ١١) بالاتصال بشعوب أخرى التى مقتها الرب (الأحبار ، ٢٠ / ٢٣).

وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا.

« ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك ، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى . . ». (تثنية الاشتراع ٧ / ٣ ـ ٤). « ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية)، الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم بل يصيرون لكم وهقا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم ». (سفر يشوع، ٢٣ / ١٢ ـ ١٣).

وفى ١٠ نوفبر ١٩٧٥ ، وفى جلسة عامة، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى.

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى ، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ ، على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥ . مع أن الحقائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ ، فقد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره وإبادته الجماعية البطيئة، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل.

●●●

ثانيـــا

أساطير القرن العشرين

١ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١، اقترف إسحاق شامير « جريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقيـة، فقد دعـا إلى التحالف مع هتلـر ومع ألمانيـا النازيـة ضد بريطانيا».

(بن زوهار، بن جوريون، النبي المسلح، باريس، ١٩٦٦، ص ـ ٩٩).

عنـدمـا بـدأت الحـرب ضـد هتلـر، وقفت الغـالبيـة العظمى من المنظمات اليهـودية إلى جـانب الحلفاء، بل إن غـالبية زعمـاء اليهود ومنهم حاييم وايزمان، اتخذوا موقفـا مساندا للحلفاء، إلا أن الجماعة الصهيونيـة رغم أقليتها في ألمانيـا آنذاك اتخذت سيـاسة مخالفـة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١، وتـــواطأت بل وتعـــاونت مع هتلـــر. وكـــانت السلطات النازية ، وفي الوقت الذى كـانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الـوظائف العـامة على سبيل المثـال في مـرحلة أولى، تتحـاور مع القادة الصهاينة الألمان ومنحتهم معـاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم.

ولا ينصب الاتهـام بـالتواطـؤ مع السلطـات النـازية على الغـالبيـة العظمى من اليهود، بل إن بعضهم لم ينتظر الحرب العـالمية لمكافحة الفاشيبة بالسلاح في إسبـانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفـوف الفرق الدولية. وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو «لجنة الكفاح اليهودية » وماتوا وهم يحاربون.

ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكان اهتمامهم الوحيد بإنشاء دولة يهودية قوية وحتى رؤيتهم العنصرية للعالم، قد جعل عداوتهم للإنجليز أشد من عداوتهم للنازية .

وبعد الحرب، أصبحوا ، كمناحم بيجين أو إسحاق شامير، قادة الصدارة في دولة إسرائيل .

●●●

وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ـ أى بعد يومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا، كتب حاييم ويزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى تشمبرلين، رئيس وزراء صاحب الجلالة ملك إنجلترا ، خطابا يبلغه فيه : إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى وسنحارب من أجل الديموقراطية » .

مشيرا إلى أن « المفوضين عن اليهود على استعداد فورى لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم » . وقد نشر هذا الخطاب في « الجويش كرونيكل » يوم ٨ سبتمر ١٩٣٩ ، وهو يعتبر بمثابة إعلان

حرب صريح من العالم اليهودى ضد ألمانيا. وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم «رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا» كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل يابانى عشية دخولهم الحرب مع اليابان.

●●●

ولقد برهن الزعماء الصهاينة، في عصر الفاشية الهتلرية والموسولنية، على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون.

فالهدف الأساسى للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل، بن جوريون، ودون مواربة، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨، أمام القادة الصهاينة من «العمال»: لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا، أو إنقاد نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى، لاخترت الحل الثاني. لأننا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا».

[المصدر: إيفون جلبنير، السياسية الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية، القدس، المجلد الثاني عشر، ص-١٩٩].

«لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم».

[المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، باريس ١٩٩٣ ، ص ـ ٥٣٩].

وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيونى في مؤتمر إيفيان ، في يوليه ١٩٣٨ ، حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئى ألمانيا النازية. فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن ، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعاتهم. وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسى لأى عنصرية ، بما في ذلك العنصرية الهتلرية ، وهو نقاء الدم. ولهذا السبب ، وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها ، فإن النازيين اعتبروا الصهاينة بمثابة السند لهم لأنهم يخدمون هذا المخطط .

وهناك قرائن تدل على هذا التواطؤ. فقد وجه الاتحاد الصهيونى الألمانى إلى حزب النازى مذكرة في ١ ـ يونيه ١٩٣٣ ، أعلن فيها ما يلى :

« بتأسيس دولة جديدة ، أعلنت مبدأ الجنس ، نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة . . . وإن اعترافنا بالجنسية اليهودية

يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألماني وحقائقه القومية والعنصرية. وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة.. فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم، يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية، لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذى يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟.. إننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية.

ولبلوغ هذه الأهداف العملية، تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود.. فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج، وعدائهم للتوجه الألماني الحالى. والدعاية للمقاطعة ــ والموجهة حاليا ضد ألمانيا ـ هى في جوهرها ليست صهيونية.

[المصدر: لوسى داووفيش، قارئ للهلوكوست، ص ١٥٥].

وأضافت المذكرة: وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا.

[المصدر لوسى داووفيش، الحرب ضد اليهود (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) لندن، ١٩٧٧، الصفحتان ٢٣١، ٢٣٢].

رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهـود من أجل همهم الـوحيـد بإنشـاء دولتهم في فلسطين . وكتب المنظِّر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج : ينبغى مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجمـوعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين .

[المصدر أ . روزنبرج : مسار اليهـود على مدار الزمن ، ميونخ ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٣] .

وكتب رينهـارت هيدريش فـي عام ١٩٣٥ : يجب علينـا أن نقسم اليهـود إلى فئتين : الصهـاينـة ومـؤيـدى الاستيعـاب في المجتمـات الأخـرى . فالصهـاينة ينـادون بمفهوم عنصـرى بحت ، وبالهجـرة إلى فلسطين ، يساعـدون على بناء دولتهم اليهـودية الخـاصة بهم . . ولهم تمنياتنا وإرادتنا الرسمية .

[المصدر : هوهن : جمعية رأس الميت ، ص ٣٣٣] .

وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية : ليس هناك من الأسباب ما يدعـو إلى عرقلـة النشاط الصهيـونى في ألمـانيـا بواسطـة أى إجراءات إداريـة ، لأن الصهيـونية لا تتعـارض مع بـرنـامج الاشتـراكية القـوميـة (النازية) التى هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .

[المصدر : الخطاب رقم ٢١ ـ ٨٣ zu ، المؤرخ في ٢٨ / ٨ / ١٩٣٥] .

وقـد طبقت هذه الأوامـر بحذافيـرهـا لتأكيد الإجـراءات السابقـة .

وبفضل هذا المركز التفضيلى للصهيونية في ألمانيا النازية، كتب الجيستابو البافارى إلى البوليس في ٢٨ يناير ١٩٣٥، هذا المنشور: «ينبغى ألا يعامل أعضاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهم الموجه نحو الهجرة إلى فلسطين، بنفس الصرامة الواجبة حيال أعضاء المنظمات اليهودية الألمانية».

[المصدر: كورت جروسمان، « الصهاينة وغير الصهاينة في ظل القانون النازى في الثلاثينات» المجلد الرابع، ، ص ٣١٠].

« لقد كان وجود المنظمة الصهيونية ليهود ألمانيا وجودا قانونيا وشرعيا حتى عام ١٩٣٨، أى بعد مضى خمس سنوات على اعتلاء هتلر الحكم. . واستمرت صحيفة الصهاينة الألمان تصدر حتى ١٩٣٨».

[المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص ١١٦].

وفي مقابل الاعتراف الرسمى بالزعماء الصهاينة بوصفهم الممثلين الوحيدين للطائفة اليهودية، فقد عرضوا القيام بكسر الحصار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما.

وابتداء من ١٩٣٣، بدأ التعاون الاقتصادى: وأنشئت شركتان هما: شركة هعفرا، في تل أبيب، وشركة يالترو، في برلين.

وكانت آلية العملية على النحو التالى: يودع أى يهودى يرغب في الهجرة، في بنك فاسرمان في برلين، أو فى بنك فاربورج في

هامبـورج ، مبلغا لا يقل عن ١٠٠ جنيه استرلينى وبهـذا المبلغ يشترى المصـدرون اليهود بضـائع ألمانيـة وجهتها فلسطين ، ومع دفع القيمـة المقابلـة بالجنيهـات الفلسطينية ، ولحسـاب شركة هعفـرا ، في البنك الإنجلو فلسطينى في تل أبيب . وعندمـا يصل المهاجر إلى فلسطين ، يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه في ألمانيا .

وقد شـارك عـدد كبير من رؤسـاء وزراء إسـرائيل فـي هـذه العمليـة ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى جينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلاقا من نيويورك ، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين .

[المصدر: « بن جوريون وشرتوك »، ص ٢٩٤].

ولقد كـانت العملية مربحة بـالنسبة للطرفين : فقـد نجح النازى في تحطيم الحصـار (ونجح الصهـاينـة في بيع بضـائع ألمـانيـة حتى في إنجلترا)، وحقق الصهاينة هجرة « انتقائية » كما أرادوها : فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتى كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيـونى في فلسطين) . وطبقا لأهـداف الصهيونيـة ، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهوديـة من ألمانيا النازية لكى تتاح لها توسيع عمليتهـا ، وإن حياة اليهود المعدمين أو غيـر القادرين على العمل أو على الحرب ، ما هى إلا عالة وعبء ثقيل .

ودامت سياسـة التعاون هذه حتى ١٩٤١ (أى طوال ٨ سنـوات بعد وصول هتلر إلى السلطة) . وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر.

فقد كشفت محـاكمة إيخمان، وفى جزء منهـا على الأقل، عن آليات هذا التـواطؤ « والمبادلات » بين اليهـود الصهاينة « المَهمين » بـالنسبة لإنشاء الدولـة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيـون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش . . . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر.

وأعلن رئيس هـذه اللجنة إسحـاق جرونبـوم في ١٨ ينايـر ١٩٤٣ : الصهيونية مُقدمة على كل شيء . .

« وسيقـولـون إننى معـاد للسامية، وإننى لا أريـد أن أنقـذ من في المنفى ، وإننى لا أملك قلب يهودى يـدشى حار (واليـدشى هى لغة يهـود أوروبا) » . [. . .] ولنـدعهم يقولـون ما يـريدون. ولن أطـالـب الوكـالة اليهوديـة بأن تخصص مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ولا مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه استرلينى لمساعدة اليهودية الأوروبية .

وأظن أن من يطـالـب بمثل هـذه الأمـور فإنمـا يقتـرف إثمـا ضـد الصهيونية » .

[المصدر: جرونبوم: أيام التدمير، ص ٦٨٠].

وقـد كـان ذلك هـو وجهـة نظر بـن جوريـون أيضـا : « إن مهمـة الصهيـوني لا تكمن في إنقاذ « بقيـة » إسرائيل المـوجودة في أوروبـا ، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودى » .

« واتفق زعماء الوكالة اليهودية على أن الأقلية التى يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيارها وفقا لاحتياجات المشروع الصهيونى في فلسطين» .

[المصدر: توم سجيف ، ص ١٢٥ ، ص ١٥٨].

وقد حضرحنا أرنت ، أحد كبار المدافعين عن القضية اليهودية بدراساته وكتبه ، هذه المناقشات . وخصها بكتاب هو: إيخمان في القدس . بيَّن فيه (الصفحات ١٤٣ ـ ١٤١) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التى كان ثلثاها يُدار بمعرفة الصهاينة .

ومن واقع كتاب إيسايا ترونك : « طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها» . (صفحة ١٤١) .

والأمر الذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفاضة جيتو وارسو، والذى طلب فيه رئيس دولة إسرائيل من ليش فاليزى ، رئيس بولندا ، ألا يعطى الكلمة لماريك إيدلمان ، الرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة .

فقد أجرى ماريك ايدلمان فعلا مقابلة آدوار التير من صحيفة هارتس الإسرائيلية فى ١٩٩٣ ، ذكّر فيها بمن كانوا هم المحرضين الحقيقيين و إبطال اللجنة اليهودية للكفاح في جيتو وارسو، وهم

الاشتراكيـون من البـوند والمعـادون للصهيونيـة ، والشيوعيـون ، وأتباع تروتسكى ، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم ، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير.

فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدوليـة في إسبانيا وفرنسا ، أثناء الاحتـلال ، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة .

ويحكى ناحوم جولدمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « ثم » «المجلس اليهودى العـالمى » ، في سيرته الـذاتية ، مقابلته المأسـاوية مع وزيـر الخارجيـة التشيكى إدوار بينيس فى ١٩٣٥ ، التى عاب فيهـا على الصهاينـة كسرهم لحصار هتلـر بواسطة شـركة هعفرا (واتفـاقات النقل) ورفض المنظمـة الصهيـونيـة العـالميـة تنظيم المقـاومـة ضـد النازية .

« لم أشعر في حياتى بالأسى والخـزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها ، إلا خـلال هاتين الساعتين . لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق » .

[المصدر : ناحوم جولدمان ، السيرة الذاتية ، الصفحات ١٥٧ ـ ١٥٨] .

«وقد استقبل مـوسولينى وايزمـان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومـرة أخرى في ١٧ سبتمبـر ١٩٢٦ ؛ وتحـدث نـاحـوم جـولـدمـان رئيس المنظمـة الصهيونية العالمية مع موسولينى في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧ ، الذى قال له :

سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية ». (جولدمان، السيرة الذاتية، ص ١٧٠).

وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام ١٩٤١ عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين، وهى مجموعة «ليحى» (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتى كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعد وفاته ترويكا من بينهم إسحق شامير، « جريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية وهى المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيا النازية، وضد بريطانيا ».

[المصدر: بارزوهار، بن جوريون، المرجع السابق، باريس ١٩٦٦، ص ـ ٩٩].

وكشف أليزرها ليفى، النقابى العمالى المعروف، وعضو كيبوتز يهوى، في أسبوعية « هوتام» التى تصدر في تل أبيب (بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقة موقعة من إسحق شامير، (الذى كان يسمى حينئذ يزرنيتسكى) وإبراهام شيترن، سلمت إلى سفارة ألمانيا في أنقرة، في الوقت الذى كانت الحرب في أوروبا على أشدها، والتى وطأت فيها قوات روميل أرض مصر، جاء فيها: « من ناحية المفهوم، فنحن نطابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟ ».

ويؤكد أحد الرؤساء التاريخيين لمجموعة « شتيرن »، وهو إسرائيل

الداد، في مقـال له نشر في جريـدة أديعوت أحرونوت اليـومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣، على صحـة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألـمانيا النازية.

وهاك بعض الفقـرات الرئيسية لهـذا النص: « المبادىء الأسـاسية للمنظمة العسكـرية الوطنيـة في فلسطين (أرجون زفـاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا ». يتبين من أقوال قادة دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهـوديـة عن أوروبـا. وأن هـذا هـو الشـرط الأولي لحـل المشكلـة اليهـودية، ولكن هـذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجمـوع في فلسطين، فى دولة يهودية، وداخل حدودها التاريخية.

وإن حل المشكلـة اليهـوديـة بصـورة نهـائيـة، وتحـريـر الشعب اليهـودى، هـو هدف النشـاط السيـاسى والسنوات الطويلـة لكفـاح «الحـركـة من أجل حـرية إسـرائيل» (ليحيى) ومنظمتهـا العسكـريـة الـوطنيـة في فلسطين. (أرجـون زفـاى ليـومى). وتعتـرف المنظمـة بالمـوقف المتسامح لحكـومة الريخ حيـال الأنشطة الصهيـونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جـانب ألمانيا شـريطة اعتراف حكومـة ألمانيا بـالتطلعات القومية لحركة ليحى.

وسيسيـر تعاون حـركـة تحـرير إسـرائيل، طبقـا للبيـانات الأخيـرة

لمستشـار الـريخ الألمـانى التـى شـدد فيهـا السيـد هتلـر على أن أى مفاوضات وأى تحالفات ينبغى أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها .

والمنظمـة ، بهيـاكلها ومفهـومهـا للعـالـم ، مـرتبطـة ارتباطـا وثيقـا بالحركات الشمولية الأوروبية» .

[المصدر: النص الأصلى باللغـة الألمانية المنشور في كتـاب دافيد يزرائيلى : المسألة الفلسطينيـة في السياسة الألمـانية ، من ١٨٨٩ إلى ١٩٤٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣١٥ـ٣١٧] .

وحسب مصـادر الصحـافـة الإسـرائيليـة ، التى نشـرت عشـرات المقالات في هـذا الموضوع ، فإن النـازى لم يأخذ اقتراحـات شتيرن ، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا .

وقد تـوقفت المفاوضـات بين الطرفين عنـدما ألقت قـوات الحلفاء القبض في يـونيه ١٩٤١ ، على منـدوب شتيـرن وشاميـر ، وهو نفتـالى لـوبنتشيك ، داخل مكتب الجهـاز السرى النـازى في دمشق . وهنـاك أعضـاء في المجمـوعـة واصلـوا الاتصـالات حتى إلقـاء القبض على إسحاق شـامير من طـرف السلطات البـريطانيـة في ديسمبر ١٩٤١ ، بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازى » .

ومثل هذا الماضى لم يمنع إسحاق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليـوم أيضًا رئيسـا لمعارضة قـوية وأشدهـا تمسكا بـاحتلال الضفة الغربية . وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة ، رغم مخاصماتهم

الـداخلية ، يـواصلـون نفس الهدف العنصـرى : طـرد السكان العـرب الأصليين بـالترويع والاغتصـاب أو النفى ، لكى يظلـوا وحدهم الغـزاة والأسياد .

لقـد صـرح بن جـوريـون : « إن بيجيـن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى . فهـو عنصرى على استعداد لإبادة كل العـرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل » .

[المصدر أ. هـابر، مناجم بيجيـن ، الرجل والأسطورة ، نيـويورك، ١٩٧٩ ، ص ٣٨٥] .

ونفس هذا الابن جوريون لـم يؤمن أبدا بإمكانية التعايش مع العرب . وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل ، كلما كان ذلك أفضل .

وفي عـام ١٩٤٠ ، ولإثارة السخط على الإنجليـز الذين كـانوا قـد قرروا إنقـاذ اليهود المهـددين من هتلر، وذلك بـاستضافتهم في جـزيرة موريشيس ، فإن الباخرة التى كانت تنقلهم وهى ناقلة البضائع الفرنسية « باتريا » ، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ ، لـم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها ، مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز.

[المصدر: دكتور هرتـزل روزيلوم، ١٩٥٨ وجويش نيوزلتر نيـويورك ، نوفمبر ١٩٥٨] .

ويؤكـد يهودا بـاور حقيقة هذا التفجيـر بواسطة الهـاجانـاه ، وعدد الضحايا، في كتابه يهود للبيع .

[باريس ، ١٩٩٦، ص ـ ٨٤] .

ومثال آخر، العراق :

لقـد كـانت الطـائفــة اليهـوديـة (١١٠٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلـة في البـلاد تمـامـا . وأعلن حـاخـام العـراق الأكبـر خـدورى ساسون : « لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد » .

ثم بدأت التصـرفات الإرهابيـة الإسرائيليـة ، في ١٩٥٠ في بغداد . وأمام إحجـام اليهود العراقيين وتـرددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجـرة إلى إسرائيل، لـم تتـردد الأجهـزة السريـة الإسرائيليـة ومن أجل إقنـاعهم بأنهم فى خطـر، بإلقاء القنـابل عليهم . . وقتل الهجـوم على معبـد « شيم تـوف » ثلاثـة أشخـاص وجـرح العشرات . وهكـذا بـدأ الخروج الجماعى المسمى « عملية على بابا » .

[المصدر : جريدة أديعوت أحرونوت ، ٨ نوفبر ١٩٧٧] .

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو عالمى .

ولقد أثبتت الـوقائع أن تيـودور هرتـزل كان على حق . وكـان اليهود الصالحـون يرددون كل يوم : « العـام القادم في القـدس » . وجعلوا من القـدس رمزا لتحـالف الـرب مع الإنسان . ولكن « العـودة » لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٩، وفى حـديث مـوجـه لمجمـوعـة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل، قال بن جوريون: « رغم أننا حققنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية، فإننا ما زلنا في البداية. فلا يوجد في إسرائيل اليـوم سوى ٩٠٠٠٠٠ يهودى، بينمـا غالبيـة الشعب اليهودى مازالت موجودة في الخارج. ومهمتنا القادمة هى إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل ».

وكان هـدف بن جوريون هـو إحضار أربعـة ملايين يهودى في الفتـرة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١. ولم يحضر سوى ٨٠٠٠٠٠. وفي عام ١٩٦٠، وصل طوال السنة ٣٠٠٠٠ مهاجر فقط. وفي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها.

وبعض عمليات الاضطهـاد الكبرى، كـالتى حدثت فى رومـانيا، هى التى كانت وراء « العودة ».

وحتى فظـاعة هتلـر وأعمالـه الشرسـة لم تنجح فى تحقيق حلم بن جوريون.

فمن بين ضحايـا النازيـة من اليهود الذين التجـأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣، ذهب منهم بـالكـاد نسبـة ٨,٥٪ لـلإقـامـة في إسرائيل. وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢٠٠٠ (أقل من ٧٪)، وإنجلتـرا بعـدد ٦٧٠٠٠ (أقل من ٢٪) أمـا الغـالبيـة العظمى، أى نسبة ٧٥٪، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتى.

[المصدر « معهد الشئون اليهودية » في نيويورك].

وثمـة مثـال نمـــوذجى للتـلاعب بـالتـاريخ مـن طـرف المـؤرخين الرسميين، ورد في كتاب يهودا باور الأخيـر، وهو عضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجـامعة العبرية في القدس. فكتابـه عنوانه: يهود للبيع، مع عنوان جـانبي: المفاوضات بين النـازى واليهود، ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥، وصدر في باريس عام ١٩٩٦.

ويدل مظهر الكتاب الخارجى على أنـه عمل علمى بما يحتويه من حواشٍ بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس.. إلخ.

هذا في الظـاهر فقط، لأن بعض المصـادر التى تعالج المـوضوع، والتى لم يستطع المؤلف تجاهلها، مـرت مرّ الكرام وفى صمت (ربما لأنها تتعـارض مع نظريتـه التى ترمى إلى إبـراز عنايـة زعماء الصهـاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من «الانتقاء»).

والأعمال التى ذكرها المؤلف، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية. ولم يشر الكتاب إلى تواطـؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١، الـذى اقترحه شامير. وقد وضع باور قائمـة بأسماء «المتفاوضين» مع هتلر، وأضاف: «وقد أصبحوا كلهم من الأبطال» أما كل من نادى بمقـاطعة هتلر على مستوى العالم، فهـم في نظره ليسوا بأبطال!

وغـاية الكتـاب هى محـاولة إخفـاء حقيقـة أساسيـة هى أن الشغل الشاغل للزعمـاء الصهاينة أثنا حكم هتلر، لم يكن إنقـاذ اليهود من نار

النازى، بـل وطبقا للمشروع الصهيـونى السيـاسى الذى وضعـه تيودور هرتزل، هو تأسيس « دولة يهودية » قوية.

والموضوع الـرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهـام بأن حرب هتلر « هى حرب ضد اليهـود » وليست حربا ضد الشيوعيـة في المقام الأول، مما جعله يـوجه معظم قوته الحـربية تجاه الشرق، والسعى إلى إبـرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين.

« إن جميع المـؤرخين يتفقـون على أن هيملـر كـان يفضل سـلامـا منفصلا مع الغـرب حتى يكرس كل قواه ضـد الخطر البلشفى » (ص ـ١٦٧) « وكـان فـون بوبـن يعتقد اعتقـادا راسخـا في تفـاهم قـادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للـوقف كسد في وجه الشيوعية » (باور، ص ـ ١٨٩).

ولقد كانت « المفاوضات » بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف، وهو ما اضطر باور بالاعتراف به.

« لقد كـان النازى يعرفـون، وعلى النقيض من الروس، أن حكـومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهمـا بتحمل أى ضغوط من الضغوط التى يمارسهـا اليهود عليهما ». (باور، ص ـ ٢٦٠).

وفي عام ١٩٤٤، اقتـرح إيخمان على المندوب الصهيونى بـراند،

مبادلة مليـون يهودى مقابل ١٠٠٠٠ شاحنة لاستخـدامها على الجبهة الروسية دون سواها .

وساند بن جوريون وموشى شـاريت (شرتوك) هذا العرض ، ووجه بن جـوريون بـالفعل نـداء شخصيا إلى روزفلت « حتى لا تفلت هـذه الفرصـة الفريـدة وربما الأخيـرة لإنقاذ آخـر يهود أوروبـا » . ولقد كـان الهدف واضحـا : مبادلة اليهود مقـابل معدات إستراتيجية ، بل وإقـامة اتصـالات دبلومـاسية مع الغـرب ، وهى اتصالات قـد تؤدى إلى سـلام منفـرد ، أو حتى إلى حـرب يشتـرك فيهـا الألمـان مع الغـربيين ضـد السوفيت» (باور، ص ـ ٣٤٣) .

وأخفقت هـذه المؤامـرة عنـدما قـام الأمـريكـان والإنجليز بإبـلاغ السوفييت بهذه المسـاومات . ويقول باور فى هذا الصـدد : « لقد كان الدور الأسـاسى لروسيا في المعـركة ضـد ألمانيا النـازية بمثابـة الدعم الجـوهرى لصـلابة مـوقف الحلفـاء . فقد انهـزم الفرمـاخت (الجيش الألمـانى) في روسيا على يـد الجيش الأحمر. وبـدون السوفيت ومـا عانـوه ، وبدون أعمـالهم البطولية ، فإن الحـرب كانت سـتدوم سنوات وسنوات وربما لـم نكسبها » . (باور ص ـ ٣٤٧) .

وعلى كل حال ، فإنـه من البداية وحتى النهـاية ، لم يفكر الـزعماء الصهاينـة (وهـم الذين تـولوا الحكم في إسـرائيل مثل شامـيـر) إلا في تأسيس دولـة قـويـة في فلسطيـن ، ولـم يفكـروا لحظـة واحـدة في المسئوليات التى تقع على عـاتق جماعة المقاومين لهتلـر ، كما لو أن

النازيين لم يكــن لهم أعداء أو ضحايـا إلا اليهود ، وأن الأمــر لا يعدو سوى إنقاد اليهود وحدهـم .

وحتى الإنجليـز فقــد انتهى بهم الحــال إلى إظهــار سخطهم لهــذه الرغبــة في تجاهل معــاناة ٥٠ مليــون من ضحايا الهتلــرية ، والمطــالبة بإنقــاذ اليهود دون ســواهم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقـدر منهم على بناء دولة قوية في فلسطين .

●●●

٢ ـ أسطورة عدالة نورمبرج

« إن هـذه المحكمة تمثل استمـرارا لجهـود حـرب الدول الحليفـة» روبرت جـاسكون النـائب العام للـولايات المتحـدة (جلسة ٢٦ يـوليه ١٩٤٦) .

في ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، اجتمع الـزعمـــاء الأمـريكيـون والإنجليـز والفرنسيـون والروس في لنـدن للاتفاق على « مـلاحقة وتـوقيع العقاب على كبار مجرمى الحرب التابعين لقوى المحور» وذلك بإنشاء محكمة عسكرية دولية (المادة الأولى ، أ) .

وقـد صُنّفت الجـرائم في المـادة ٦ من الفصل الثـاني على النحـو التالى :

١ ــ جرائم ضـد السلام ، وهى تتعلق بتحـديـد مسئوليـة من قامـوا بإشعال الحرب .

٢ ـ جرائم الحرب ، وتخص قوانين وأعراف الحروب .

٣ ـ جـرائم ضد الإنسـانية ، وهى الجرائم المقتـرفة ضـد المدنيين .
وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات :

أولا ـ أنها لم تكن محكمة دولية حيث لم تتشكل إلا من المنتصرين في الحرب ، وبالتالى فإن الجرائم التى كانت ستحجز هى الجرائم التى اقترفهـا المنهزمـون . وهو ما اعتـرف به النـائب العام الأمـريكى روبرت جاكسون الذى كان يرأس جلســة ٢٦ يوليه ١٩٤٦ ، حيث قال : ما زال

الحلفاء عمليا في حالة حرب مع ألمانيا . . . وبوصفها محكمة عسكرية ، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرار لجهود حرب الشعوب الحليفة» .

ـ وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية تشكل آخر فصل من فصول الحرب ، وتنفي من حيث مبدأها ، المسئولية عن المنتصرين ، وقبل كل شيء مسئوليتهم عن إشعال الحرب .

ففي نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساي ، بكل عواقبها ، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس ، وكذلك البطالة ، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألماني[1] . وعلى سبيل المثال ، إجبار ألمانيا المهزومة في ١٩١٨ ، على دفع ١٣٢ مليار من الماركات الذهب ، كتعويضات حرب ، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦٠ مليار مارك ذهبًا .

وانهار الاقتصاد الألماني وأصيب الشعب الألماني بالإحباط من جراء عمليات الإفلاس وتدهور العملة ، وخاصة البطالة ، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهي إلغاء معاهدة فرساي وما تضمنته من بؤس و إذلال للشعب الألماني .

---

(١) في ١٩١٩ أ ، كتب الاقتصادي الشهير لورد أورج كينز يقول : بمعاهدة كهذه ، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عام .

وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبية المطلقة في الريشتاخ (البرلمان الألمانى) ، بدأت إعادة التسلح بمساعدة من الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى، ومن بينها شركة الكمياويات الإمريكية ديبون دى نيمور وشركة أمبيريال كميكالز، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب، وهناك صناعات أخرى مُولت من طرف مورجان أو روكفلر. .

وهكذا شارك الجنيه الإنجليزى والدولار الإمريكى في المؤامرة التى جاءت بهتلر إلى الحكم.

ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار « المؤامرة ضد السلام ».

وكثيرا ما ذكرت اللعنات التى كان يكيلها هتلر وزعماء النازى للشيوعيين واليهود. وخاصة ما جاء في الفصل الخامس عشر من الجزء الثانى من « كفاحى » حيث تناول هتلر ماضى حرب الغازات التى شنها الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى، وهو الفصل المعنون: «حق الدفاع الشرعى »، والذى أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب، حتى ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان.

وفي حديث له أمام البرلمان في ٣٠ يناير ١٩٣٩، قال كذلك:

« يستطيع اليهود ان يواصلوا شن حرب الإنهاك في بعض الدول

حيث تحميهم الاحتكارات والامتيـازات التى يمارسونها على الصحـافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها . ومع ذلك ، فإذا ما نجح هنـا الشعب مرة ثـانية في دفع مـلايين الأشخاص إلى نـزاع قد يعـود عليهم بالفـائدة ، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهـور شجاعـة الحركـة التوضيحية التى سمحت بالقضاء نهائيـا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات » .

وفي ٣٠ ينـاير ١٩٤١ ، قـال هتلر لجمـوع يهود أوروبـا « إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة » . وصرح في بيان آخر بتاريخ ٣٠ ينـايـر ١٩٤٢ ، أن الحـرب « ستقضى علـى اليهـوديـة في أوروبـا » . والوصية السياسيـة لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكريـة الدولية تعج بهـذه الأراء . فهتلر يتحـدث عن تـدمير « نفـوذ مـا » أمـا هيملر فإنـه يتحدث مباشرة عـن تدمير الأشخاص . فقد قال لجنرالاتـه في ٥ مايو ١٩٤٤ ، في سونتهـوفن ، ما يلى : « في هذا النزاع مع آسيـا ، ينبغي لنا أن نعتاد على نسيـان قواعـد اللعبة والأخلاقيـات المتعارف عليهـا أثناء الحـروب الأوروبيـة المـاضية ، رغـم أنها عـزيـزة علينـا وتتنـاسب مع عقليتنا » .

ولكن هذه الوحشية لـم تكن من نصيب معسكر واحد .

فقد طلب لكيفتون فاديمان ، محرر مجلـة نيويوركر الأسبوعية ، في

عـام ١٩٤٢ إلى الكتـاب « تغلي روح مـن الحقـد الشـديـد ضـد كل الألمان وليس فقط ضد زعماء النازى ».

وأضاف : «الطريقة الوحيدة لكي يفهمنا الألمان هى قتلهم. وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا».

وفي شهر أبريل ١٩٤٢ ، كتب يمتدح كتاب دى سال « إعداد الغد» ويشـرح مفهومـه العنصـرى ، فقال : إن العـدوان النـازى ما هـو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبيـر النهائى عن الغرائز العميقة للشعب الألمانـى . وما هتلر إلا تجسيـد لقوى أكبـر منه ». ووافق علـى اقتراح هيمنجواى القائل : إن الحل النهائى سيكـون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة .

ولم تكن هذه الآراء بـالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جـريدة الديلى هيرالد اللندنية مقـالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست ، جاء فيه : « إن كلمة السر يجب أن تكون « القضاء عليهم »، ومن أجل ذلك تركـز عملنا على اكتشاف مـرفقعات جديـدة ومخيفة . . ورغـم أن رجل الـدين لا ينبغى لـه أن ينـزلـق إلى مثل هـذه العـواطف ، إلا اننى صراحـة لو استطعت ، لمحوت ألمانيـا من خريطة العـالم. إنه جنس شيطانى كان لعنة على أوروبا طوال قرون» .

ولحسن الحظ ثـارت الاحتجاجـات ضـد مثل هذه الضـلالات في إنجلترا حيـث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزى وثقـافته الـرفيعة

وبين زعماء دمـويين ممتلئين بالحقـد والبغضاء، وهو مـا ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها.

ومنذ عام ١٩٣٤، أعلن الـزعيم الصهيونى فلاديمير جـابوتنسكى. «إن مصالحنـا اليهودية تحتم القضـاء النهائى على ألمانيـا، فالشعب الألمانى في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا».

وقال تشـرشل من جانبه في ١٦ مـايو ١٩٤٠: «سنجوع ألمانيا. وسندمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها».

[المصدر : بول بودوان، تسعة أشهر في الحكومة، ١٩٤٨، ص-٥٧].

وقال الـوزير البـريطانى اللـورد فانسيتـارت في عام ١٩٤٢، تبـريرا لفظاعة الغارات البريطانية: «إن الألمان الطيبين وحدهم، هم الموتى الألمان؛ وعلى ذلك، فلتمطر السماء القنابل!».

وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركـانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالى:

«أود أن تفكر جديًا في مسألـة الغازات الخانقة... وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخـانقة هذه... ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء،...

[المصدر: الإرث الأمريكى - عدد أغسطس - سبتمبر ١٩٨٥].

ولم يقف لا تشـرشل ولا تـرومـان ولا ستـالين في قفـص الاتهـام

كمجرمى حرب. كما لا يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل تيودور كوفمان الأمريكى اليهودى الذى وجه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية، ضمن كتابه: «يجب إبادة ألمانيا»، قال فيه : «إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا». وكذلك ما جاء في نداء الكاتب السوفيتى إيليا اهرنبورج عام ١٩٤٤ : اقتلوا ! اقتلوا فلا أبرياء لدى الألمان، لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون ! ».

وهؤلاء أيضا لم يقفوا في قفص الاتهام ضمن المتهمين في نورمبرج، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو ـ أمريكان عن قصف مدينة درسدن الألمانية، والذى أسفر عن ٢٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين، وذلك دون أدنى فائدة عسكرية، لأن الجيش السوفيتى كان قد تجاوز هذه الأهداف. ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى ومصرع ٣٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين، دونما ضرورة عسكرية لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور.

ولا بيريا وستالين، على سبيل المثال، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان، والتى قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين.

لقد كانت أساليب الإجراءات تنبثق عن نفس المبادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم.

وهكذا جاء النظام الأساسى لهذه المحكمة :

المادة ١٩ : لـن تتقيد المحكمـة بالقواعـد الفنية المتعلقـة بإقـامة الأدلة والبراهين . وهى ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة .

● المادة ٢١ : لن تطلب المحكمـة تقديم البـراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة ، وستعتبرها ثـابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء .

هذا هو الوحش القانونى الذى ينبغى أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلَّم بصحتهـا وكمعاييـر لحقيقة تـاريخية لا يمكن أن يمسهـا إنسان طبقـا لقانون جيسو ـ فابيوس الصادر في ١٣ يوليه ١٩٩٠ (فى فرنسا) .

فهـذا النص قـد أضاف إلى قـانـون حـريـة الصحافـة الصـادر في ١٩٨١ ، المادة ٢٤ مكرر، التى تنص علي ما يلى :

« يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤ (وهى بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنـة واحدة ، وبغرامة قدرها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ فرنك ، أو بإحدى هاتين العقوبتين) كل من ينكر ، بإحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٢٣ ، وجود جريمة أو أكثـر من الجـرائم ضـد الإنسـانية كمـا جـاءت في المـادة ٦ من النظـام الأسـاسى للمحكمة العسكريـة الدوليـة الملحقة باتفـاق لندن بتـاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، والتى اقترفت سـواء من طرف أعضـاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سـواء بواسطـة شخص ثبتت إدانتـه في مثل هـذه الجرائم من محكمـة

فرنسية أو دولية .

وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى :

١ ـ الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائى .

٢ ـ نشر هذا القرار أو إدراجه ضمن بيان بالشروط المنصوص عليها في المادة ١ ـ ٥١ من القانون الجنائى ، دون أن تتجاوز مصاريف النشر أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة » .

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى ، وهم قضاة المحكمة العليا ، بدءا بالقاضى جاكسون الذى كان رئيسا لمحكمة نورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج ، : « لقد شعر كبار القانونيين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبرج . ولا شك أن القاضى روبيرت جاكسون ، الرئيس الأمريكى للادعاء ، كان يخجل من هذه الإجراءات . وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التى قرأتها .

أما القاضى فينرستروم ، من المحكمة العليا في الولايات المتحدة ، ورئيس إحدى المحاكم فقد أبدى امتعاضه واشمئزازه من جو المحاكمة وموقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيابة . . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة . ونشر في جريدة شيكاغوديلى تريبيون الصادرة في ٢٣ فبراير ١٩٤٨ ،

اعتراضاته على التنظيم والإجراءات .

ووفقا للنظام الأساسى لمحكمة نورمبرج الذى ينص على أن تقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن ، فقد ووفق على التقرير السوفيتى بشأن كاتين ، والذى يتهم الألمان بقتل ١١٠٠٠ ضابط بولندى ، « كدليل إثبات صحيح » ، ولا يناقش من طرف المنتصرين .

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية .

ولكى لا نحيد عن موضوعنا الأصلى : « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل » ، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التى سببت حتى الآن وبعد مضى ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة فى عالمنا الحاضر ، وهى أسطورة الستة ملايين من الضحايا اليهود ، والتى أصبحت عقيدة تبرر وتضفى القداسة (وكما تقتضية عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي كل الشرق الأوسط ، وفى الولايات المتحدة ، وفي كل السياسة العالمية ، بوضعها فوق كل قانون دولى .

ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا الرقم رسميا ، وهو الأمر الذى ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأى العام في الصحافة ، المكتوبة والمقروءة ، وفي الأدب والسينما ، وحتى في الكتب المدرسية .

غير أن هذا الـرقم لا يستند إلا إلى شهادتين : شهادة هـوتل وأخرى لويزليسنى (وهما من ضباط الأمن النازيين) وهاك ما أعلنه الأول :

« في أبريل ١٩٤٤ ، جرى حديث بينى وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرفـه منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست . . . وكـان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهـود. وطلبت منـه كم كـان عددهم ، فـأجابنى رغـم سريـة العـدد الشديـدة ، إنه طبقـا للمعلومـات التى يمتلكها فقد وصـل إلى النتيجة التالية : نحـو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلـف معسكرات الاعتقال ، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى » .

[المصدر: محاكمة نورمبرج ، المجلد الرابع ، ص ٦٥٧] .

وأعلن الثاني :

« كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه » [المصدر السابق] .

وهـاتان الشهـادتان ، كمـا يقـول موليـاكوف نفسـه : « من الممكن الاعتـراض على هذا الـرقم الـذى لا سند لـه كمـا يمكن اعتباره رقمـا مشبوها » .

[المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية ، أكتوبر ١٩٥٦] .

وتـذكر الصحيفـة العبريـة الصادرة في نيـويورك بتـاريخ ٣٠ يونيـه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ ، كان هناك ٣ ملايين و ٣٧٥٠٠٠ شخص

قد قدموا طلبات للحصول على « تعويضات » نظير الخسائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.

[المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١].

وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثال، انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أى قضية حقيقية:

١ ـ إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.

٢ ـ تحليل قيمة الشهادات والظروف التى تم في ظلها الحصول عليها.

٣ ـ البحث العلمى لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه وآثاره.

أ. النصوص:

تتألف النصوص الأساسية، والتى تعتبر حاسمة للتدليل على «الحل النهائى » من أوامر الإبادة التى تنسب إلى كبار المسئولين: هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها.

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهود التى بذلها المنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست،

فلم يوجد لها أثر. وكتبت السيدة أولجا ورمسر ـ ميجو في ١٩٦٨ ، تقول : كما أنه لا يوجد أمر خطى مكتوب بوضوح للإبادة بالغاز في أوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفبر ١٩٤٤ ».

[المصدر : أولجاورمسر ـ ميجو، نظام المعسكرات النازية، باريس ١٩٦٨، ص ـ ٥٤٤ وص ـ ١٣].

ويعترف الدكتور كيبوفي من مركز الوثائق في تل أبيب عام ١٩٦٠ : « لا توجد أى وثيقة ممضاة من هتلر أو هيملر أو هيدريش تتحدث عن إبادة اليهود. . . ولا تظهر عبارة « الإبادة » في خطاب جورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائى للمسألة اليهودية ».

[المصدر : لوسى داوديفتيش، الحرب ضد اليهود، ١٩٧٥ ، ص ـ ١٢١].

وصرح ريمون أرون وفرانسوا فيرى (وهما من كبار المفكرين الفرنسيين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢].

« رغم البحوث المتعمقة ، لم يتم العثور مطلقا على أمر من هتلر بإبادة اليهود ».

[المصدر: والتى لاكير، السر الفظيع، ١٩٨١ ، ص ـ ١٩٠].

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بإيعاز من فيدال ياكيه وليون بولياكوف: «(. . .) لا يجب التساؤل عن الكيفية التى كان من

الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية . لقد كانت ممكنة تقنيا لأنها حدثت . وهذه هى نقطة الانطلاق اللازمة لأى تحقيق تاريخى حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكرّ بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز » .

وهذه الممنوعات الثلاثة ، أو المحرمات الثلاثة هى الحدود النهائية لأى بحث .

وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تاريخية في تأريخ التاريخ ، بوضعه مثل هذه الأوامر الشرطية مسبقا أمام أى بحث أو نقد للأحكام التى أصدرها المنتصرون .

ولكن التاريخ إذا أراد أن يحترم النظم الأساسية العلمية ، ينبغى أن يكون بمثابة بحث دائم ، وتفنيد لكل ما نعتقد أنه قد ثبت نهائيا مثل قوانين نوتن .

وهاك مثالاً مشهوراً :

« لقد توخَّت اللجنة الدولية لاوشفيتز في نوفبر ١٩٩٠ ، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتى تشير إلى « ٤ ملايين من الضحايا » بأخرى تحمل عبارة « أكثر من مليون قتيل » . ولكن الدكتور جولدشتين ، رئيس اللجنة اعترض على ذلك » .

[المصدر : جريدة لوسوار ، بروكسل ، ١٩ ــ ٢٠ أكتوبر ١٩٩١ ، ص ـ ١٦] .

والواقع أن الدكتور جولدشتين لـم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنـه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجـديدة أي رقم، لعلمه أنه قـد يصبح من الضـروري في زمن قصير إعـادة النظر مرة أخـرى في تخفيض الرقم المذكور.

وعلى هـذا فإن اللـوحـة المثبتة على معسكـر بيـركينـاو، حملت التدوين التالي حتى عام ١٩٩٤.

« هنا وفـي الفترة ما بين ١٩٤٠، ١٩٤٥، عُـذِّب أربعة مـلايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوا بواسطة عمليات الإبادة الهتلرية ».

وبفضل مـا قامت بـه اللجنة الـدولية لمتحف الـدولة الـذي يرأسـه المـؤرخ فلاديسـلاف بـرتـوزيسكي، تعدل النص على النحـو التـالي والذي لا يبعد عن الحقيقة:

«ليصبح هذا المكـان، الذي قتل فيه النازيون مليـون ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهـود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية».

[المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند، ٢٧ يناير ١٩٩٥].

وهذا المثـال يبين لنا أن التاريخ، لكي يفلت من الإرهـاب الفكري للمنادين بالحقـد والبغضاء، يقتضي إعادة نظر دائمـة. فإما أن يكون تعـديلي (أي قابل لإعـادة النظر فيـه وتعديلـه) وإما أن يكـون محض دعاية مقنعة.

ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقيقى ، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى (النازى) في المادة ٤ من البرنامج :

« لا يحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملى المواطنة . وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عروقهم الدم الألمانى ، دون تمييز عقائدى . وعلى ذلك ، فلا يمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كامل المواطنة » .

وفي المادة ٥ ، جاء ما يلى :

« من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف ، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب » .

وجاء كذلك في المادة ٨ ، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤ . وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقيين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها .

ونصت المادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة . وأكدت المادة ٢٤ على أن الحزب يكافح ضد « العقلية المادية اليهودية » .

أ.أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه « القضاء على يهود أوروبا » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١ (دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ .

ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية، المنقحة، حذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قرارات هتلر بشأن « الحل النهائى » بصورة منهجية .

[المصدر : هيلبرج يراجع نفسه حوليات سيمون فيزنتال، (المجلد ٣ ، ١٩٨٦ ، ص ـ ٢٩٤).

ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن « الأمر كان شفويا ». أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال . . !

وكان هتلر ينادى في كتابه « كفاحى » برغبته في طرد اليهود من ألمانيا . واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التى كانت تابعة لفرنسا آنذاك .

وفي يوليه ١٩٤٠ ، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد ، هذا التوجيه في العبارة التالية : « كل اليهود خارج أوروبا ! ». وكان يتوقع لتحقيق « الحل النهائي » فترة أربع سنوات وإمكانيات ضخمة .

ب ـ خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١ يوليه ١٩٤١ .

طلب هيدريش من جـورنج : « في ١٩٣٩ ، أعطيتنى الأمر بـاتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية . فهل عليَّ الآن مد هذه المهمة التى أسنـدتمـوها إلـىّ لتشمل الأراضى الجـديدة التى استـولينـا عليهـا في روسيا . . . »

وهنـا كذلك ، لاشىء بخصـوص قتل اليهود . والأمـر لا يتعلق إلا بنقلهم جغرافيا ، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة .

فالحل النهائى إذن كان يكمن في تفـريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصـائهم بعيدا حتى تسمح الحـرب بـوضعهم داخل جيتو خـارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) .

وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند ، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى ، ومنها الموت الـرحيم ، وأمر قتل الكوماندوز البريطـانيين ، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محـاكمة ، وإبادة أهالى ستالنينجراد من الذكور عند احتلالها . وعن هذه الجرائم جميعها ، فالوثائق موجودة ، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصـول ولا الصور ، ولا الأوامـر أو التوجيهـات اللازمـة لتنفيذ هـذه التعليمات الضخمة .

« في ينـايـر ١٩٤٢ ، أبلغ رينهـارد هيـدريش ، رئيس الجستـابـو ، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضى الشرقية ،

مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة » .

وفي المذكرة التى عممت في مارس ١٩٤٢ داخل مكتب هيدريش ، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبا سيجرى تجميعهم في الشرق «انتظارا لإرسالهم بعد الحرب إلى أراضٍ نائية ، مثل مدغشقر ، لكى تصبح وطنهم القومى . . »

ويذكر بولياكوف : « وكان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه ، هو الذى كان يطلق عليه الزعماء الألمان اسم « الحل النهائى » للمسألة اليهودية .

[المصدر : بولياكوف ، محكمة القدس ، باريس ، ١٩٦٣ ، ص ـ ١٥٢] .

ومن أجل الإبقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن ، تطلب الأمر إيجاد ذريعة : « لقد كانت عبارة الحل النهائى للمشكلة اليهودية من العبارات التقليدية للإشارة إلى الخطة الهتلرية الرامية إلى إبادة اليهود الأوربيين » .

[المصدر جيرالد ريتلينجر ، الحل النهائى ، ص ١٩] .

وليس هناك ما يبرر افتراض هذه اللغة الشفرية التى كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله . وهاك مثالان على ذلك :

الأول : خطاب جورنج المؤرخ في ٣١ يوليه ١٩٤١ ، والذى يستكمل فيه جورنج تعليماته إلى هيدريش : « استكمالا للمهمة التى أسندت إليكم بتاريخ ٢٤ ـ ١ ــ ١٩٣٩ ، أكلفكم بأن تعرضوا علىّ

وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والماديـة لتحقيق الحل النهائى الذى نتطلـع إليه للمسألة اليهـودية في منطقة النفوذ الألمانى في أوروبا ».

[المصدر: هيلبرج، المرجع السابق، ص ـ ٤٠١ (الطبعة الثانية)].

وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيـدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق مـا كـان يطبق في ألمـانيـا على أوروبـا نظـرا للظـروف التى استجدت. مـا لـم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقـا لمخطط مسبق. والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى، ولكنه لا يشير في أى لحظـة إلى فكرة« الإبـادة » التى ألصقهـا لـه المدعى العـام في نورمبرج روبرت كمبنر عنـدما أعلن: « بهذه السطور ، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود) ».

وقـد اعترض جـورنج على الترجمـة الإنجليـزية للعبـارة الألمانيـة «الحل الشـامل» بعبـارة «الحل النهائى»، ممـا حـدا بالمـدعى العـام جـاكسون أن يعتـرف بالتـزوير، وإرجـاع العبارة إلى أصلهـا الحقيقى. وهذه الـواقعة التى دمرت نظريـة بأكملها، لـم تتحدث عنها الصحـافة بكلمة واحدة.

وفي ١٠ فبـرايـر ١٩٤٢ ، كتب مسئـول وزارة الخارجيـة الألمـانيـة رادماخير، في رسالة رسمية يقول: « لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى الحصول على أراض جديدة للحل النهائى. وعلى ذلك، فقد

قرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيار مدغشقر للحل النهائى ».

[المصدر: ريتلنجر، الحل النهائى، ص ـ ٧٩].

والمثال الثانى على هذا التعبير التعسفى لمعانى الكلمات لتبرير قضية ما، هو الخاص بمؤتمر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢٠ يناير ١٩٤٢.

ومنذ بداية المؤتمر، لم ينفك هيدريش يذكِّر بأنه قد تم تعيينه في «منصب المسئول المكلف بإعداد الحل النهائى للمسألة اليهودية في أوروبا» وبأنه «سيكون من الآن فصاعدا المسئول عن مجموع الإجراءات اللازمة للحل النهائى للمسألة اليهودية دون اعتبار للحدود الجغرافية.

ويلخص هيدريش بعد ذلك السياسة المعادية لليهود التى تمت حتى ذلك التاريخ في الآتى:

أ ـ طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألمانى.

ب ـ طرد اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألمانى.

نص مؤتمر وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

« أثناء الحل النهائى سيسير اليهود تحت إدارة مناسبة نحو الشرق للاستفادة بهم في العمل. وسيتم التفريق بينهم بحسب الجنس. وسيرحل اليهود القادرون على العمل في طوابير ضخمة إلى مناطق

الأعمال الكبرى لبناء الطرق ، ولا شك أن عددا كبيرا منهم سيموت بواسطة الانتقاء الطبيعي .

ومن سيظل منهم على قيد الحياة في نهاية المطاف ، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغي معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعي ، ينبغي اعتبار تحريرهم بمثابة الخلية المولدة للتطوير اليهودى الجديد . (كما توضحه تجارب التاريخ . . .) .

ويعد بروتوكول وانسى بمثابة المحضر الحرفي للمؤتمر الذى عقد في الفترة من ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، واشترك فيه الوزراء المهتمون إداريا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ . ويتعلق الأمر بنص لم ترد فيه أبدا عبارة غرف الغاز أو الإبادة ، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبى .

وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورته التى نشرت في كتاب السيد روبرت كمبنر، فلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيع ، والحروف كتبت على آلة كاتبة عادية وعلى ورق من القطع الصغير.

وعلى كل حال ، فلا يوجد بها أى إشارة إلى غرف الغاز.

وفضلا عن ذلك ، فإن مؤتمر وانسى المنعقد في ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، والذى ادعى طوال أكثر من ثلث قرن أن قرار « إبادة » يهود أوروبا قد

اتخـذ أثناء انعقـاده ، اختفى تمامـا من أدبيات أشـد أعداء المطـالبين بمراجعة التاريخ منذ عام ١٩٨٤ . فقـد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تـاريخهم حول هذه النقطة أثنـاء انعقاد مؤتمر شتـوجارت في مايو ١٩٨٤ .

[المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهـور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ١٩٨٥ ، ص ـ ٦٧].

وقد وصف ياهودا بور في جريدة أخبار اليهود الكنديين الصادرة في ٣٠ يناير ١٩٩٢ ، أن تفسير وانسى كان « تفسيرا أحمق » .

وأشار أحـد المؤرخين المتشـددين وهو جـان كلود بـريساك إلى أن عبارة « الإبادة » قد نقحت وصارت « طردًا » .

وبخصوص أن مسألة « الحل النهائي » للمشكلـة اليهودية وإنها لن تحل إلا بعد الحـرب ، فإن « الملف البني » لصيف عـام ١٩٤١ يشهد على ذلك . فقـد جـاء في الفقـرة المعنونـة « تعليمـات لحل المسألـة اليهوديـة » ما يلى : « لا يجب أن تتخـذ أى إجـراءات بشأن المسألـة اليهـودية في الأراضـى المحتلة في الشـرق إلا بعـد الحرب ، وستجـد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما » .

[المصدر: هنرى موزى ، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية ، ١٩٤٩].

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد ، في وضع ميئوس منـه ، فالحلفـاء يدمرون مـراكز الإنتـاج الحربى بقصفهم

لها، ويحطمـون طرق المـواصلات. واضطـر إلى حشد أعـداد أخرى للعمل بـالمصـانع. فكـان يعمل في مـونـوفيتز بـالقـرب من أوشفيتـز ١٠٠٠٠ معتقل، و ١٠٠٠٠٠ عـامل مـدنى، ١٠٠٠ سجين حـرب بريطانى.

وفي ٢٥ ينـايـر ١٩٤٢، وجـه هيملر تعليمـاتـه إلى المفتش العـام لمعسكرات الاعتقال، جاء فيهـا: « استعد لاستقبال ١٠٠٠٠٠ يهودى... وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة».

وفي مايـو ١٩٤٤، أمر هتلـر باستخدام ٢٠٠٠٠٠ يهـودى كعمال في البرنـامج الإنشائى « جـاجر» ومنظمـة تودت. فصـدر أمر فى ١٨ نوفبـر ١٩٤٣. تمنح بمقتضاه عـلاوة للمعتقلين ـ حتى اليهـود منهم ـ الذين يبرزون في العمل.

[المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢، ص ـ ٧٨].

ولا يتعلق الأمـر هنا بالجنـون أو الخرافـة، بل على العكس بـواقعية مـريـرة وقاسيـة. ولكن هـذا وفي المقـام الأول يشكل دحضا إضـافيـا لأطروحات « الإبادة ».

ب ـ الشـهادات

أثناء محاكمـة أوشفيتز التى جرت فى فرانكفـورت في الفترة من ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٥، داخل مسرح كبير واسع، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة، ورغم هـذا الإخـراج القضـــــاتى

فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفادى الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها.

« كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومات تقريبا التى توضع عادة تحت تصرف محاكمة جنائية عادية حتى يتسنى تشكيل صورة أمينة للوقائع كما حدثت فعلا أثناء الجريمة. فكان ينقصها جثث الضحايا، وتقارير التشريح، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة، وكان ينقصها الآثار التى تركها المتهمون، وسلاح الجريمة، .. إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة ».

[المصدر: الصفحة ١٠٩ من حيثيات الحكم].

وسلاح الجريمة كان مع ذلك، وطبقا للمدَّعين هى « غرف الغاز »، وهاهم القضاة لا يجدون لها « أثرا » !.

ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أى إنسان وإلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم.

وحتى عام ١٧٥٧، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض.. وكانت هذه حقيقة ثابتة !.

وكتب أحد القانونيين الأمريكان الذين أرسلوا إلى « داخاو » بعد أن أصبح معسكرا أمريكيا ومركزا للمحاكمات ضد جرائم الحرب، يقول:

« لقد عشت في داخاو طوال ١٧ شهرا بعد الحرب كقاضى عسكرى

للولايات المتحدة، وأستطيع أن أشهد أنه لم يكن هناك أى غرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنه محرقة لجثث الموتى » ولم يكن هناك أى غرف للغاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لم نحصل على إذن من السلطات الروسية التى كانت تشرف على هذه المنطقة، لزيارتها . . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهود قد قتلوا وأستطيع أن أؤكد بعد ٦ سنوات على انتهاء الحرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هناك الكثير من اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليون لم يتم بلوغه أبدا، وأعتقد أننى مؤهل أكثر من غيرى للحديث عن هذا الموضوع».

[المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩، ص ـ ١٥].

ونظرًا لانعدام أى دلائل خطية ، ووثائق لا يرقى إليها الشك، فإن محكمة نورمبرج قد قامت على « شهادات » إن الفارين الذين شهدوا على وجود غرف الغاز قاموا بذلك ليس على أساس ما شاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه.

والشاهد الرئيسى الذي جيء به « لإثبات » نظرية المنتصرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز.

وكان الموجز الذى أدلى به عند إلقاء القبض عليه، والذي قامت عليه اعترافاته في نورمبرج، يستجيب تماما لما كانت تنتظره منه

المحكمة.

وهاك اعترافه الذى أدلى به بعد حلف اليمين ووقع عليه رودولف هيس في ٥ أبريل ١٩٤٦ :

« توليت قيادة أوسفيتز حتى أول ديسمبر ١٩٤٣، وأعتقد أن ٢٥٠٠٠٠٠ ضحية قد أعدموا أو أبيدوا بالغاز أو الحرق، وأن نصف مليون آخرين قد ماتوا من الجوع أو المرض، وبهذا يصل عدد القتلى إلى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ، وكان الحل النهائي للمسألة اليهودية يعنى إبادة كل يهود أوروبا، وقد تسلمت أمر إعداد الإبادة في أوشفيتز في يونيه ١٩٤١ . وفي ذلك الوقت كان هناك ثلاثة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة هى : بلزيك ، وتربلينكا، وولزيك ».

فكيف بالله تم تسجيل هذه « الشهادة الهامة » دون التحقق منها مسبقا؟

ويشرح هيس نفسه ذلك قائلا: كتبت الاعترافات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التى اعتقلتنى .

وفي كتاب السيرة الذاتية لرودولف هيس جاء ما يلى: « أثناء استجوابى الأول، انتزعت الاعترافات منى بضربى. ولا أعرف ما فى هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه ».

ولم تتأكد عمليات التعذيب التى تعرض لها هيس للحصول على «أدلة » إلا في عام ١٩٨٣ ، عندما كتب روبرت بتلر كتابه عن « فيالق الموت » ، والذى جاء فيه : « لدى إلقاء القبض عليه، ضرب ضربا

مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلا له : قل لــه أن يـوقف هــذا الضـرب وإلا فـإننـا لن نحصل إلا على جثــة هامدة ! » .

محاكمة أوشفيتز

إن مصير المتهم الرئيسى وهو آخـر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى تـوفى قبل بدء المحاكمة ، جدير بالاهتمـام ، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش . وفي يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة .

وطبقا لمصادر عديدة . رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذى كان يشرف عليه .

ويقرر محامى نورمبرج ، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دُسّ له السم أثناء التحقيق .

والمثـال الثـانــى : تقـرير جرشــتين ، أحـد ضبـاط النازى وهــو التقـرير الـذي رفضت محكمة نورمبرج العسكـرية الأخذ بـه كدليل في جلسة ٣٠ ينـاير ١٩٤٦ لعدم جديتـه وما جاء فيـه من تضليل ، والذى استخدمه جزئيًا النائب العـام الفرنسى ديبوست ، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١ .

وطبقًـا لهـذا «الشـاهـد» فإن عـدد الضحـــايـا بلغ ٢٥ مليـونًـا من الضحايا ! (٦٠٠٠٠ يـوميًا في المعسكرات الثلاثة بيلـزيك وتريبلينكا وسوبيبور) .

ورأى فضلا عن ذلك من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ شخص مكدسين وقوفًا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أى أكثر من ٢٨ فى المتر المربع !) .

والمثال الثالث: وكيما نتمسك بالشهود المشهورين ، نذكر الدكتور ميكلوس نيسزلى ، الطبيب المجرى ، الذى اعتقل في أوشفتيز، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها ٢٠٠ م ، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢٠م٢ أو ٤٠٠م ٢ أو ٥٨٠ م٢ ، أى ٥ ,١ × ٢م أو ٩٠ ,٢م . وهو يؤكد كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤ ، كانت الإبادة بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات ، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٤٤٠١ تشير إلى أن طلبات المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢ ، والوثيقة ٤٤٦٣ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٣ .

وفي أغسطس ١٩٦٠ ، أعلن معهد التاريخ المعاصر فى ميونخ للصحافة ما يلى : « لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط ، وليس ألمانيا بأى حال من الأحوال » .

[المصدر: دى زيت ، ١٩ اغسطس ١٩٦٠].

أمثلة أخـــرى

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة ٣٠ مايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمبرج ما يلى :

« أقـر بأن تـوقيعي يظهـر في هذه الـوثيقـة. وأطلب من المحكمـة السماح لـي بأن أشرح كيفيـة الحصول على هذا التـوقيع. لقد قُـدمت هذه الوثيقة إليّ في شكلها النهائي فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقرر مـا إذا كان عليّ أن أوقعها. ولكن رفـض طلبي. . . ثم دخل أحد رجال البوليس البـولنديين أو الروس وقال: « أين أسـرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنـا، أما الأسرة فستسلم فـي الأراضي الروسية». وأنـا والد ١٠ أطفال، ففكرت في أسرتي ووقعت على الوثيقة ».

●●●

ومن بين شهادات مجرمي الحرب، فإن شهادة الجنرال أوهلندورف تعتبر من الشهادات المعبرة بشكل خاص . فقـد كان يدير الجماعات المكلفة بإعـدام المفوضين السيـاسيين في جنوب روسيـا، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكريـة أنه قد تلقى أوامر شفوية لكي يضيـف إلى وظـائفه وظيفـة إبادة اليهـود باستخـدام الشاحنـات المجهزة بمعـدات الموت، بما في ذلك النساء والأطفال. وجـاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تمامًا، وتراجع عن تصريحاته السابقة، واعترف بأنه قتل عـددًا من اليهود والغجـر ولكن في إطـار المعركـة ضد العـدو، وليس بمـوجب خطـة محددة لإبـادة اليهـود والغجـر، كما اعتـرف بأنـه قتل ٤٠٠٠٠ شخص وليس ٩٠٠٠٠ كما قال في السابق.

ولم ينبس المؤرخـون النقاد بكلمة واحـدة لدحض هـذه الأقاويل، ولم تصـدر عنهم أيـة منـاقشة علميـة معـارضـة، ولكن فـرض عليهم

الصمت والاضطهاد.

وطالما استمر هذا الاضطهاد وهـذا القمع تجاه البحوث الانتقادية، وتـواصل على العكـس تـدفق التمـويل الـوافـر والإشـــادة الإعـلاميـة بـالمـدافعين عن هذه المحـرمـات، فلن ينمحى الشك والأرتيـاب من ذاكرتي.

ولقد مررت بهذه التجربة منـذ ١٤ عامًا، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التى رفعتهـا ضـدى « ليكـرا » لأننى أدرجت حـرب لبنـان في إطـار منطق الصهيونية السياسية ، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على « ليكرا» بـالمصاريف في محكمـة الـدرجة الأولـى وفي محكمة النقض. فقـد اضطـر نـاشر كتـابى « الشأن الإسـرائيلى » الـذى صـدر عن دار نشـر بابيريس فى ١٩٨٣، إلى إعلان إفلاسه فورًا. كما لم يجر توزيع كتابى « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » الذى أصدرته دار نشر الباتيروس في باريـس عام ١٩٨٦، تـوزيعًا عاديًـا. فالمكتبـات التى عرضتـه تلقت تهـديـدات بتحطيم واجهـاتهـا. وعـادت معظم النسخ إلى النـاشـر، واختفى تـوزيعـه تمامًـا. وحتى هـذا الكتـاب « الأسـاطير المـؤسسـة للسيـاسـة الإسـرائيليـة» فلن يسلم من الحملـة المسعـورة للصحـافـة الفرنسية، ولذلك سأضطر إلى نشره على نفقتى الخاصة في فرنسا، مع أن هـذا الكتاب قـد تـرجم ويجرى نشـره في إيطـاليا وألمـانيـا وتركيـا والولايات المتحدة وحتى روسيا.

فهـذا الصمت وهـذا الاضطهـاد، وعمليـات القمع ضـد التـاريخ

الانتقادى للجرائم الهتلرية ترتكز على حجج مشينة وكاذبة ، وهي تدليل على أن الجرائم الضخمة التي ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف ، ولم تكن تحتاج إلى أي أكذوبة للكشف عن فظاعتها ، وأن الحديث عنها انتقاديًا إنما هو في نظر أعداء التاريخ الانتقادى بمثابة تبرئة هتلر أو التخفيف من حدة جرائمه ! .

فالتدليل على أن جرائم النازى لم تقتصر إلا على اليهود وحدهم وأنها خلّفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو « عنصرية » تشجع على التميز والحقد العنصريين !

ولمقاومة ظاهرة الحقد ضد الباحثين الانتقاديين ، فإننا اليوم نسعى إلى إضافة عناصر جديدة بمصادرها ومراجعها إلى هذا الملف على أمل أن تؤدى إلى قيام مناقشة صريحة حول الوقائع الموضوعية لهذا الماضى دون دفعهم مسبقا بالتحيز أو إجبارهم على الصمت . ولا يمكن الإعداد للمستقبل مع مواصلة مشاعر الحقد وتغذيتها بالأكاذيب .

ونقد الشهادات المحققة تاريخيًّا والدراسات العلمية التى تسمح بمنح الرأى العام إمكانية التفكير في جرائم الأمس للحيلولة دون حدوثها غدًا ، هو التزام أخلاقى بقدر ما هو التزام علمى .

وحتى الآن ، لم يقدم حتى للفنانين الكبار من ذوى النوايا الطيبة، إلا الأرقام التعسفية والخاطئة . وكم شاهدنا من الأفلام الرائعة التى

شوّهت بذكـر الرقـم التعسفى للضحايا اليهـود في اوشفيتزا . وفي مقابل ذلك، ما شهـدناه من الأفلام بعد التحـرير التى تشيد بمن حاربـوا ضد النـازى، مثل « المعـركة ضـد المـاء الثقيل » الذى يعـالج الاكتشـاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المياه الثقيلة في النرويج لمنع وصـولها إلى هتلـر حتى لا تتـاح له فـرصـة استخدامهـا في صنع القنبلة الذرية . ونفس الشىء بالنسبة لفيلـم «معركة السكك الحديدية » الذى يـوضح الكيفيـة التى خرّب بهـا عمال السكك الحـديديـة طرق المواصـلات الألمانية لشل حركـة تجميع الجيوش الألمانية الغـازية . وعلى النقيض من هـذه الأفلام، فكم مـن مرة أعـادوا علينا كل أسبـوع عرض أفلام مثل « الخروج »، و « الهولوكوست »، و « الإبادة »، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لها الدموع !

وفيلم الهولـوكوست هـذا هو أكبر فيلـم سـاهم فى التلاعب بـالرأى العـام العالمى والسيطـرة عليـه، وهو مـا يعتبر جـريمـة ضد الحقيقـة التاريخية ! .

[المصدر: لبيراسيون، ٧ مارس ١٩٧٩] .

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة . وصدرت مؤلفات مثل « أيام موتنا» لدايفيد روسيـه، الذى جمع فيه بأسلوب روائى بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال .

وحتى مـارتن جراى، في كتـابه « بـاسم كل أبنـاء جلدتى » والـذى

استعان في كتابته بأحد الكتاب الفرنسيين الكبار لوصف معسكر لم تطأه قدماه أبدًا. وابتداء من المحفوظات المزيفة لوزارة قدماء المحاربين التى « اكتشفها » سيرج كلارسفيلد، وحتى الرؤيا القيامية الخاطئة لإيلى فينزل (الحائز على جائزة نوبل) الذى يقول إنه « رأى بعينه » لهبا ضخمًا يصعد من حفرة في الهواء الطلق « حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال » !.

[المصدر: إيلى فينزل، أقوال أجنبى، باريس ١٩٨٢، ص-١٩٢].

وذروة هذه الأدبيات الرومانسية، هو كتاب « يوميات آن فرانك » الذى حقق أحسن المبيعات عالميًّا، (وآن فرانك فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات). وفى هذا الكتاب المؤثر تحل الرواية محل الواقع، ومرة أخرى تخفت الأسطورة في ثياب التاريخ.

ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيدا رفنج عن هذا الكتاب : « لقد وافق والد آن فرانك أخيرًا والذى راسلته عدة سنوات، على إخضاع أصول كتاب « اليوميات » للفحص المعملى وهو ما أطالب به دائما عندما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما ».

وكان المعمل الذى فحصت فيه أصول الكتاب هو معمل البوليس الجنائى الألمانى في فيسبادن. وكانت النتيجة التى توصل إليها المعمل هى أن جزءا من يوميات آن فرانك كتب بقلم جاف (وهذا النوع من الأقلام لم ينزل الأسواق إلا في عام ١٩٥١، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام ١٩٤٥).

ويستطرد دافيدارفنج : وكان استنتاجى بشأن يوميات آن فرانك ، هو أنّ الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها . تولى أباها أوتو فرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنته المأساوى من جراء التيفوس داخل معسكر الاعتقال . وقد قام الأب وأشخاص آخرون لا أعرفهم بتصحيح « اليوميات» لإعطائها شكلاً صالحًا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد .

أما أنه وثيقة تاريخية ، فهذا الكتاب ليس له أية قيمة لأن النص قد شُوه وحُرّف » .

وهذه البضاعة الإبادية لا تستخدم إلا شهادات تشير بطرق نختلفة إلى قتل الضحايا بالغاز، دون أن يوضحوا لنا أبدًا طريقة تشغيل غرفة غاز واحدة (والذى أثبت لوختر استحالة ذلك ماديًا وكيميائيًا) ، أو شاحنة واحدة من تلك الشاحنات التى استخدمت بطريقة انبعاث الديزل منها ، كغرف غاز متنقلة .

جـ- سلاح الجريمة :

لو انطلقنا من وجهة النظر الموضوعية المفروضة في محاكمة جنائية ، فسيكون من الأهمية بمكان سماع أقوال الخبراء بشأن عدد كبير من الأسئلة ، حتى ولمجرد تكوين فكرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من « الوثائق » . ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة :

ـ كم من الـوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلـون ب، وما هى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟

ـ كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية، أو بتهوية لاحقة للاستعمال مباشرة)؟

ــ هل كان من الممكن كمـا يؤكـدون، الدخـول دون كمامـة (أو: كمامات) إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟

ـ هل كـان من الممكن حرق الجثث بالكـامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟

ـ هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .

ـ هل من الممكن حـرق جثث بشريـة في حفر عمقها عـدة أمتار، وفي حالة الإثبات، في كم من الوقت؟

ولكن وحتى الآن لم تصدر أى وثيقة إثبات.

ونطرح هنا مثالين اثنين :

● المثال الخاص « بغرف الغاز المتنقلة » بواسطة الشاحنات.

● والآخر خاص بالصابون المصنوع من الدهن البشرى. (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى).

[المصدر : الديلى تلجراف، لندن، ٢٢ مارس ١٩٤٦، ص ـ ٥].

وقد انتشرت قصة عمليات الإبادة « بغرف الغاز المتنقلة » والمؤلفة من الشاحنات التى أبيد فيها آلاف الناس بتوجيه مخارج الديزل نحو الداخل ، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربى ، عندما صدرت في جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣ ، الصفحة السابعة . (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع سوى الصحافة السوفيتية) .

وهنا أيضًا ، فإن سلاح الجريمة (وهو مئات أو آلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل هذه) قد اختفى . ولم تظهر واحدة منها في أى محاكمة كدليل إثبات .

ويلاحظ كذلك أن خطة « الإبادة » كان مقدرًا لها أن تظل سرًّا مطلقا كما قال هيس ، فمن الغريب أن يعلم به آلاف سائقى الشاحنات وأعوانهم الذين تسلموا الضحايا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا « السر الفظيع » .

وروج فيزنتال لخرافة « الصابون البشرى » في مقالاته المنشورة عام ١٩٤٦ في جريد الطائفة اليهودية النمساوية درنيوفنج (الطريق الجديد) ، كتب يقول : لقد سمعت العبارات المخيفة « النقل من أجل الصابون » لأول مرة في أواخر عام ١٩٤٢ . وقد تم هذا في الحكومة العامة (لبولندا) وفي المصنع الذى كان كائنا في جليسى ، في بلزيك . ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مايو ١٩٤٣ ، استخدم ٩٠٠٠٠٠ يهودى كمواد أولية في هذا المصنع» . وأضاف أنه بعد تحويل الجثث إلى موادها الأولية ، استخدمت البقايا الدهنية لإنتاج الصابون» . ثم

قال : ولا يمكن للعلم المتمدن أن يتصور سرور النازى بهذا الصابون وفرحة زوجاتهم به ، هذا الصابون يحمل الحروف RIF وهو رمز على «مكتب الرايخ للتموين بالمواد الدهنية » وقرأ البعض هذا الرمز خطأ على أنه RTF ، أى « دهن يهودى صافى » وبعد ذلك انتشرت الإشاعة كالريح .

وتوجد ثلاث وثائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنًا ، بوضع حد للجدل بشأن « غرف الغاز » وهى : « تقرير لوشتر » (٥ أبريل ١٩٨٨) ، ومعاينة كراكوفى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠ ، ووثيقة جرمار رودولف (١٩٩٤) ، لأنها هى الوحيدة التى تكشف عن نهج علمى وموضوعى ، وتتضمن تحليل العينات المأخوذة على الموقع ، مما يتيح التحليل الكيميائى .

والزيكلون ب ، المصنوع من حامض السيانيدر، هو الذى زعم أنه . . قتل عددا كبيرا من المعتقلين بالغاز. وهو عادة ما يستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التى يخشى منها أن تنشر الأوبئة ، ولا سيما التيفوس ، وقد استخدم ابتداء من الحرب العالمية الأولى لأول مرة ، ولكنه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الإعدام في أحد المحكوم عليهم بالإعدام في أريزونا عام ١٩٢٠ . ثم استخدمته ولايات أمريكية أخرى لنفس الغرض ، ولا سيما في كاليفورنيا وكولورادو والماريلاند والمسيسيبى ، وميسورى ، ونيفادا ، ونيومكسيكو ، وكارولينا الشمالية .

[المصدر: تقرير لوشتر (رقم ٩٠٠٤) .

وقد عمل المهندس لوشتر كخبير استشارى لولايات ميسورى وكاليفورنيا وكارولينا الشمالية. وقد تخلت ولايات كثيرة اليوم عن هذا النمط من الإعدام بسبب تكلفته الباهظة ليس فحسب بالنسبة لغاز السيانيدر، ولكن بالنسبة أيضا لمواد تصنيعه وصيانته التى تستلزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام.

وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات « غرف الغاز » المزعومة في أوشفيتز ـ بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية: « إن الفحص العينى للمنشآت تشير إلى أن تصميمها كان رديئًا للغاية وخطرًا إذا ما استخدمت كغرف للإعدام » وخلص لوشتر إلى أن أى من الشروط لم تستوف للقول بأنها غرف الغاز القاتلة. وكان أى إنسان يعمل فيها سيعرض نفسه للخطر، وبعد أن استعرض جميع المواد الوثائقية وفحص جميع الأماكن في أوشفيتز ، وبركيناو، وماجدانك، وجد أن البراهين دامغة: فلم توجد في أى من هذه الأماكن غرف غاز قاتل ».

[المصدر : تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨].

وفي أثناء محاكمة تورنتو، كشف المحامى كريستى كم كانت الشهادات « تتعارض مع حقيقة الإمكانيات الكيميائية والتقنية. وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب، كانت أهم بكثير في القاعات التى تأكد أنها كانت مخصصة للتطهير، عنها في القاعات المزعوم أنها كانت « غرف

للغاز».

[المصدر : المرجع السابق].

وهذه النتيجة أكدتها جزئيًّا المعاينة المضادة لكراكوفى التى أجراها معهد معاينات الطب الشرعى في كراكوفى بتاريخ ٢٠ فيراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩٠، والتى أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠.

هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التى استخدمها النازى وفقًا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كـ«مقابر للحرق» للتخلص من الجثث. وشدد على أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات.

أما ألبوم أوشفيتز وهو يضم ١٨٩ صورة أخدت من المعسكر نفسه في ذلك العهد، والذى قدم له سيرج كلاسفلد، تظهر ١٨٩ منظرًا للحياة في معسكرات الاعتقال لدى وصول قافلة من المعتقلين القادمين من المجر. وليس فيه أى شيء يثبت الإبادة الجماعية والمنظمة، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة.

[المصدر : ألبوم أوشفيتز، باريس، ١٩٨٣].

ويبدو أن الكندى جون بول، خبير تفسير الصور الجوية، هو الذى جمع أكبر قدر من المستندات التصويرية الأصلية وأجرى بكفاءة تحليلاً صارمًا لها. وجاءت استنتاجاته متعارضة تمامًا مع التاريخ

الرسمى .

[المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا ، ١٩٩٢].

ولا يمكن لكتاب بريساك المعنون « محارق أوشفيتز » الذى لا يخصص سوى فصل واحد من ٢٠ صفحة لغرف الغاز، والذى لا يشير إطلاقًا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أو يعادل تحليلات لوشتر.

وطالما لم تجر بين خبراء من ذوى الكفاءات المتساوية، مناقشة علمية وعلنية بشأن المهندس فرد لوشتر ، وبشأن معاينة كراكوفى المضادة، التى جرت في ١٩٩٠ بناء على طلب من سلطات متحف أوشفيتز، وطالما أن مجموع أوراق النقاش حول « غرف الغاز » لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة .

وحتى هذه اللحظة ، فإن الحجج الوحيدة التى استخدمت حيال الرافضين للتاريخ الرسمى، كانت هى الامتناع عن المناقشة، والاغتيال، والرقابة والاضطهاد .

●●●

٣ ـ أسطورة الستة ملايين

« الهولوكوست »

« الإبادة الجماعية: هى الإبادة المنظّمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها».

قاموس لاروس

« وعلى غرار الوعد الإلهى الوارد في التوراة ، فإن الإبادة الجماعية هى عنصر من عناصر التبرير الأيديولوجى لإنشاء دولة إسرائيل » توم سيجيف ، المليون السابع.

١٩٩٣ـ ص ٥٨٨.

عادة مـا تستخدم عبارات ثلاث لتعـريف المعاملة التى عـانى منها اليهـود على أيدى النـازيين وهى : الإبادة الجمـاعية ، والهـولوكـوست والشُواه **SHOAH**.

ولعبـارة « الإبـادة الجماعيـة « معنى محـدد من واقع أصل الكلمـة نفسها وهـو إبادة جنس ما ، وذلك بـافتراض وجود جنس يهـودى كما تدعى العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب ، « إبادة جماعية » لليهود ؟ .

ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس . فلاروس على سبيل المثال يعطى هـذ التعريف : « الإبادة الجماعيـة هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها » .

ولا ينطق هذا التعريف حرفيا إلا في حـالة غزو يشوع لأرض كنعان ، حيث جاء فى سفـر العدد آنه بالنسبـة لكل مدينة مفتوحـة « لم يبق بها شريد (أى إنسان حى) » . (العدد ، ٢١ ـ ٣٥) .

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطـريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلـق بإفناء شعب بأكملـه والقضاء عليـه كما هـو الحال بالنسبة للإبادات المقدسـة » للعمالقة والكنعايين وغيرهم من الشعوب الأخـرى الـذى تحـدث عنهـا سفـر يشـوع بأنهـا حـدثت في عجلـون وحبرون : « ولم يبق منهم بـاقيًا » (يشوع ، ١٠ ـ ٣٧) أو في حـاصور: «وأمـا الرجـال فضـربوهم جميعًـا بحد السيـف حتى أفنوهم ولم يبقـوا نسمة» . (يشوع ، ١١ ـ ١٤) .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن اليهودية (وتعريفها « كنجس » ينتمي إلى القاموس الهتلرى) قد حققت انطلاقة هائلة في العالم منذ عام ١٩٤٥ .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التى تقوم على تفوق الجنس الآرى ، وخلطه المتعمد والمنهجي بين اليهود والشيوعية التى كانت عدوه الرئيسى (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان ، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) . وأطلق على هذا الخلط عبارة «اليهودية البلشفية » .

وتوخى منذ إنشاء حزبه « القومى ـ الاشتراكى » (النازى) ، ليس فحسب استئصال الشيوعية ، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ، ومن كل أوروبا بعد أن يسيطر عليها . وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية : أولا بالتهجير ، ثم بالنفى ، وأثناء الحرب ، بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا أولاً ، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضى المحتلة ، وخاصة في بولندا ، حيث هلك السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربى ، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التى تدل كثرة المحارق على ضخامتها .

فماذا عن الحساب الختامى لهذا التعنت الهتلرى ضد هؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين ؟

لقد خلّفت هذه الحرب العالمية الثانية . ٥٠ مليونًا من الموتى منهم ١٧ مليونـا من السوفييت و ٩ ملايين من الألمـان . أما بولنـدا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا ، وكذلك مـلايين الجنود من أفريقيا وآسيا ، فقد دفعوا ثمنًا باهظًا بموت عدد كبير منهم .

وعلى ذلك ، فإن الهيمنـة الهتلرية لم تكن ، كمـا أشـاعت بعض ألـوان الدعـاية ، حكـرًا على اليهود وحـدهم ، أو أنهم كانـوا الضحايـا الرئيسيين . فقـد كانت كارثة بشـرية لا مثيل لها للأسف الشـديد ، لأن هتلر طبق على البيض مـا طبقه الاستعمـاريون الأوروبيون منـذ خمسة قرون ، على الملـونين ، ابتداء من هنـود أمريكـا ، الـذين استؤصل منهم ٦٠ مليونـًا من ٨٠ مليونًا (وبالأشغـال الشاقة كـذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلـى عشرين مليونًا إلى الأمريكتين ، بعـد أن مات منهم ١٠٠ إلـى ٢٠٠ مليون خـلال فتـرة الرق واصطيـاد العبيد السود .

وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميـع : فالحديث عن « أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ » كان بـالنسبة للاستعماريين الغربيين ، إنزالاً للستـار على جـرائمهم (قتل الهنـود في أمـريكـا ، والـرقيق السـود) ، وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التي قام بها .

[المصـدر : بول مـارى دى لاجورس ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ حرب غيـر معروفـة ، باريس ١٩٩٥ ، ص ـ ٥٣٥] .

وكانت الغـايات من ذلك غايات سيـاسية وليست غايات حـربية .

فقد كتب تشرشل ابتداء من ١٩٤٨ في كتابه : الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع) : من الخطأ الافتراض بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية » .

ويؤكد الأميرال الأمريكى وليم ليهى قي كتابه « كنت هناك » على هذا قائلا : في رأيى أن استخدام هذا السلاح البربرى في هيروشيما ونجازاكى لم يكن عونًا كبيرًا في الحرب ضد اليابان » .

والواقع أن الإمبراطور هيروهيتو كان قد بدأ المفاوضات للاستسلام فى ٢١ مايو ١٩٤٥ ، مع الاتحاد السوفيتى (الذى لم يكن قد دخل الحرب مع اليابان بعد) ، وذلك بواسطة وزيره للخارجية والسفير السوفيتى مالك .

[المصدر: المرجع السابق ، ص ـ ٥٣٢].

وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين .

وعلى هذا فقد كان الهدف سياسيا لا حربيا ، كما صرح بذلك الوزير الأمريكى للطيران فلنتر شارحًا أن استعمال القنابل الذرية كان هدفه « طرح اليابان أرضًا » قبل دخول روسيا الحرب » . ويلخص الأميرال الأمريكى ليهى في كتابه السابق : « باستخدامنا القنبلة الذرية كأول من استخدمها ، فإننا قد هبطنا إلى مستوى برابرة العصور الوسطى» .

وبالنسبة لكل هؤلاء الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة

دولية مكونة من دول محايدة كمجرمى حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشفوا لأنفسهم حججًا « بغرف الغاز » و « عمليات الإبادة الجماعية»، وهى حجج لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل.

وكتب المؤرخ الأمريكى أولبريت، الذى كان مديرًا للمعهد الأمريكى للبحوث الشرقية، في كتابه الأساسى، « من العصر الحجرى إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها »، وبعد أن برر « الإبادات الجماعية المقدسة » ليشوع فى غزوه لكنعان، يقول « إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين. . لأننا قد أبدنا. . . آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢٠ (ص ـ ٢٠٥).

وعبارة « هولوكوست » المطبقة على نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فينزل : « الليل » (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم «الهولوكوست»، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثًا استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعًا مقدسًا. ومن ثم فإن « لاروس العالمى » (باريس ١٩٦٩ ، ص ـ ٧٧٢) يعرف الهولوكوست كالآتى : « قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا ».

وبذلك أصبح استشهاد اليهـود لا يعادله استشهاد آخر نظـرًا لطابعه القـربـانى الذى أدمجهم ضمن المشـروع الإلهى على طـريقـة صلب المسيح في اللاهـوت المسيحى، مفتتحًا بـذلك عصرا جديـدا، الأمر الذى أتاح لأحـد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولـة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست ».

ولتبريـر الطابع المقدس للهـولوكوست كـان ولابد من الإبادة التـامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

نعم الإبادة النهـائية، ومن أجلها كـان لابد من تـوخى الحل النهائى للمشكلة اليهودية الذى صار إبادة.

ومع هــذا فلم يتسن تقــديـم أى نص يثبت أن « الحل النهــائى » للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة.

ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية، منذ بياناته الأولى، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير « اليهـودية ـ البلشفية ») ؛ وكانت معسكرات الاعتقـال الأولى التى أقامهـا مخصصة للشيـوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف، بما فيهم رئيسهم تيلمان.

أما بالنسبة لليهود، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولاً أنهم من أنشط الحـركيين في الثـروة البلشفيـة (تـروتسكى، وزينـوفييف، كـامنيف، . . إلخ)، وأنهم في الوقت ذاتـه. من أشـد الرأسمـاليين استغلالاً للشعب الألمانى.

وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألمانى نحو الشرق، على طريقة الفرسان التوتونيين، سحق الاتحاد السوفيتى، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية، والذى ظهر إبان سطوته على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس). وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبير من اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف.

ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن « المعاداة السوفيتية للسامية». فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية « المفوضين السياسين» للمشايعين الذين تكفلت الوحدات الخاصة بالقضاء عليهم.

أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم.

وشرع هتلر في ذلك على خطوات هى:

● الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح له بسلب أموال الأغنياء منهم. (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في شركة «ععفرا»

في هذه العملية بالوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية).

● والخطوة الثانية كانت الإبعاد بلا شرط متابعة للمخطط الرامى إلى إرسالهم جميعاً إلى جيتو عالمى، وهو جزيرة مدغشقر بعد استسلام فرنسا. وجرى التخلى عن هذا المشروع لضخامة العملية وصعوبتها في زمن الحرب.

● الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا ، ولا سيما بولندا، والذى أمكن التوصل إليه بفضل « الحل النهائى » وهو تفريغ أوروبا من يهودها، بنقلهم بشكل مكثّف إلى معسكرات خارجية، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب، بما فى ذلك التجويع والسير الإجبارى، والمميت للضعفاء، والأشغال الشاقة في ظروف لا إنسانية لخدمة المجهود الحربى الألمانى (وكان معسكر أوشفيتز - بيركيناو على سبيل المثال أكبر مركز للصناعات الكيميائية). وأخيرًا الأوبئة، وخاصة التيفوس، التى اجتاحت المعتقلين المنهكين.

فهل من اللازم اللجوء إلى أساليب أخرى لشرح الموت الفظيع الذى حاق بضحايا مثل هذه المعاملة ، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة، والاضطرار إلى تخفيضها لاحقًا؟ .

● وكذلك استبدال اللوحة التذكارية بمعسكر بيركيناو — أوشفيتز لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟ .

● تغيير لوحة « غرفة الغاز » في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا .

● أو تغيير لوحة « استاد الشتاء » في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ٨١٦٠ وليس ٣٠٠٠٠ كما جاء في اللوحة الأصلية التى تم سحبها .

[المصدر : لموند ، ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، ص-٧].

وليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة . فقتل إنسان برىء واحد سواء أكان يهوديًا أو لم يكن ، هو جريمة ضد الإنسانية . ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى برقم الستة ملايين ، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين ودرسدن وهيروشيما ونجازاكى لا يجوز الاقتراب منه على العكس من الرقم الذهبى الستة ملايين الذى يحظى بالتقديس ، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

وفيما يتعلق بمعسكر أوشفيتز - بيركيناو وحده :

● ٩ ملايين وفقًا لفيلم المخرج الفرنسى آلان رينيه « الليل والضباب » ، الذى أخرجه عام ١٩٥٥ ، مع أنه فيلم رائع ومؤثر .

● ٨ ملايين وفقًا « لوثائق خدمة تاريخ الحرب » - معسكرات

الاعتقـال ، الــذى أصـدره المكتب الفرنــسى للنــشر عـام ١٩٤٥ ، الصفحة ٧ .

● ٤ مـلايين طبقًـا للتقـرير السـوفيتى الـذى جعلت منـه محكمـة نورمبـرج دليل إثبات شرعى وفقًـا للمادة ٢١ من النظـام الأساسى التى تنص على ما يلى : « تكون للـوثائق والتقارير الـرسمية للجان التحقيق التـابعة لحكـومات الحلفـاء قوة دليل الإثبـات الشرعى » ومع أن هـذه المادة نفسهـا تنص على أن « هذه المحكمـة لن تطالب بتقـديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع ، وستعتبرها أدلة مسلـم بصحتها » .

● ٢ مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف « ترانيم الحقد »، ١٩٧٤ ص ـ ٤٩٨ .

● مليـون وربع حسب مـا جـاء في كتـاب المـؤرخ اليهـودى راءول هيلبرج ، « تدمير يهود أوروبا »، الصادر عام ١٩٨٥ ، ص ـ ٨٩٥ .

والآن وبعـد أبحاث تـاريخية مطـولـة قام بهـا علماء من جنسيـات مختلفة ، أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس ، السيد فرانسو بيداريدا ، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه « تقييم ضحايـا أوشفيتز » ، خلص فيـه إلى أن عدد ضحـايا معسكـر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ على أقل تقدير و ٢ , ١ مليون على أكثر تقدير.

[المصدر : لموند ، ٢٣ يوليه ١٩٩٠] .

ويمكن كذلك عمل تقييم لعـدد الموتى في المعسكـرات الأخرى .

فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟

● مليون ونصف طبقـا للوسى داودوفيتش في كتاب « الحـرب ضد اليهود» ، الصادر في عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١٩١ .

● ٣٠٠٠٠٠ حسب لياروش وإبرهارد، ١٩٩١، ص-٢١٧ .

● ٥٠٠٠٠ حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .

وهنا يطرح السؤال التالى . ألا يخدم الدعـاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ » .

ونفس هذه المغالطـات المريبة بشأن أساليب قتل اليهـود، قد تثير الشك أيضًا :

● فالنيويورك تايمـز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن « مبنى للإعدام » كان يعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودى يوميًا .

● وفى ديسمبـر ١٩٤٥ ، أدخل ستيفـان زينـد اليهـود في حـوض سباحـة ضخم يمـر فيـه تيـار كهـربـائى ذو ضغط عـالٍ لصعقهـم، ويضيف : « وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلّت » .

● وثيقـة نـورمبرج رقم ٣٣١١ المـؤرخـة في ١٤ ديسمبـر ١٩٤٥ ، وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل « غرف البخار المحرق » .

● وبعـد شهرين ونصف ، استبـدلت نفس هـذه المحكمة غـرف

البخار المحرق بغرف الغاز.

ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل.

والأمر الذى يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أى محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أى معاينة من أجل التحديد النهائى لسلاح الجريمة.

●●●

وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. . فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود «غرفة غاز» واحدة فقط. هى غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدًا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدًا!.

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠، بيان عن مارتى بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو، أو بريجن ـ بيلسن، أو بوشنفالد . . ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ . . . وقبل كل شيء في الأراضى البولندية المحتلة».

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التى ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا

إنسانية خلّفت آلاف الجثث في الطريق، وسوء التغذية، والأوبئة، فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدى النازى؟

وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأى ثمن على هالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح « غرف الغاز »؟.

ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوى النيات الطيبة بين «محارق الموتى » و « غرف الغاز »، ووجود عدد هام من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة، وحرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة « غرف الغاز » إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة « سلاح الجريمة » بالعثور عليها.

وقد خدع الإخراج الذى أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين !.

وكانت غرفة الغاز في داخاو هى الوحيدة التى عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج، بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.

٣ ـ أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد شعب فلسطيني.. وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده . فهم (الفلسطينيون) لا وجود لهم » .

السيدة جولدا مائير

في تصريح لجريدة الصنداى

تايمز اللندنية

بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٦٩.

ترتكز الأيديولوجية الصهيونيـة على فرضية واهية وجد بسيطة هى أنه قد جاء في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢١) . ما يلى :

« في ذلك اليوم بتّ الـرب مع « أبرام » عهـدًا قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

وانطلاقًا من ذلك ، ودون التساؤل عن مـاهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشـروط ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدريين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب .

وتشير الإحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥٪ من الإسرائيلين فقط هم من المتـدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ ٪ منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب . . الذى لا يؤمنون به .

ولا تمـارس الغالبيـة العظمى للإسـرائيليين الحاليين الطقـوس ولا العقيدة الـدينية ، ولا تضم مختلف « الأحزاب الـدينية » التى تلعب مع ذلك دورًا حـاسمًـا في دولـة إسرائيـل ، سوى أقليـة ضعيفـة جـدًّا من المواطنين .

وشـرح ناثـان وينستوك هـذا التنـاقض في كتابـه « الصهيـونية ضـد إسـرائيل » قـائلاً : لو ألغينـا مفـاهيم « الشعب المختـار » و « الأرض الموعودة» لانهارت الصهيونية من أساسها » .

[المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل ، باريس ١٩٦٩ ، ص ٣١٥] .

« إن هذا البلد وجد كوفاء لـوعد أخذه الرب على نفسه . ومن المثير

للسخرية محاسبته على شرعيته. وتلك هى البديهية المسلم بصحتها والأساسية التى وضعتها جولدا مائير ».

[المصدر : لموند ، ١٥ أكتوبر ١٩٧١].

« لقد وُعدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها ». كما يقول بيجين.

[المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٨].

ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقة « صيد الهنود » في أمريكا لطردهم والاستيلاء على أراضيهم عندما قال بوضوح : « إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن ، فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة وديناميكية موجهة نحو التوسع ».

وتتطابق الممارسة السياسية مع النظرية الغربية التى مفادها : الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع ، خليفة موسى.

وقد أعلن مناحم بيجين ، وهو أشدهم إيمانًا بالتقاليد التوراتية : أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل ، كلها وللأبد ».

[المصدر : مناحم بيجين ، العصيان ، قصة الأرجون ، ص ـ ٣٣٥].

وهكذا ومنذ البداية ، تضع دولة إسرائيل نفسها فوق كل قانون دولى.

ولما فرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١١ مايو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحدة ، فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هى :

١ ـ عدم المساس بوضع مدينة القدس .

٢ ـ السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .

٣ ـ احترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة : « ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، يعتبر باطلاً وكأنه لم يكن » .

وتتطابق السياسة تمامًا مع قانون الغاب هذا : إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدًا .

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن «قاعدته المتقدمة »، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢٪ من السكان ، ولا يملكون سوى ٦ , ٥ ٪ من الأرض . ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦ ٪ من الأراضى ذات التربة الخصبة . ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة . فقد مارس الرئيس ترومان ضغطًا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية . وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلز : بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة . . لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى » .

[المصدر سومنرويلز، « علينا ألا نخفق »، بوسطون، ١٩٤٨ ، ص ـ ٦٣].

ويـؤكد جيمس فـورستال، وزيـر الدفـاع آنذاك ، أن: « الأسـاليب المستخـدمـة للضغط ، ولإكـراه الـدول الأخـرى في الأمم المتحـدة، أَشْفَتْ [قاربت] على الفضيحة».

[المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١ ، ص ـ ٣٦٣].

وقد تم أيضـا تعبئة قـوى الاحتكارات الخـاصة لهـذا الغرض. ومع ذلك ، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء من عام ١٩٤٨ .

فكلمـا احتج العـرب على هـذا الظلم ورفضـه، تمـادى الـزعمـاء الإسرائيليون في استغلال ذلك لـلاستيلاء على أراضٍ جديدة، لا سيما يافـا وعكا، بحيث سيطـر الصهاينة فـي ١٩٤٩ على ٨٠٪ من البلاد، وطُرد ٧٧٠,٠٠٠ فلسطينى منها.

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف.

والمـثل الصـارخ على ذلك هــو دير يـاسين. فـفي التاســع من أبريل ١٩٤٨ ، بطـريقة مماثلـة لطريقة النـازى في أورادور، قتل أهالى هـذه القريـة البـالغ عددهـم ٢٥٤ نسمة (الـرجـال والنساء والأطفـال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التى كان يرأسها مناحم بيجين.

ويقـول مناحم بيجين إنـه بدون « الانتصـار » في ديـر ياسين، مـا قامت دولة إسرائيل « فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى. . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهـم يصيحون: دير ياسين ».

وقـد اعتبـر «غـائبـا» كل فلسطينى غـادر منـزلـه قبل أول أغسطس ١٩٤٨ . وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضى المملوكة للعرب (٧٠٠٠٠ هكتار من ١١٠٠٠٠) . وعنـدما صدر فـي عام ١٩٥٣ ، قانـون حيازة العقارات ، حـدد التعويض حسب قيمـة الأراضى في عام ١٩٥٠ ، مع أن الجنيه الإسرائيلى كان قد فقد قيمته بمعدل خمس مرات .

وكانت الأمم المتحدة قد عينت وسيطًا هو الكونت فولك برنادوت ، الـذى وصف في تقريـره الأول السلب الصهيـونى على النطاق الـواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة .

وقدم هذا التقريـر في ١٦ سبتمر ١٩٤٨ . وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨ ، اغتيل الكونت برنـادوت ومساعده الفرنسى الكولـونيل سيرو ، في الجزء الذى يحتله الصهاينة من القدس .

ولم تكن هـذه أول جريمـة صهيونية ضـد من يتجاسـر على فضح تضليلهم وغشهم .

فقد أعلن اللورد موين ، الوزير المفوض البريطانى في القاهرة ، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢ ، إن اليهـود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء ، وأنهم لا يملكون المطالبة الشـرعية بالأراضى المقدسة . وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤ ، اغتيل اللـورد موين في القاهرة على يـد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لإسحق شامير) .

كمـا حلـت دولـة إسـرائيل محـل المستعمـرين القـدمـاء وبنفس الأسـاليب في الزراعـة وغيـرها ، وبـذلك تـواصل النظام الاستعمـارى

وتفـاقم . ويعتـرف الـدكتـور روزنفيلـد في كتـابـه «العمـال العـرب المهـاجرون» الـذى نشرتـه الجامعـة العبريـة في ١٩٧٠ ، بأن الزراعـة العربية كانت أكثر ازدهارًا وقت الوصاية البريطانية منها اليوم .

وظهر التمييز العنصـرى كذلك في إطار سياسة الإسكـان . فقد ذكر إسـرائيل شاحـاك ، الأستاذ بنفس هـذه الجامعـة العبريـة في كتابـه : «عنصرية دولة إسرائيل » (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل ، ونزارت ، وإليت ، وهتزور وأراد وميتزفين ـ رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود .

وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم .

ونحن هنـا في صميم المنطق الصارم للنظـام الصهيونى وهـو كيفية خلق أغلبية يهـودية في بلد تسكنه طـائفة عربية فلسطينيـة من السكان الأصليين ؟

وطرحـت السياسة الصهيـونية الحل الـوحيد المنبثـق عن برنـامجها الاستعمارى الاستيطـانى : إنشاء مستعمرة إسكـان بطرد الفلسطينيين ، ودفع عجلة الهجرة اليهودية .

وقد كـان طرد الفلسطينيين والاستيـلاء على أرضهم عمليـة متعمدة ومنظمة . فالصهاينة أيام وعـد بلفور في ١٩١٧ ، كان لا يملكون سوى ٢,٥ ٪ من الأراضى ، ولدى صـدور قرار « تقسيم » فلسطين ، ٦,٥ ٪ أما في عام ١٩٨٢ ، فإنهم كانوا يملكون ٩٣ ٪ من الأراضى ! .

وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضي من سكانها الأصليين، هي نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية.

وقد اتخذت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكي، أي استغلال اليد العاملة المحلية. وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذي كان يستخدمه في زراعته للعنب في الجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مدّ أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربًا آخرين هم الفلسطينيون.

وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩٠٥، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩٠٥. فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فروا إلى فلسطين حاملين معهم نوعًا غريبًا من « الاشتراكية الصهيونية ». حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية. ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطيني بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض.

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هي إنشاء « الصندوق القومي اليهودي » في عام ١٩٠١، الذي كان له طابعه الخاص المتمثل في أن

الأرض التى تقع في حـوزتـه لا يمكن إعـادة بيعهـا ولا تأجيـرهـا لغيـر اليهود، لأنها أصبحت أراضى إسرائيل ».

وثمة إجـراء آخر وهـو استخدام « قـوانين الطوارىء » التى أصـدرها الإنجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب.

وقد احتج القـانونى اليهودى برنـارد جوزيف ضد هذا التشـريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضـة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسـرائيل. وفيما يتعلق بهـذه القوانين كذلـك، فإن جوزيف شبيسرا أعلن فى مظـاهـرة احتجـاج فـي شـوارع تل أبيب في ٧ فبـرايـر ١٩٤٦، أن هذا التشريع لا مثيـل له في البلدان المتمدينة، ولـم توجد حتى في ألمـانيا النازيـة قوانين ممـاثلة ». ونفس هـذا الشخص الذى أصبح نائبًا عـاما ثم وزيرًا للعدل في دولة إسـرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبررًا ذلك بأن حالـة الطوارىء لـم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل.

وكتب شيمون بيـريز في صحيفة دافـار بتاريخ ٢٥ ينايـر ١٩٧٢ ما يلى: « إن استخدام القـانون ١٢٥ (وهو قـانون الطوارئ) الـذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية ». أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أبـاح لوزير الزراعة دون التذرع بـالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قـامت به

القوى الصهيونية من تفريغ للأرض من سكانها العرب بالطرد والترويع والمذابح كما حدث في دير ياسين عام ١٩٤٨ ، ثم في كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، قد « حرر » أراضي شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب ، وأعطيت للمحتلين اليهود .

ولمحو ذكرى وجود السكان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة « بلاد صحراء » ، دُمّرت القرى العربية وهُدِّمت منازلها وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها . وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨ . وقال وليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى « صحراء »، دكت مئات القرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها» .

[المصدر : إسرائيل شاحاك ، عنصرية دولة إسرائيل ، ص ١٥٢ وما بعدها] .

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية ، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية وهى تسليح المستوطنين . وكانت النتيجة الإجمالية هى الآتى : بعد طرد مليون ونصف مليون فلسطينى ، أصبحت «الأرض اليهودية » كما يقول العاملون في «الصندوق القومى اليهودى »، تمثل اليوم ٩٣٪ من فلسطين بعد أن كانت ٥ , ٦٪ عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف « قانون العودة » لصالح اليهود . فأى يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنًا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامه مطار تل أبيب ، أما

الفلسطينى المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية .

ويقولون إن ليس في هذا أى تمييـز عنصرى ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود ! .

والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء « بالـوعد » . وهذا من حسن الحـظ ، لأن اليهود قد لعبـوا دورًا بارزًا في كل بلدان العالـم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغـرض الذى وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمى .

فقـد كان هنـاك ٢٥٠٠٠ يهـودى عـام ١٨٨٠ في فلسطين من بين ٥٠٠٠٠٠ نسمة من السكان .

وابتداء مـن عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجـرات الكبرى عقـب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية .

وعلى ذلك فمن عـــام ١٨٨٢ وحتى عـام ١٩١٧ ، وصل ٥٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطيـن . ثم جاء المهاجـرون البولنـديون ويهـود المغرب هربًا من الاضطهاد ، وذلك بين الحربين العالميتن .

ولكن أهم مجموعـة ضخمة كـانت المجموعة القـادمة من ألمـانيا بسبب معـاداة هتلـر للسـاميـة ، فـوصل نحـو ٤٠٠،٠٠٠ يهـودى إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٤٧، وعشية إنشاء دولة إسرائيل، كان هناك ٦٠٠٠٠٠ يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة.

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين. فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠٠٠٠ عربى يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل. وفي ١٩٤٩، لم يتبق سوى ١٦٠٠٠٠. وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠. وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩، دُمّر ٢٠٠٠٠ منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية.

وكان التعداد البريطانى الذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢، قد أحصى ٧٥٧٠٠٠ نسمة في فلسطين، منهم ٦٦٣٠٠٠ من العرب (٥٩٠٠٠٠ من العرب المسلمين، و ٧٣٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٨٣٠٠٠ يهودى (أى: ٨٨٪ من العرب و ١١٪ من اليهود). والجدير بالذكر أن هذه «الصحراء» المزعومة كانت تصدر الحبوب والموالح. فقبل الصهاينة، كان «البدو» يصدرون ٣٠٠٠٠ طن من القمح سنويا، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢، وبالبرتقال وغيره من الموالح، وتضاعفت سبع مرات، فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٧، وتضاعف الإنتاج عشر مرات فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٨.

وجاء في تقرير بيل الذي قدم إلى البرلمان البريطانى في يوليه ١٩٣٧ ، بشأن صادرات الدول من سلال البرتقال الشتوى، جاء ما يلى :

فلسطين : ١٥ مليون سلة .

الولايات المتحدة: ٧ ملايين سلة .

إسبانيا : ٥ ملايين سلة .

بلدان أخرى (قبرص، مصر ، الجزائر، . . إلخ) ٣ ملايين .

[المصدر: تقرير بيل، ص ٢١٤].

وكتبت صحيفة اديعوت أحرونوت اليومية ، ذات أكبر توزيع في إسرائيل تقول :

« منذ السبعينات ، لم يحدث مثل هذا التسريع بالإنشاء والتشييد في الأراضى (المحتلة) فاريل شارون مشغول بإنشاء مستوطنات جديدة، وتطوير المستوطنات الموجودة، وبناء الطرق وإعداد مساحات جديدة للبناء » .

ومن الوهم الاعتقاد في أى « استقلال ذاتى» حقيقى للفلسطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهودية في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى ، وتسليح المستوطنين ، فهذا يجعل من المستحيل قيام أى سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع .

وتبذل الجهود الرئيسية للاستيطان الاستعمارى في القدس بهدف جعل قرار ضمها بالكامل نهائيا ولا رجعة فيه، وهو ما شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!).

إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضى المحتلة هى انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والتى تنص المادة ٤٩ منها علـى ما يلى: « لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأى نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التى تحتلها ».

وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولى، فهو لم يُسكِّن أى مستوطن مدنى ألمانى في الأراضى التى طرد منها الفلاحين الفرنسيين.

وحجة « الأمن » و « إرهاب » الانتفاضة، هى حجج واهية، والأرقام تتحدث عن نفسها في هذا الصدد : فقد قتل ١١١٦ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة (ثورة الحجارة)، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧، وبرصاص العسكريين والشرطة والمستوطنين .

والمصادر العسكرية تتحدث عن ما يقرب من عشرين ألفا من الفلسطينيين الجرحى، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا.

وحسب المنظمات الإنسانية، اعتقل ١٥ ألف فلسطينى في ١٩٩٣ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الإسرائيلى. وتوفى ١٢ فلسطينيًا في السجون الإسرائيلية منذ بداية الانتفاضة وفي ظروف

غامضة. وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب ٢٠ ألف فلسطينى على الأقل أثناء الاستجوابات.

وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانون الدولى مرجعه نظرة إسرائيل إلى القانون الدولى الذى يعتبر بالنسبة لها مجرد « قصاصة ورق » لا قيمة لها، أو كما يقول « الأستاذ إسرائيل شاحاك»: «لأن هذه المستوطنات، بطبيعتها، تندرج ضمن نسق متكامل، من النهب والسلب، والتفرقة والفصل العنصرى».

[المصدر: المرجع السابق، ص-٢٦٣].

●●●

ثالثًا
الاستخدام السياسى للأسطورة

١ ـ اللوبى فى الولايات المتحدة

« إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكُثير تأثيره في بلده » .

بول فندلي«يتجرؤن علي الكلام» ؛ص ٩٢

كيف أثارت هذه الأساطير العقائد التى يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟

ـ بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام . وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد .

ففى الولايات المتحدة حيث يعيش ٦ ملايين من اليهود ، فإن الصوت الانتخابى اليهودى » يمكن أن يكون حاسمًا ، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل ، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط .

وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتى تتوقف إلى حد كبير على « مظهر » المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون ، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه و إمكانيات « تسويقه » السياسى .

وأقوى لوبى معترف به في الولايات المتحدة هو « إيباك » (لجنة الشئون العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية) .

ولقد كانت قـوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشـدها بالفعل عام ١٩٤٢ ، بحيث قرر الاتفـاق الذى أبرم فى فندق بلتيمـور بنيويورك أنـه ينبغي الانتقال من فكـرة « وطن يهـودى في فلسطين » (وهو الـذى وعـد به بلفـور) ، إلى إنشـاء دولة يهـوديـة ذات سيادة. وهنـا تكمن الازدواجية التى عـرفت بها الصهيونيـة طوال تـاريخها. فالجميع كـانوا يتحدثـون عن « وطن » كما لو كـان الأمر يتعلق بمقـر روحى أو ثقافى، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في « دولـة » ، كهرتزل نفسه. وإلى هذا أشـار الجنـرال سمطس، عضـو حكومـة الحـرب، عنـدمـا أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥ : « خلال الأجيال القادمة، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين) » .

وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول : « بينما ويزمان يقول شيئا، وأنت تفكر أن هذا الشيء هو « وطن قـومى يهودى » ، فإنه يرمى إلى شيء آخـر مختلف تمـامـا ، إنـه يتطلع إلى دولـة يهـوديـة ، وإلى إخضاع السكـان العرب لحكم اليهود. إنـه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار، وبحماية الضمان البريطانى » .

وقد شرح ويزمـان بوضوح للحكومة البريطانيـة أن هدف الصهيونية هو إنشـاء « دولة يهودية » (بهـا أربعة أو خمسة ملايين يهـودى). وقد أعطاه لـويد جورج وبلفور التأكيـدات على أنه باستخـدام عبارة « وطن قومى » فى إعلان بلفور، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية » .

وفي ١٤ مـايو ١٩٤٨ ، أعلن بن جـوريون في تل أبيب استقـلال : «الدولة اليهودية في فلسطين والتى ستسمى : إسرائيل » .

وحول الاختـلاف في الرأى بين بن جوريـون الذى كان يـرى أنه من الـواجب على كل يهودى في العـالم القدوم للعيش في هـذه الدولـة ، وبين المنادين بـأن نشاط اليهود في الـولايات المتحـدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها ، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك ، ولم يستقر في إسـرائيل سوى ٥٤٠٠ يهـودى من بين ٣٥٠٠٠ أمريكى أو كنـدى هاجروا إلى إسرائيل .

[المصـدر : ملفين روفيسكى ، اليهـوديـة الأمـريكية وإسـرائيل ، نيـويـورك ، ١٩٧٨ ، ص ـ ٢٦٥] .

وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبى .

وعن قوة اللـوبى الصهيونى « والصـوت الانتخابى اليهـودى » صرح الرئيس ترومان نفسه أمام مجمـوعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦ : « آسف أيها السادة ، ولكن علىّ أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الـذين ينتظـرون فـوز الصهيـونيـة ، وليس لـدى آلاف العـرب من بين ناخبي» .

[المصـدر : وليم إيـدى ، روزفلت وابن سـعود ، نيـويـورك ، ١٩٥٤ ، ص ـ ٣١] .

ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلي على ذلك بقوله :

« إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابي اليهودى، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى» .

وقد أوقف أيزنهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلى في عام ١٩٥٦ (بدعم من الزعماء الإنجليز والفرنسيين) على قناة السويس .

ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة . ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تبيّن له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيئًا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم . . وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحًا للحزب الديمقراطى، وحصل على ٥٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود، وعلى ٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود، عين كلوتزنيك، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا، مستشارًا له » .

[المصدر : ملفين روفيسكى، المرجع السابق ، ص ٢٦٥].

وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيويورك في ربيع ١٩٦١ ، قال له كنيدى : « أعرف تمامًا أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين . وأنا أدين لهم بانتخابى . وقل لى ماذا علىّ أن أفعله من أجل الشعب اليهودى » .

[المصدر: ادوارد تيفانان: اللوبى، ص ٥٦].

وبعد كنيدى، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين: « لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه.. إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية فى البيت الأبيض ».

[المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعى، بافالو، ١٩٨١، ص ٦٦].

فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧، وبكل قوة. ومنذ ذلك التاريخ، دافع ٩٩٪ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية. « وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل ».

[المصدر: شالوموا فنبرى، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١، ص ـ ٢١٩].

وفى نوفمبر ١٩٨٧، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل.

وحذا البرلمان الأمريكى حذوه. ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط « الإيباك »، وسلّم إسرائيل طائرات الفانتوم التى طلبتها. وبناء على ذلك، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام.

وعندما حضرت جولدا ماير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩،

شبهها نيكسون «بديبورا التوارتية » وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل .

[المصدر : ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥ ، ص- ١٨٥].

وسلم نيكسون لإسرائيل ٤٥ طائرة فانتوم إضافية إلى جانب ٨٠مقاتلة سكاى هوك .

وتوفى عبد الناصر فى ٢٨ سبتمر ١٩٧٠ ، عرض السادات السلام مع إسرائيل . ورفض موشى ديّان، وزير الدفاع ، على الرغم من معارضة وزير الخارجية أبا إيبان .

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، شن السادات الحرب التى سميت باسم «يوم كيبور » (حرب أكتوبر) والتى دمرت سمعة السيدة جولدا مائير واضطرتها إلى الاستقالة في ١٠ أبريل ١٩٧٤ ، وكذلك موشى ديان .

ورغم ذلك ، أحرز لوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرًا كبيرًا بالتعجيل بتسليح إسرائيل : ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس .

[المصدر: نيف ، محاربو القدس ، ص-٢١٧].

وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية .

وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم.

أما مسيرة جيمي كارتر فكانت موضوعة: ففى معبد اليزابيث في نيوجرسى ، وكان مرتديًا ثوبًا فضفاضًا من القطيفة الزرقاء، أعلن:

« إننى أعبد نفس الرب مثلكم. ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم». وختم يقول: إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة، ولكنه واجب أخلاقى ».

[المصدر : التايم، ٢١ يونية ١٩٧٦].

وفي نوفمبر ١٩٧٦ ، حضر ناحوم جولدمان، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه، فانس وبريجينيسكى، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة: حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة ».

[المصدر : شتيرن ، نيويورك، ٢٤ إبريل ١٩٧٨].

وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هامًا في اللوبى منذ أيام ترومان، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسى كانت « قوة مدمرة غاشمة » وعقبة رئيسية « أمام السلام في الشرق الأوسط».

وكان بيجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته، وإن

استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له .

وبعد مضى ست سنوات، أكد سيروس فانس هذه المقابلة وقال : لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى ، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكان القدرة على ذلك، وأن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية » .

[المصدر: اللوبى، ١٩٨٧، ص-١٢٣] .

وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨)(حيث عقد السادات سلامًا منفردا مع إسرائيل، لا يمس الضفة الغربية (يهودا وسامرا، الأراضى التوراتية حسب قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء ، وهى بالنسبة لبيجين ، ليست بأرض توراتية .

[المصدر: ستيفان إسحاق، اليهود والسياسة الأمريكية، ١٩٧٤، ص- ١٢٢].

وكان كارتر في عام ١٩٦٨ ، قد حصل على ٦٨٪ من أصوات اليهود ، وفي عام ١٩٨٠ لم يحصل إلا على ٤٥ ٪ فقط، لأنه باع طائرات ف ١٥ لمصر وطائرات أواكس للمملكة العربية السعودية، رغم تأكيداته أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل. ورغم ذلك فقد هزمه ريجان في ١٩٨٠ الذي أفرد وعلى العكس منه ٦٠٠ مليون دولار من الائتمانات العسكرية لإسرائيل. وقد شجع ذلك بيجين على تدمير المحطة العراقية النووية، التى بناها الفرنسيون

متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة : « لن يكون هناك هولوكوست آخر أبدا ». وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى .

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، ضم بيجين الجولان . واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢ ، فثار بيجين وقال : هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟ » .

وفي السنة التالية ، اجتاح بيجين لبنان . وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي ، الضوء الأخضر لهذا الغزو الذى يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان .

[المصدر : زيف شيف ، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤].

وقلة هم الأمريكان الذين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هى التى انتقدت حرب فيتنام . ولكن مذابح صبرا وشاتيلا ، تحت سمع وبصر شارون وإيتان ، والصور التى عرضها التليفزيون ، أجبرت اللوبي اليهودى على الكلام والخروج عن الصمت . وانتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى هرتزبرج ، وعدد كبير من الحاخامات ، بيجين فى أكتوبر ١٩٨٢ . واتهم بيجين الحاخام شندلر، الذى أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه « أمريكى أكثر منه يهوديًا » واتهمه بعضهم بأنه عميل .

وبهذه المناسبة ساند المسيحيون الصهاينة فى الاعتداء الإسرائيلى، وتسلم رئيسهم جيرى فالول، أعلى الأوسمة الصهيونية وهى جائزة جابوتينسكى على ما أداه من خدمات لإسرائيل، بالإضافة إلى ١٠٠ مليون دولار من الدولة الإسرائيلة و : ١٤ مليون دولار من مؤسسة سواجيرت .

[المصدر: التايم، ١٧ فبراير ١٩٨٦] .

وبهذا أصبحت القوة المالية، وبالتالى السياسية في عالم يباع فيه كل شيء ويشترى، هى القوة الحاسمة والفاصلة .

ومنذ عام ١٩٤٨، ، قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية .

[المصدر : مجلة التايم ، يونيه ١٩٩٤] .

●●●

وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في :

١ ـ التعويضات الألمانية والنمساوية .

٢ ـ السخاء غير المشروط للولايات المتحدة .

٣ ـ تحويلات أبناء « الشتات » .

بـدأوا في وضع تصـور لسياستهم الخـارجيـة قائمـة على تطلعـات طموحة لإنشاء « إسرائيل الكبرى »

والشـاهـد على ذلك، المقـال الـذى نشـرتـه مجلـة « كيفـونيم » (التوجهـات) التى تصدرها في القـدس المنظمة الصهيونية العـالمية، وعنوانه: الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات ».

« إن مصر بوصفها جسـدًا مركزيًا، فإن هذا الجسـد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين. كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافيـة منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى في التسعينات، على الجبهة الغربية.

فإذا مـا تفككت مصر وحـرمت من السلطة المـركزيـة، فإن بلدانـا أخرى مثـل ليبيا والسودان وغيـرهما مـن البلدان الأبعد، ستعـرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيـد مصر، هو مفتاح الحل لتطور تـاريخى تأخـر اليوم بسبب اتفاق السـلام، ولكن لابد منـه على المدى الطويل.

ورغم المظاهـر، فإن الجبهة الغـربية تمثل مشاكل أقـل من مشاكل الشرق. ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات . . . ما سيحدث في العالم العـربى بأسره. وتفكك سـوريا والعراق إلى منـاطق محددة على أسـاس المعاييـر العرقيـة أو الدينيـة ينبغى أن يكون على المـدى

الطويـل هدفا ذا أولـوية لإسـرائيل، على أن تكون الخطـوة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين.

فالهيـاكل العرقيـة في سوريـا تعرضهـا للتفكك الذى قـد يؤدى إلى إنشاء دولـة شيعية على طول السـاحل، ودولة سنيـة في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغـب فى تشكيل دولته الخاصة به ــ وربمـا فـوق هضبـة الجـولان ــ وعلى أى حـال مع حـوران وشمـال الأردن . . . ومثل هـذه الدولـة ستصبح على المدى الطـويل، ضمانـا للأمن والسلام في المنطقة. وهو هدف في متناول يدنا بالفعل.

والعـراق الغنى بالبتـرول، والمـرتع للمنازعـات الـداخلية هـو خط التسـديـد الإسرئيلـى. وتفكيكه سيكـون بـالنسبـة لنـا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل».

[المصدر : كيفونيم، فبراير ١٩٨٢، الصفحات ٤٩ ـ ٥٩].

ورد النص الكـامل باللغـة العبريـة وتـرجمته الفـرنسية في كتـاب: فلسطين: أرض الـرسالات السماويـة، باريـس، ١٩٨٦، الصفحات ٣٧٧ وحتى ٣٨٧).

وعندمـا تصبح أهداف خطـة كيفونيـم بعيدة التحقيق، والمجـابهة محفوفـة بالمخـاطر، فإن اللـوبى الإسرائيلى كان ينجح دائمًـا في دفع الولايـات المتحدة إلى القيام بـالعملية. والحرب ضـد العراق هى مثل صارخ على ذلك.

فقد قامت مجموعتان من مجموعات الضغط إلى دفع الولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان :

١ ـ اللوبى اليهودى ، لأن القضاء على صدام حسين سيزيل خطر أقوى بلد عربي . . .

٢ ـ لوبى رجال الأعمال ، الذى كان يعتقد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكى . .

[المصدر : آلان بيرفيت ، بيرفيت ، الفيجارو ، ٥ نوفبر ١٩٩٠].

وكان الزعماء الصهاينة لا يخفون الدور الذى يلعبه اللوبى ويمتدحونه ويشجعون عليه في جميع أحاديثهم .

ولكن الخلط بين اليهودية كدين محترم كغيره ، وبين الصهيونية السياسية التى تفترض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل التى حلت محل « رب إسرائيل » سيؤدى حتمًا إلى تغذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الإسرائيلية .

« منذ عقود ، يحاول اليهود الأمريكان جاهدين إقناع الرأى العام الامريكى أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة . ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك ، فالولاء المزدوج قد اتضح » .

[المصدر : هارتيس ، ١ ديسمبر ١٩٨٥].

والأمثلة على أن اللوبى الإسرائيلى قد نجح في فرض موقف مضاد

للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر لها، وهناك من الأدلة ما يشير إلى الكيفية التى جعلت مطالب الإسرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة :

كان رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكى، السناتور فولبريت، قد قرر مثول القادة الصهاينة الرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C . B. S فى أكتوبر ١٩٧٣، قائلا: « إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ»، وأضاف: « إن زملاءنافى مجلس الشيوخ وبنسبة ٧٠ ٪ منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبى وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مباديء الحرية والقانون ».

وفى الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ.

ومنذ ذلك التاريخ، زاد اللوبى من سيطرته على السياسة الأمريكية. وقد وصف بول فندلى اللوبى الصهيونى وقوته وهذا « الفرع الحقيقى للحكومة الإسرائيلية » يتحكم فعلاً في الكونجرس ومجلس الشيوخ ورئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والبنتاجون (وزارة الدفاع)، وكذلك في وسائل الإعلام، كما أنه يمارس نفوذه على الجامعات كما في الكنائس ».

وحدث أن ألغى مجلس النواب في ٣ أكتوبر ١٩٨٤، بأغلبية

٩٨٪ ، كل تحديد للمبادلات بين إسرائيل والولايات المتحدة رغم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات .

وفى ٨ يونيه ١٩٦٧ ، قذف الطيران والبحرية الإسرائيليان الباخرة الأمريكية « ليبرتى »، وقتل في هذه العملية ٣٤ بحارًا وجرح ١٧١ ، واعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الحادث وحفظت القضية . وثبت بعد ذلك أن هذا القذف لم يكن نتيجة خطأ ولكن كان متعمدًا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجولان. ويفسر الأميرال توماس مورر سر التغطية على هذه الجريمة قائلا: كان الريئس جونسون يخشى رد فعل الناخبين اليهود . . . » ويضيف الأميرال : «وكان الشعب الأمريكي سيجن جنونه إذا عرف بما جرى ».

وفي أعقاب اقتراح السناتور بوب دول بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قرار يطالب رابين بالعدول عن قرار مصادرة الأراضي في القدس الشرقية، استخدمت الولايات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمساندة إسرائيل. . . وقد أقلق هذا التصرف اللوبى الذي رأى في ذلك عزلاً للولايات المتحدة سيقلل من «مصداقيتها كوسيط وحيد في النزاع العربى ـ الإسرائيلى وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين . (جريدة النيويورك تايمز ١٥ / ٥ / ١٩٩٥).

وفي خلال الاجتماع السنوى للإيباك، شدَّد الرئيس كلينتون، الذي

دعى لحضوره على ضخامة المعونة العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل:

« لقد أوفت الولايات المتحدة بوعدها: فالقوة العسكرية لإسرائيل الآن هى الأقوى عنها في أى وقت مضى. . وإن تعاوننا في مجال الاستراتيجية والمخابرات أصبح تعاونًا وثيقًا تمامًا. وأجرينا هذا العام مناورات مشتركة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشآتنا لتخزين المعدات الحربية في إسرائيل. وقد أبرم البنتاجون عقودًا بأكثر من ٣ ملايين من الدولارات لشراء معدات عالية التكنولوجيا من شركات إسرائيلية . . »

[المصدر : ميدل إيست انترناشيونال، ٢٦ / ٥ / ١٩٩٥].

وكل الوسائل بالنسبة للوبى الصهيونى ملائمة وجيدة، بدءًا من الضغط المالى وحتى الابتزاز الأخلاقى مرورا بمقاطعة وسائل الإعلام والناشرين، والتهديد بالقتل.

وفي ذلك يقول فندلى: « إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل، عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبى الإسرائيلى. والرئيس نفسه يخاف منه. والكونجرس يخضع لكل مطالبه. وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه ».

٢ - اللوبي في فرنسا :

« يوجد في فرنسا لوبي قوي مناصر لإسرائيل، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة .

وقد أثارت هذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الوقت وأثارت صخبًا شديدًا، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة

[المصدر : فيليب الكسندر، لمباريزيان ليبيريه، ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨].

ومنذ ذلك الحين ، لم يتخلف أي مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية، مهما كان انتماؤه الحزبي، من ميشيل روكار إلى جاك شيراك، مرورًا بميتران، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة و التغطية الإعلامية .

ولقد وصلت القوة الإعلامية للوبي، ومركزه اليوم الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية « ليكرا »، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتلاعب بالرأى العام على هواها وحسبما يتراءى لها ؛ ومع أن السكان اليهود في فرنسا لا يشكلون سوى نحو ٢٪ من الشعب الفرنسى، فإن الصهيونية تهيمن على غالبية متخذى القرار السياسيين في أجهزة الإعلام والتليفزيون والإذاعة، والصحافة المكتوبة، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها - وحتى دور النشر (وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم

فرض الفيتو)، فقد أصبح كل ذلك في أيديهم، وكذلك قطاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام.

ويمكننى أن أطرح في هذا الصدد شهادتى الخاصة: فحتى ١٩٨٢، كانت أبواب دور النشر الكبرى مفتوحة على مصراعيها أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى.

وعندما وقع الاعتداء على لبنان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحرير السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيو، عن مغزى العدوان الإسرائيلى وأبرزنا المذابح التى وقعت في لبنان، وأوضحنا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلى للصهيونية السياسية التى تقوم عليها دولة إسرائيل.

وتلقيت سواء بخطابات مغفلة من الإمضاءات أو بالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل.

ورفعت علينا « ليكرا » قضية بتهمة « العداء للسامية والتحريض على التمييز العنصرى ».

وقام دفاعنا على ما جاء في النص نفسه الذى نشرناه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل

بدولة إسرائيل . وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم . وأن معركتنا ضد الصهيونية السياسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية .

وقام دفاعى أمام المحكمة على ما جاء في دراستى حول «فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية » : إن الصهيونية السياسية التى أسسها تيودور هرتزل (والتى أدانها كل حاخامات العالم في ذلك الحين بوصفها نوعا من الخيانة للديانة اليهودية) ، تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية .

وعندما سمعت محامى « ليكرا » وهو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعادى للسامية ، عادت بى الذاكرة إلى القدس وأنا أمام حائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى برزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمي في ذلك الوقت .

كما عادت بى الذاكرة إلى أيام كنت فى معسكر الاعتقال مع صديقى برنار لاكاش ، مؤسس « ليكا » (التى أصبحت « ليكرا ») والذى ساعدنى في إعداد محاضراتى لأصدقائنا حول « أنبياء إسرائيل» .

لقد فرضت الهيمنة شبه الكاملة على أجهزة الإعلام في أمريكا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط

والقلب للمعانى، فالدفاع عن الوطن أصبح إرهابا، أما إذا غزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى « السلام في الخليل » !.

وقد سبق للجنرال ديجول في عام ١٩٦٩ أن ندد « بالنفوذ المفرط » للوبى الصهيونى في جميع أجهزة الإعلام: من الصحافة إلى التليفزيون، ومن السينما إلى صناعة النشر. وقد نجح اليوم هذا النفوذ المفرط في إجراء عكس تام للمعانى، وأطلق عبارة « إرهاب » على المقاومة الشعبية للضعفاء، « والمعركة ضد الإرهاب » بالعنف الأشد قتلا للأقوياء.

وقد ارتكبنا ، الأب لولون والقس مايتو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلط للمعانى. ولكن المحكمة برأتنا في ٢٤ مارس ١٩٨٣، ورفضت القضية وحكمت على « ليكرا » بالمصاريف، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة ما والأيديولوجية التى تستلهمها، ولا يتعلق بالتحريض العنصرى. . ولكن « ليكرا » تمادت في غيها واستأنفت الحكم، ولكن المحكمة العليا في باريس أيدت الحكم السابق وألزمت « ليكرا » بالمصاريف. وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التى رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف.

واستمرت عملية الخنق خارج المحاكم. فاللوبى الصهيونى يمتلك الوسائل. وبدأت التحركات لكتم أنفاسى في وسائل الإعلام. فلم تقبل

مقالاتى وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحُرم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليّ بالإعدام الأدبى !

ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى «قانون جيسو » على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠ والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١ ، جاء فيها : يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر. . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥ ».

وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ .

ومنذ ذلك التاريخ حُرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة .

وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير

(وهو نفسه الذى عرض خدماتـه على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الـدولى وقـرارات الأمم المتحـدة) : إن كل يهـودى فـرنسى هـو ممثل لإسرائيل ، وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه . . . رغم أن فكرة الولاء المزدوج ، لم تدر في خاطرى . . . »

[المصدر: لموند ٩ يوليه ١٩٩٠].

●●●

لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها . وثمة سوابق تـاريخية ينبغى أن نستقى منهـا العبـر والدروس ، فهنـاك جهود دؤوبـة ومنظمـة تبذل لتشكيل الـرأى العام وصبـه في قوالب ، بعـد أن يصبح مشبعًا « بالمعلومات » التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية .

« في بـرلين ، أصبح المسـرح والصحـافـة . . إلخ شأنًـا يهـوديـا : فكبريات الصحف مملوكة لليهود . فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية ، فهذا عين الحقيقة » .

والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حـادث كربنترا الذى وقع في مايـو ١٩٩٠ داخل مقابـر اليهود في مدينـة كربنتـرا ، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت حُرمتها ، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى .

ولا تزال الحقيقة حول كـربنترا لم تتضح بعد ، وفرض الصمت على

أكثر الشهـود أهمية. وكانت هـذه فرصة لشن هجـوم آخر على كل من تسول له نفســه التشكيك في العقائد التى تضع إسرائيل فـوق كل قانون دولى.

●●●

٣ ـ أسطورة «المعجزة الإسرائيلية»

التمويل الخارجى لإسرائيل

« إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها».

●●●

[المصدر: يسهايا هوليبوفيتش، اليهودية وإسرائيل، ص ٢٥٣].

وفيما يتعلق بـالمبالغ التى دفعتها ألمـانيا لدولـة إسرائيل ، سأعطى الكلمـة لمن كـان المفاوض الرئيـسى لقيمـة التعـويضات ، السـيد ناحـوم جـولدمـان الذى أورد تفـاصيل ذلك في « سيـرته الذاتيـة» التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبـريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهـمات التـى قمـت بها ، بناء على طلبـه ، وقبـل ذلك بسـنتين ، لـدى جمال عبد الناصر، بعد حرب الأيام الستة .

« في أوائل عـام ١٩٥١ ، دخلت إسرائيل الحلبـة ولأول مرة بتـوجيه مـذكـرتين إلى الحلفـاء الأربعـة بخصـوص المطـالبـات اليهـوديـة بـالتعويضـات من ألمانيـا الجديـدة والتى بلغت مليار ونصف مليـار دولار، نصفها من ألمـانيا الغربية والنصـف الآخر من ألمانيا الشـرقية . وقام هذا المبلغ على الأساس الآتى :

« استقبلت إسرائيل خمسمـائة ألف يهودى تقريبًـا ، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحـو ثـلاثـة آلاف دولار. ونظـرا لأن إسـرائيل هى التى أنقذت هـؤلاء الضحايـا من براثن النازيـة ، وتكبدت شخصيًّـا تكاليف مـالية بـاهظة ، فقـد رأت أنها فـي حِلّ من فرض هـذه الطلبات بـاسم الشعب اليهودى ، رغم أن هـذا لا يقوم على أى أساس قـانونى ، وذلك لأن الدولـة اليهودية لـم يكن لهـا وجود عند قيام النظـام النازى» (ص ـ ٢٦٢) .

« وفى ظل هذه الظروف ، توجه إلىّ الوزير الإسرائيلى للخارجية في صيف عام ١٩٥١ ، بوصفى رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين ، وطلب منى الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطانى وفرنسا ، لدعم المطالبات الإسرائيلية و إيجاد السبل لإقرارها . (ص ـ ٢٦٣) .

« وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة ، وافق المستشار الاتحادى كأساس للمناقشة مبلغ مليار دولار. وبعد مناقشات طويلة ، انتهى هذا الجزء من المباحثات بموافقة الوفد الألمانى الذى تعهد بأن يوصى حكومته بالمطالبة الإسرائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أى بنسبة تقل ٢٥٪ عما طلبناه) » (ص ـ ٢٧٢) .

« وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يوليه وقدمت التنازل التالى : ١٠٪ من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها » (ص ـ ٢٨٢) .

« . . . وكانت المعاهدات ستوقع فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألمانى بلاده ، ووزير الخارجية موشى شاريت ، إسرائيل ، وأنا عن مؤتمر المطالبات » .

« . . . وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام . وكنت لا أدرى ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها ، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديـدية، والتليفونات ومنشـآت الموانى، ونظم الرى، وفروع بأكملهـا من الصناعـة والزراعـة، ما كانت ستصبح علـى ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألمـانية. وأخيرا، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بمـوجب قانون التعويضات. (ص ـ ٢٨٦).

« وفي صبيحة يوم وصولى إلى تـل أبيب، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسـرائيلى بن جـوريـون، الـذى استقبلنى وقـد ارتسمت على وجهـه عـلامات الجـدية: « لقـد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجـزتين: إنشـاء دولـة إسرائيـل، والتوقيع علـى الاتفاق مع ألمـانيـا. وكنت أنـا المسئـول عن المعجـزة الأولى، وأنت عن المعجـزة الثانيـة ». (ص ـ ٢٨٤).

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، باريس، ١٩٦٩].

وفي كتـاب آخر من كتبـه، التنـاقض اليهـودى، لا يحكى نـاحـوم جـولدمـان مفاوضـاته مع ألمـانيا فحسب، بل والكيفيـة التى ابتز بهـا تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب. فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعـوا تعويضـات لليهود » » ويـرد عليه المستشـار: ـ ولكننـا كنا أنفسنا ضحايا الألمـان! » واستطرد جولدمان قائلاً: « فـي هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الـذى يصـور دخـول القـوات الألمانيـة وهتلـر فيينـا في مـارس ١٩٣٨ ».

وعندئذ قال راب : « موافق ستأخذون أموالكم ! » وكانت هذه الأموال في حدود ٣٠ مليون دولار. وفي وقت لاحق عاد جولدمان وقال : « يجب دفع ٣٠ مليون أخرى ! » فقال راب : لقد اتفقنا على ٣٠ مليون فقط » . فرد عليه جولدمان : الآن يجب أن تقدموا أكثر! » وحصل عليها . ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ .

وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض « المعجزة الإسرائيلية » على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النووى)، مما ساعد على استحداث أسطورة داود الصغير الذى نجح في أن يقضى على عدوه العملاق جالوت بنبلة صغيرة وهى كناية عن دولة إسرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العرب مجتمعين. فبالإضافة إلى « التعويضات »، تتمتع إسرائيل بإمدادات لا حدَّ لها تقريبا من الأسلحة والأموال التى تأتى أساسا من الولايات المتحدة حيث لعب اللوبى دورا فعالا في ذلك، وكذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء « الشتات » .

وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر المليارديرات اليهود (كذا) الذي عقد في القدس عام ١٩٦٧ ، أن دولة إسرائيل قد تلقت في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦ ، ٧ مليارات دولار.

[المصدر : « الايكونوميست الإسرائيلى »، سبتمر ١٩٦٧].

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط ،

مليار دولار إلى إسرائيل . (وكانت هذه المساهمات تعتبر « مساهمات خيرية » وتخصم من ضرائب المانح ، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب الأمريكيين !) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتى ارتفعت « معونتها » إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا)، نصفها تقريباً يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور.

ويكفى أن نذكر هنا أن معونة « مشروع مارشال » المقدمة إلى أوروبا الغربية فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ ، قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار، أى أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه . مائتى مليون أوروبى .

والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التى حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩ ، والذى لم يتجاوز ٣,٦٤ مليار دولار، في الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ١,٧ نسمة، على ٤٠٠ مليون .

وعلى سبيل المقارنة أيضا ، فإن المليارات السبعة التى حصلت

عليها إسرائيل في ثمانية عشر عاما، كمنح، تمثل ما يزيد على مجموع الدخل القومى السنوى للعمل في كل البلاد العربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن)، الذي بلغ في ١٩٦٥، ستة مليارات.

وإذا أخذنا في الاعتبار المساهمة الأمريكية وحدها، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلى، و ٣٦ دولارا لكل عربى!.

[المصدر: جورج قرم، «مالية إسرائيل»، ١٩٦٨].

وهناك مصدر مالى آخر مكون من سندات دولة إسرائيل وهى صكوك بالدولارات وتباع في الخارج، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية.

وهذه السندات التى بيعت منها نسبة ٩٩,٨٪ في ١٩٥١، داخل أمريكا ثم ٨٠٪ في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلى ما يزيد على ٥ مليارات من الدولارات.

[المصدر: «سندات دولة إسرائيل»، ١٩٧٢، ص-٢٠٥؛ ١٩٨٠، ص-١٥٣].

وبين المنح والسندات تلقت دولة إسرائيل من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٢، أحد عشر مليار ونصف من الدولارات.

ومما يدل على تواطؤ الحكم مع عالم المال، حدث في فرنسا وحدها عام ١٩٨٢، ما يلى:

« تولى جى دى روتشيلد رئاسة الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد؟ وعين دافيد دي روتشيلد أمينا لصندوقه، والعضو الفرنسى في مجلس إدارة الوكالة اليهودية .

وكان آلان دى روتشيلد رئيسا للمجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزى .

وعين إيلى دى روتشيلد رئيسا للجنة التنفيدية .

وكان إدموند دى روتشيلد رئيسًا للمنظمة الأوروبية لسندات إسرائيل .

وأخيرا كانت أليكس دى روتشيلد رئيسة عالمية لـ « عالية الشباب» .

ولكن كان الارتهان بالحكومة الأمريكية أكبر بكثير وخاصة منذ السبعينات .

فقد كانت معونة الحكومة الأمريكية منذ ١٩٤٨ ، المقدمة إلى إسرائيل قد بلغت ١٨ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتها قد يصيب المرء بالدوار: وهى بوجه عام أقل من ١٠٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٥ ، و٢ مليار حتى عام ١٩٨١ . وفي يناير ١٩٨٥ ، ، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات .

أما بالنسبة للدين الخارجى ، فقد قفز من ٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٧٦ ، وإلى ١٧ مليار في أول يناير ١٩٨١ ، أى إلى رقم قياسى قدره ٤٣٥٠ دولارا لكل نسمة ! .

وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران . كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية ، وبذلك دخلت نسبة ٩٦٪ من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) كلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب .

وباختصار ، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع « المعونة » الرسمية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار. للفرد، أى كبقشيش يضاف إلى دخله القومى ، وهو يزيد ثلاث مرات على إجمالى الدخل القومى للفرد في مصر، وفي معظم البلدان الأفريقية .

وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش ، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا : « إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه » وذلك لسببين اثنين هما :

١ ـ المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة . فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها ، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم .

« إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان » ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا ، ولكنها جيش يملك دولة » .

٢ ـ ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة .

« والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفـاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمـريكيين فى زى التساحل (الجيش الإسـرائيلى) . وإن قوة اللكمـة اليهوديـة تأتى من القفاز الفـولاذى الأمريكى الذى يلفهـا ، والدولارات *التى تبطنها* » .

●●●

خاتمة

أ- الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقى الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذى يسعى إلى تبرير - وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا - أصولها وتنظيمها الاجتماعي، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى.

وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبَّرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة فى مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص.

واكتفاءً منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن « رامايانة » الهند هى أروع صورة للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها « راما » وزوجته « سيتا »، و إحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل «راما »

من اسم الإلـه « رام ». وقـوة هذه الأسطـورة التى تفـوق مجرد السـرد، وصلت إلى حـدٍّ جعلها مصـدرا استوحتـه الشعوب في حيـاتها لقـرون عـديدة، وذلك بتعظيمهـا لصورة الإنسـان وآفاق حيـاته. وقـد وضع « فالميكى » بعد ذلك النص الذى يجمع كتـابة أجمل التقاليد الشفهية؛ ثم أعـاد الشـاعـر « تـولسيداس » فـي القرن الخـامس عشـر، كتـابـة الـرامايـانة، وفقـا لرؤيـة صـوفية أعمق، وفى قصيـدة لم تستكمل عن الارتقـاء الإنسـانى. وإلى هـذا فإن اخـر كلمـة لفظ بها غـانـدى عنـد اغتياله، والتى بارك بها قاتله، هى « رام ».

ويصدق نفس الشـيء على المهابارا هـاتا، التى بلغت ذروتهـا في «بهـاجـا فادجيتـا »، حيث يطـرح الأميـر أُرجـونـا، وفي غمرة معـركـة كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته.

وفى حضـارة أخـرى، أى من مفهـوم آخر لعـلاقـات الإنسـان مع الطبيعة ومع غيره من النـاس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتى تنسب كل مأثـوراتهـا الشفهيـة والشعبيـة إلى المـؤلف الـذى أعطـاهـا شكلهـا المكتوب، هوميروس، تعـرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته.

وينطبق هذا أيضًا على « بروميثيوس » لاشيـل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير.

وهنـاك الملاحم الأفـريقية الكبـرى « كسيـدارا »، وكذلك ملحمـة

خروج قبائل الأزتيك، أو « جوته » الذى جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبى وأطماعه، أو دستيوفيسكى الذى كتب في قصته « المغفل » رواية جديدة عن حياة المسيح محطما كل أصنام الحياة الحديثة، وهى شبيهة بتلك الحياة الأخرى للمسيح من خلال مغامرات دون كشوت، الفارس النبى، الذى اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التى شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة.

وتلك بعض الأمثلة على « أسطورة العصور » التى تدعو مرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان.

وهي في مجموعها تمثل « التاريخ المقدس » الحقيقى للبشرية، أى تاريخ عظمة الإنسان، الذى يحاول تثبيت أقدامه حتى من خلال محاولاته الفاشلة، كيما يتفوق على عاداته وقدراته.

وهذا التاريخ هو التاريخ الذي كتبه المنتصرون وسادة الإمبراطوريات وقادة الجيوش. وهو تاريخ لا يتحرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء، وربطها بعجلة انتصاراته.

●●●

ب ـ الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسى :

إن قراءة هذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» ينبغى ألا تثير لبسا أو غموضا، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية.

فنقد التفسير الصهيونى للتوراة و « الأسفار التاريخية » (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل، وسفر الملوك)، لا يمس بأى حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية. فتضحية سيدنا إبراهيم هى المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التى تماثلها وتضارعها. كما أن «الخروج » سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية، وعلى نداء الرب الذى لا يقاوم نحو الحرية.

ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد الله مع الإنسان، ومع كل الناس، ووجوده في داخلنا جميعا، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة « الشعب المختار » الذى اختاره رب متحيز وجزئى (ومن ثَم صنم)، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح. كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم.

ولم يدر بخلدنا أبدا وبما عرضناه في هذا الكتاب الذى وثّقت كل حلقة من حلقاته بمصادرها، فكرة تدمير دولة إسرائيل، بل أردنا وببساطة أن نبطل عنها صفة القداسة، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بدلا مغتصبة، كأرض فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن.

ولا يتعلق الأمر بإعادة التاريخ وإلى ما لا نهاية بطلقات المدافع، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولى لا يخلِّد علاقات الغاب.

وفي الحالة الخاصة بالشرق الأوسط، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخذتها الأمم المتحدة غداة الحرب الأخيرة والقرار ٢٤٢، وهى القرارات التى تستنكر وتمنع التوغل داخل حدود البلدان المجاورة والاستيلاء على مياهها؛ والتى تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضى المحتلة ولا شك أن الاستمرار فى إقامة المستوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية، هو احتلال يجعل من المستحيل إحلال سلام حقيقى وتعايش سلمى ودائم للشعبين المتساويين والمستقلين، وهو السلام الذى يرمز إلى الاحترام المتبادل، دون ادعاء بملكية القدس، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث.

●●●

وكذلك فإن نقد أسطورة الهولوكوست ليست بالعملية الحسابية الجنائزية لعدد الضحايا، ولكن الاستغلال السياسى من طرف دولة لم

يكن لهـا وجود عنـدما اقترفـت الجرائم ، والمبالغـة في الأرقـام بصورة تعسفيـة لمحاولـة إثبات أن معـانـاة البعض لا وجه لتشبيهها بمعانـاة الآخـريـن وإضفـاء القـداســة عليهـا (وبـالعبــارة الـدينيــة نفسهـا الهولوكوست) ، وهى محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة .

وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة ، الذين أظهروا أنفسهم بمثـابة الضحـايا دون سـواهم ، وأنشأوا على إثـر ذلك دولة إسـرائيل ، ووضعوها فوق كل قانون دولى .

ولا يتعلق الأمر كذلك بـالتشكيك في النوايا الطيبة لمـلايين الشرفاء الذين اعتقـدوا في هذه الأسـاطير الكـاذبة التى روَّجت لهـا كل وسائل الإعلام .

ولذا فإن هذا الكتـاب يهدف إلى إتاحة العنـاصر للجميع لكى تتاح لهم فرصة الحُكم على شرور الأساطير الصهيونية التى تساندها دون قيد أو شـرط ، الولايـات المتحـدة ، والتى تـولد عنهـا حتى الآن (خمسـة) حروب ، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبى على إحدى القوى الكبرى وهى أمريكا ، ومن ثم على الرأي العام العالمى ، تهديدًا مستمرا ودائما لوحدة العالم وسلامه .

●●●

جـ. المزيّفون والتاريخ الانتقادى :

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذرى عن كل أنواع التزوير التى ترمى إلى الحطّ من قدر أية ديانة أو طائفة ، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها . وخير مثال على هذا التزييف هو ما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو العمل الذى نددت به في كتابى : « فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية » ، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التى تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتى استخدمت للأسف الشديد على نطاق واسع « ولا سيما في بعض البلدان العربية ، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللإسرائيليين لكى ينددوا ويشجبوا أى نقد لسياستهم في الشرق الأوسط . ولذلك ورغم الإثقال على القارئ الذى يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان ، فإننا لم نقدم أى أطروحة هنا إلا وهى معززة بالمصادر.

●●●

والعرض التاريخى الذى قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا . وهو ككل تاريخ انتقادى وككل علم من العلوم ، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة . فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التى تم الاستيلاء عليها ونقلت إلى الولايات المتحدة ، ولم

يتم جردها بعدُ بالكامل. وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين.

ومن ثَمَّ فما زال هناك عمل ضخم ينبغي القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية « إضفاء القداسة » على نصوص نورمبرج، كانت هشة جدا.

والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها.

فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة. وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا، ولكن لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالإكراه إلى تزييف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية.

فالأمر لم يقتصر على إغفال موت ١٧ مليون من المواطنين السوفييت، و٩ ملاين من الألمان، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقدَّس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست)، مع إنكار إضفائه على الآخرين.

وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف ، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة وإحقاق الحق، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب. ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية وإقامة البراهين على صحتها.

وهذا هو ما أردنا الإسهام به عند نشرنا لهذا الملف.

●●●

تعقيب

جارودى دون كيشوت
نهاية القرن العشرين

بقلم : حمدان جعفـــر

يذكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى (١٩١٣م) عام ١٩٦٦ فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) أن الأساطير نوعان: أساطير مغلقة وأخرى مفتوحة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأساطير الحقيقية. . فهل كان جارودى يتنبأ بأنه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأساطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعرض اليهود للاضطهاد من قبل ألمانيا النازية؟ وهل كان يتنبأ أن تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع الشائك فى كتابه الحالي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟ .

يعرّف جارودى الأسطورة بمعناها الحقيقى بأنها دعوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبدو أنه عندما تناول أشد الأساطير انغلاقا بالنسبة للزعم القائل إن ألمانيا فى عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. ففى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قانون يعرف باسم قانون (جيسو) صادر عام ١٩٩٠ وهو يقضى بالسجن على كل من يتشكك فى رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إن هتلر وأعوانه قد أبادهم .

لقد اتهمه اللوبى اليهودى فى فرنسا بأنه معاد للسامية وتطرفوا فى هذا الصدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتابه إلا على نفقته الخاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على نشر مؤلفاته. وجارودى فى كتابه الحالى يعد التطرف المرض الفتاك للإنسانية فى نهاية القرن العشرين .

والنقطة الشائكة فى كتابه هى تشكيكـه فى أن هتلر أباد بالفعل ستة ملايين يهودى واللوبى الصهيونى يرفض التشكيك فى هذا حتى يضمن للصهيونيـة أن تدعـو لإنشاء دولـة إسرائيل وتحـل الأسطورة السيـاسية العرْقيـة محل الأسطورة الدينية. وهـو يرسـم مقارنـة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم فى الحـرب العالمية الثانية وبين الإبـادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبـر عملية إبـادة جماعية فقـد نسى هؤلاء أن هنـاك ستين مليون هندى أمريكى تعـرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليوّن مـن السود الأفارقة تعـرضـوا للقتل من جـرَّاء تجـارة الـرق، كمـا أن هنـاك ١٧ مليـون من السلاف قتلـوا فى الحرب العالمية الثـانية. وأوضـح جارودى هـدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التى تم تخليقها للتمويه وأن اللوبى الصهيونى هـو الذى صنع هذه الأسطورة المزيفـة خاصة أن معسكـرات الاعتقال النـازيـة كـانت تضم بجـانب اليهود البـولنـديين والسـوفييت وأن الوفيات التى حدثت فمن جراء سوء التغذية.

ويقول جارودى: إنه لا توجد وثـائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودى فى معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين فى ألمانيا.

والمؤلف يسأل الصهاينة فى كتابه هل تعلّمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمـه؟ ويرد جارودى بقوله: «**إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ فى البلاد العربية**».

ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر فى الأفران هم يهود فقط؟ أو هم من جميع الشعوب؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر فى المحرقة كانوا أحياء أو موتى ؟

ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف. وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلاً قد ساعد عددًا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانون من البرد فى المرافئ. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية.

بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية. ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال: **«لم يكن إنقاذ حياة يهود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة»** ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصرى النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم. وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل .

ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى: **إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥١ فى حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ .**

ويشكك جارودى فى معنى تعبير (الحل النهائى) لليهود فى ألمانيا فالمؤرخون المغرضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائى قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائى للمسألة اليهودية فى أى مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحًا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيونية الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

هذا هو جارودى: إنه دون كيشوت جديد فى القرن العشرين يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية الضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربى فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم: إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية .

ومن هنا جاءت الحملة من اللوبى الصهيونى ضد جارودى لأنه تجرأ أو مد يده فى عش الزنابير. وقد تعرض للهجوم مع جارودى الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين .

فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولة إسرائيل وهى دولة يقول عنها جارودى إنها بعد أكثر من مرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محددة وهى تتأرجح فى تسمية نفسها ما بين دولة إسرائيل وكيان إسرائيل ودولة المعاد .

فهل الحملة على جارودى بهذه الضراوة لأنه فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية فقط ؟

أم ينضاف إلى هذا أنه مفكر أشهر إسلامه وجاء فضحه للوبى العنصرى دعامة للعرب؟ لقد جمع جارودى بين منظورين : المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينية الوثائق التاريخية حتى لا نحيا وسط أساطير هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى.

وجارودى الذى بدأ رحلته الفكرية فى صفوف الماركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان مُنَظِّرًا كبيرا للفكر الماركسى الفرنسى قد

اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته :

(النظرية المادية للمعرفة)؛ (فكر هيجل)؛ (أزمة فى الشيوعية : نقطة تحول الاشتراكية)؛ (منظورات الإنسان)؛ (ماركسية القرن العشرين)؛ (حوار الحضارات)؛ (واقعية بلا ضفاف)؛ (حفارو القبور)؛ (الأصوليات)؛ (مشروع الأمل)؛ (أسئلة موجهة إلى سارتر) .

جارودي يلملم خيوط الشمس تحت سماء القاهرة

بقلم / حمدان جعفر

جاء رجاء جارودى الفيلسوف والمفكر العالمى إلى القاهرة . . ودارت المحاورات ، والمناقشات فأيقظت هذه المحاورات والمناقشات الثورة الثقافية من مرقدها كانت هذه الثورة موجودة فى النفوس منذ أن طرح «جمال عبد الناصر» مفجر ثورة ٢٣ يوليو مبادئها الأساسية وهى التحرر الوطنى الحقيقى . . وأن إسرائيل ما هى إلاَّ رأس حربة للاستعمار فى المنطقة ، وأن أمريكا ما هى إلا ثور جامح يريد أن يسيطر على مقدرات العالم كانت هذه هى الحقيقة الواضحة فى ثورة «جمال عبد الناصر» لكن عندما أعلن أنور السادات أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب وأن أمريكا تمسك بـ ٩٩٪ من أوراق اللعبة وأدار السادات ظهره نهائيًا إلى الأمة العربية وتطلعات شعوبها فى استخلاص الثروة العربية لأبنائها وأصبح الصديق «بيجين» أقرب من الشقيق العربى وأصبحت أمريكا هى النجم الساطع فى المنطقة .

لقد أطفأت سياسات السادات خيوط الشمس من سماء القاهرة لتنطلق بعض الأقلام المهزومة تبشر بأمريكا كأعظم قوة

فى العالم . . وأن اليهود أبناء عمومتنا ، وعلينا أن لا نعاديهم وأن نفتح لهم أبوابنا . . وأرضنا وسمائنا لهم . .

لكن سياسات إسرائيل وأمريكا أوضحت بجلاء مطامعهم فى ثروات العرب لا فرق فى إسرائيل بين نتنياهو أو شيمون بيريز . . فالأول يعلنها صريحة مدوية ، أما الثانى فيحاول أن يغلف المطامع بالسلوفان والمكر الصهيونى وما ذكرى مذبحة «قانا» ببعيدة عن الأذهان .

ولذا فإن رحلة رجاء جارودى إلى القاهرة لم تفجر ثورة ثقافية جديدة ولكن الحوارات والمناقشات أيقظت هذه الثورة من مرقدها . . أو بتعبير آخر يمكن القول بأن جارودى بمحاضراته ومناقشاته تحت سماء القاهرة قد لملم خيوط الشمس «شمس الثورة الثقافية» التى ترتكز على ثلاث منطلقات أساسية البعد المصرى مرتبطًا بالبعد القومى العربى مرتبطا بالبعد الأفريقى فى منظومة مع دول العالم الثالث المقهورة والمنهوبة ثرواتها من قبل أمريكا والاستعمار العالمى .

ولا بد أن نعيد التفكير فى الدوائر الثلاث «الدائرة العربية»

«والدائرة الأفريقية» و«الدائرة الإسلامية» . .

لقد أحدث كتاب جارودى «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» دويًّا هائلاً فى العالم كلــه . . فقد كان أول مفكر عملاق يفند الادعاءات الصهيونية الكاذبة التى يثير بها الصهاينة العالم وبرهن على أنها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان .

وبالرغم من امتلاك الصهاينة لأغلب وسائل الأعلام المسموعة والمرئية فى أوربا وأمريكا . . إلا أن هذه الوسائل رغم ضراوتها لم تستطع أن تطفىء الشمس ، أو تقهر هذا المفكر العملاق ، أو تقتل فكره ، فانتشر الكتاب فى شتى بقاع العالم ليوقظ النيام ولقد كانت **«دار الغـد العربى»** أول دار على مستوى العالم تقوم بنقله إلى العربية ولقد طبع من هذا الكتاب ثمان طبعات وهذه هى الطبعة التاسعة وهى طبعة شعبية تحتوى على كتاب **«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»** وحوارات جارودى بالقاهرة والتى أعطت للثقافة الثومية قوة ضخ جديدة تضع الصهيونية والنفوذ الأمريكى فى مأزق كبير .

أنها حقائق تكشف الأكاذيب وتعريها أمام شباب الأمة العربية ليعيدوا استيراد المستقبل بقوة وعزم وإصرار على تحقيق ما تصبو إليه أمتنا العربية من عزة وكرامة وتقدم .

رحلـــــة جارودى..
وماذا أنتجت (*)

بقلم / المستشار سعيد الجمل

(*) نشرت بجريدة الوفد بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٦ .

في تقديري أن رحلة جارودي وهذه الأيام القليلة التي مكثها بيننا كانت بمثابة ثورة ثقافية مصغرة أثارت التساؤلات وأجابت على كثير من الأسئلة في الموضوعات التي تحفل بها حياتنا السياسية والثقافية خصوصا حول حقيقة إسرائيل وأطماعها في المنطقة ، وحول حقيقة الإسلام ورسالته المنتظرة له في القرن الحادي والعشرين إذ أوضح جارودي أنه أكثر فهما لهذه الرسالة ومغزاها الذي أراده الله لها من كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام .

أما الإشعاع الفكري الذي أطلقه جارودي أثناء وجوده بالقاهرة خاص بحقيقة إسرائيل والصهيونية العالمية موضحا أنها رأس حربة للاستعمار الأمريكي في المنطقة التي يدعمها حتى أسنانها اقتصاديا وعسكريا فقد أصاب هذا الإشعاع وكلاء إسرائيل عندنا بالذعر فانكمشوا مؤقتا ، هؤلاء الوكلاء الذين لا تعنيهم هوية هذه المنطقة أو ثقافتها الوطنية التي أصبحت معرضة للضمور كلما تمكنت إسرائيل سياسيا واقتصاديا وفرضت وجودها على الجميع قسرا . فالأمر الذي يعني هؤلاء الوكلاء هو عقد الصفقات مع إسرائيل وتحقيق بعض المنافع

المادية ولو كان ذلك على حساب مستقبل التنمية الاقتصادية الحقيقية ومستقبل الأجيال القادمة . هؤلاء كما ذكرنا قد انكمشوا أثناء وجود جارودى ولم يستطيعوا الرد على تحليلات جارودى حول حقيقة الصهيونية باعتبارها كيانا استعماريا عنصريا استيطانيا يقضى على الوجود العربى فى المنطقة وهى التحليلات التى جردت إسرائيل من كافة أكاذيبه وجعلتها عارية تماما .

كان جارودى حاسما وواضحا فكريا حين أكد طبيعة الوجود الإسرائيلى باعتباره رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل التغلغل الاستعمارى وأنها الآن بمثابة عميل لأمريكا بعد أن تحول ميزان القوة الاستعمارية لها ، وأوضح جارودى الخطأ الفادح لكل من يتصور أن إسرائيل تبغى السلام أو الوئام كما أن مفاوضاتها الحالية لا يمكن أن تعيد للفلسطينيين حقوقهم الوطنية التي نصت عليها المواثيق والقرارات الدولية وأولها قرار التقسيم فى سنة ١٩٤٨ فإن وجود مائتى مستوطنة يقوم شارون بتدعيم البنية التحتية لها وإنشاء الطريق التى تربط بينها فى قلب

الضفة الغربية وغـزة لـم تدع للفلسطينيين من أرض الضفة سوى ٦٪ من مساحتها والباقى لإسرائيل والذى أنشأ المستوطنات وقام بتدعيمها أصلا حزب العمل ولذلك فلا فارق بين بيريز ونتنياهو إلا فى الكـلام فقط وما يـريد الأول تحقيقـه بخبث شديـد يريـد الثاني تحقيقه بصلف شديد.

لقـد شـرح جارودى طـريق الخـلاص وهـو عنده مقـاطعـة الاقتصاد الأمريكى والبضـائع الأمريكية كما فعل غانـدى سابقا مع إنجلترا فى معركة استقلال الهند. فهذا وحده ـ إن أراد العرب ـ هو أول الطريق لمقاومة استعمار أمريكا وهذا وحده هو الطريق لتجفيف الـدعم والتفـوق المـالى والـدبلـومـاسى والعسكـرى لإسرائيل.

ويبدو أن السؤال الذى لم يطرحه جارودى صراحة هو ما إذا كان العـرب يملكون إرادة الاستقـلال فيقومـون بتنمية اقتصـادية داخل بـلادهم بإحيـاء مشـاريعهم المـوجـودة منـذ زمن بإدراج الجامعة العـربية والاستغناء عن السيد الأمـريكى ويبدو أيضا أن الإجـابـة على هـذا السـؤال الـذى لم يطـرح هـو أن الاستقـلال

الحقيقى يكمن أساسا فى بعث الروح العربية والهوية العربية والحد من حمى الاستهلاك وتبنى قضايا الشعوب أساسا فهذه الشروط الأساسية هى التى تسبق كل استقلال اقتصادى وسياسى .

أما الموضوع الثانى الذى أثارته رحلة جارودى وحواره معنا فهو اعترافه بأثر الدين فى مستقبل الإنسان وحياته عموما وانتصاره لفكرة الإيمان بالله ـ فهو يؤمن بوحدة الدين منذ إبراهيم عليه السلام وحتى محمد ﷺ .

لقد أحدث حوار جارودى حول رسالة الدين وضرورته زلزالا شديدا فى دوائر الإلحاد ليس فى مصر وحدها بل فى المنطقة العربية كلها ، لقد كان مبهرا حقا حين حصر غاية الحياة فى الإيمان بالله ، وبقدر زلزال الإحاد الذى يعتنقه بعض شراذم الماركسيين فإن زلزالا آخر أصاب أهل الجمود والتعصب والذين لم يرتاحوا لتفسيرات جارودى وتحليله لأصول الدين والذى عرضه بمحاضراته وندواته وكتبه التى تملأ الأسواق الآن .

يشير جارودى فى الفصل الثالث من كتابه « الإسلام » إلى

الانحسارات والازدهارات التى وسمت تاريخ الإسلام منذ الأمويين فيقول إن الانحسار الأخير الذى خيم على الإسلام مع سيطرة الاستعمار الغربى وتعاون النخبة المحلية المؤمنة بالتغريب وليس التحديث مع هذا الاستعمار قد كان سببه الميل للتقليد ومحاكاة الماضى الحرفية فقد كان هذا هو الأسلوب الذى عبر به الإسلام عن نفسه فى هذه الحقبة إلى أن قام بعض الرجال يقترحون نهضة دينية جديدة. وكانت مهمة هؤلاء المصلحين صعبة إذ كان عليهم أن يكافحوا فى وقت واحد أواسط القرن التاسع عشر قمع الاستعمار الروحى والمادى وتفكك الامبراطورية العثمانية اللذين ساهم كلاهما فى تصلب الإسلام.

يقول جارودى إن فكرة هؤلاء المصلحين تكمن فى أن يقظة الإسلام ليست ممكنة إلا بقراءة جديدة للقرآن.. قراءة حية كان قد منعها « العلماء » « دكاترة القانون » منذ قرون وضرب مثلا على ذلك بالمنهاج الرسمى لجامعة الزيتونة بتونس إحدى جامعات الإسلام الأكثر شهرة إذ لم يكن يتضمن من تفسيرات

القرآن سوى تفسير « البيضاوى » وتفسير « الجلالين » وهما من مفسرى القرن الحادى عشر والسادس عشر الميلادى على التوالى .

ولم تبدأ اليقظة فى نظر جارودى إلا فى القرن التاسع عشر على يد جمال الدين ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا الذين أرادوا أن يعيدوا إلى الإسلام قوته المبدعة التى كانت له فى القرون الأولى . لقد طرح هؤلاء المصلحون المشكل الأساسى الواجب حله فى رأى جارودى وهو ماذا ينبغى أن تكون عليه يقظة الإسلام حتى يجيب على مشكلات زماننا دون أن يكف عن أن يكون هو ذاته؟

أليس فى استطالة عملهم على نحو مبدع إنما تقترب به ساعة اليقظة التى لا يناط بها مستقبل المسلمين فحسب بل مستقبل العالم كله؟؟

يحدد جارودى المسئولية عن التخلف الذى قاد إلى التبعية فى ثلاث جهات سلطة الثروة وسلطة السياسة وسلطة الدين .

ويتناول سلطة الدين قائلا إن أسياد السلطة الدينية مازالوا يشنون المعارك الفلسفية الخاصة بالقرن الثانى عشر والمشاكل

التى كانت تطـرح فى الإسلام الحى لا يخشى شيئا فى مـواجهة العلوم أو فلسفات الآخرين شريطة معرفتها جيدا ومقارنتها بثقة ، إذ علينا ألا ننسى أبـدا الأهمية الكبرى التى يوليها القـرآن الكريـم فى النظر لاكتشاف قـوانين الطبيعة وهو ما عبر عنـه « بالتفكر » والسيـادة التقنيـة على الطبيعـة وهو مـا عبـر عنـه القـرآن بلفظ «التسخير » .

فالإسـلام الحى . . ينبغى له أن يعتنـى بالتفكير النقـدى فى نمو العلوم لدى العظماء غربيين كما أن له أن يعتنى بأفكار كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلـهية .



رجاء جارودي فى حواراته



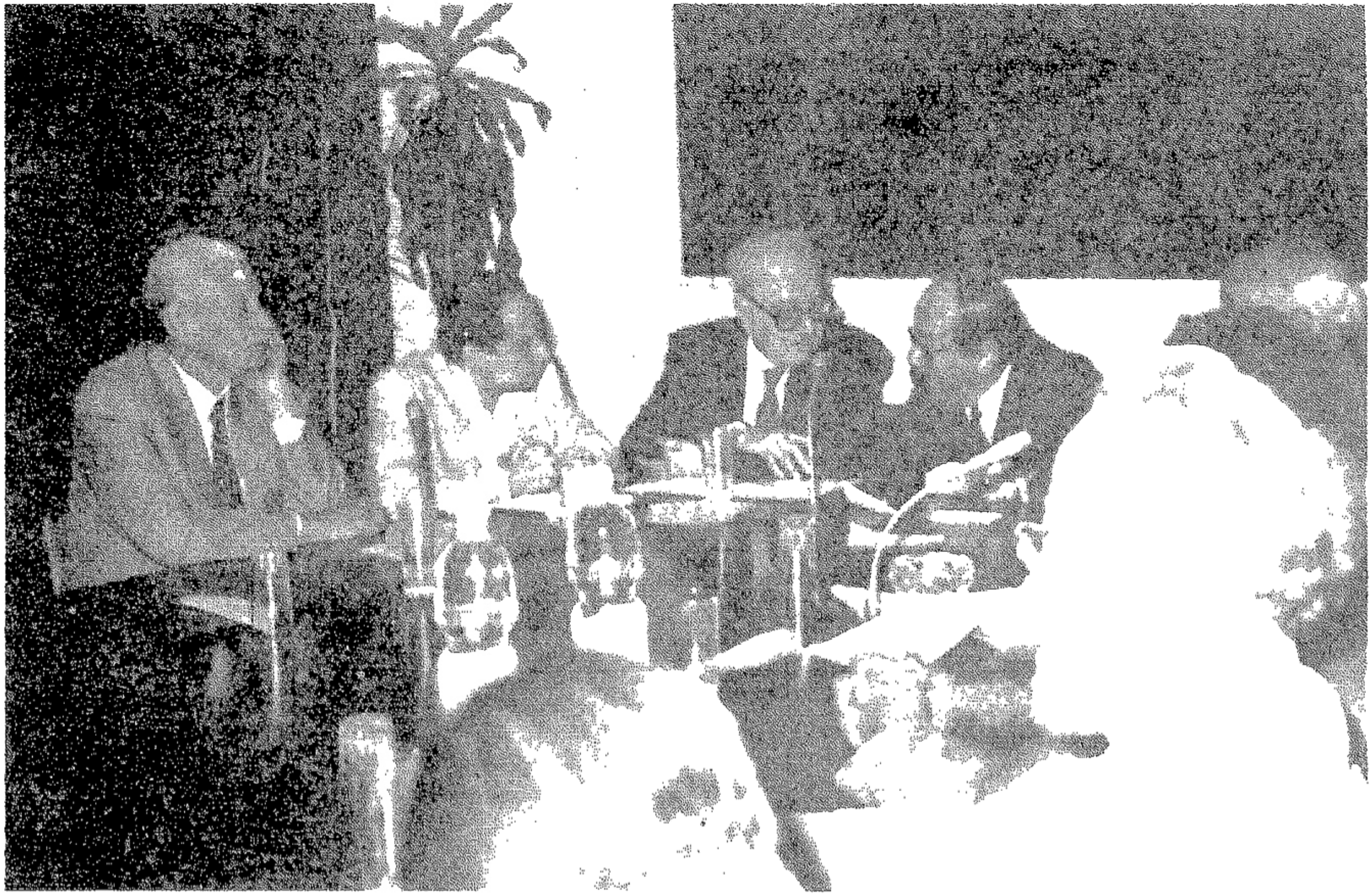
رجاء جارودي في ندوة نقابة الصحفيين فى مصر



رجاء جارودي في طريقه لإلقاء محاضراته



رجاء جارودي في مكتبة جامعة القاهرة



رجاء جارودي مع الرموز الفكرية المصرية



رئيس جامعة عين شمس يصافح المفكر الفرنسي رجاء جارودي في جامعة عين شمس



المفكر الكبير رجاء جارودي مع الأستاذ الكبير سعد الدين وهبة رئيس اتحاد الفنانيين

محاضرات جارودى ومحاوراته فى القاهرة

أعدها / مصطفى عبد الرازق

على مدى أربعة أيام فى الفترة من ١٣ إلى ١٦ أكتوبر الماضى عاشت القاهرة حدثًا ثقافيًا فريدًا حيث استقبلت الفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى بدعوة من اتحاد المثقفين العرب. وقد قام جارودى خلال الزيارة بنشاط مكثف غير عادى حيث ألقى محاضرتين وعقد ٧ ندوات وحضر محاضراته الأولى فى فندق الماريوت نحو ١٢٠٠ شخص من مختلف الأعمار والمستويات والثقافات والمهن. كما التقى بأساتذة جامعة عين شمس ومجموعة من المفكرين بفندق ماريوت، و عقد لقاءا آخرا مع المثقفين بمكتبة القاهرة الكبرى كما التقى بأعضاء اتحاد الكتاب ومؤسسة الأهرام. وتحدث جارودى خلال زيارته نحو ١٥ ساعة متصلة وأجرى عشرة أحاديث صحفية منفردة و٥ أحاديث تليفزيونية و٣ أحاديث إذاعية والتقى بحوالى ألفى مثقف وأستاذ وكاتب وصحفى.

وقد تطرقت لقاءات جارودى إلى قضايا متنوعة ومختلفة لم تقتصر على موضوع كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية» وبشكل عام يمكن القول إن اللقاءات تركزت على:

١ ـــ موقف جارودى من إسرائيل والصهيونية ومستقبل الاتفاقات العربية معها .

٢ ـ موقفه من دور الولايات المتحدة فى النظام الدولى .

٣ ـ موقفه من الحضارة العربية بشكل عام مفهوم الحداثة بشكل خاص .

٤ ـ مراحل تطويره الفكرى .

٥ ـ تصوره للإسلام ودوره فى مستقبل العالم .

لقد راح جارودى فى محاضراته ولقاءاته يكشف النقاب عن القوة المتعاظمة للصهيونية فى العالم والتى تعود إلى تأييد الولايات المتحدة المطلق لها ، مؤكدا استمراره فى كشف الصهيونية العالمية مشيرا إلى أنه سيتفرغ خلال السنوات القادمة لإعداد دراسات جديدة **حول دور أمريكا فى تدهور العالم وانحلاله .** وأشار جارودى خلال محاضراته إلى أن الولايات المتحدة و إسرائيل تشنان حملة ضارية ضد الإسلام والعالم الإسلامى ، مفسرا ذلك باتفاق مصالحهما حيث تستفيد إسرائيل بدعم أمريكا لقوتها العسكرية والنووية وتستفيد أمريكا

بالسيطـرة على حقول البترول . وأكد جـارودى على أن يفرق بين الصهيونية واليهودية مشيـرًا إلى أن اليهود المـؤمنين يعتقـدون أن الصهيونية نوع من الجناية للديانة الأصلية .

وعن رؤيته للحضـارة العربية أشـار جارودى إلى أنهـا جرت العالم إلى حـافة الهـاوية مشيـرًا إلى أن هناك ٤٥ مليون نسمة يموتون سنويًا فى العالم من بينهم ١٥ مليون طفل بسبب سيطرة العالم الغـربى على ثروات العالم الثـالث . وأعلن جارودى عن رفضه للحـدثة مشيرًا إلى أنها نظـام توصلت إليه الـدول للهيمنة وكـان نتيجة تـزايد كبيـر للعنف البشرى وتلـوث الطبيعة وتلفهـا وتحول العلاقات بين الأفراد والأمم لغاية تتناحر فيها الطموحات لتحقيق السلطة والمتعة .

وذكـر جارودى أنـه يمكن إيجـاد نهضـة إسلاميـة رائعـة فى الوقت الحاضر إذا كان بوسع مسلمى اليوم الحفاظ على المبادئ التى جعلت للإسلام شأنًا فى الماضى وكذا إذا نجحوا فى التفرقة بين التشريع والفقـه موضحًا أن التشريع حكـم الله أمـا الفقه فقد تشكل عبر القـرون الماضية ، من خلال اجتهـادات العلماء و إذا

لم ينجح فى التفريق بين حكم الله وحكم البشر فإن ذلك سيؤدى إلى عزل الإسلام تاركين ملايين المسلمين فريسة لليأس . وحول تنقلاته الفكرية أشار إلى أنها تعبر عن نوع من الاستمرارية ، قائلا لقد دخلت الإسلام والكتاب المقدس تحت إبطى والماركسية تحت الإبط الآخر.

ولا يكتفى جارودى بإطاره الفكرى وإنما يسعى إلى تحويله إلى واقع عملى . . ومن هنا كان تركيزه خلال لقاءاته دعوة الشعوب الإسلامية والنامية إلى المقاطعة الكاملة للولايات المتحدة مشيرًا إلى أن تلك المقاطعة لو نجحت ستؤدى إلى الانهيار السريع لأمريكا ، بل وناشد دول العالم المدينة عدم سداد ديونها لصندوق النقد الدولى ، مشيرًا إلى أن الدول الفقيرة المدينة دفعت للصندوق أضعاف ديونا ، وضرب مثالاً بالجزائر حيث ذكر أن مديونية الجزائر ٢٥ مليار دولار بينما تدفع منذ سنوات ٥ مليارات دولار كفوائد على ديونها التى لم تنته حتى اليوم .

وقد ألح جارودى فى دعوته على مقاطعة الولايات المتحدة

خلال لقائه بالصحفيين فى مؤسسة الأهرام نقابة الصحفيين فكرر دعوته إلى مقاطعة اقتصادية عربية للولايات المتحدة حتى تتوقف واشنطن عن التؤاطو السافر مع إسرائيل وأكد جارودى فى لقائه بالصحفيين أن **الاقتصاد الأمريكى لن يصمد أمام مقاطعة ٢٠٠ مليون عربى وسحب الأموال العربية من المشروعات والاستثمارات الأمريكية مشيرًا إلى إفلاس حوالى ١٠٠ بنك أمريكى سنويا .**

وفى ندوة نقابة الصحفيين أعاد جارودى التأكيد على أنه ليس من حق الغرب أن يعطى الدول العربية والإسلامية دروسًا يومية عن حقوق الإنسان، مشيرًا إلى **أن هناك ٣٥٠ شخصا فى العالم يستحوذون على ثروة مليار شخص** وهو ما يوجب علينا إلا نتقبل تعريفاتهم الخاطئة والزائفة عن الديمقراطية . وقال إن الصهيونية هدمت من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام التأثير على الرأى العام الغربى وممارسة نوع من الإرهاب الفكرى فى هذه الوسائل لكل من ينتقد سياسات وممارسات إسرائيل وساعدها فى ذلك تأييد الولايات المتحدة المطلق لها .

وفيما يلى النص الكامل لأبرز محاضرات جارودى ولقاءاته الفكرية خلال زيارته للقاهرة :

أولا محاضرة جارودى حول كتاب الأساطير بفندق ماريوت .

ثانيا : محاضرة جارودى مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس

فى لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس فتح جارودى النـار على الحضـارة الغـربيـة مبشـرًا بـانهيـارهـا مشيـرًا إلى أن الحسـاب الختامى لهـا ثقيل جدًّا فـوفقـا له فإن خمس سكـان العالم يسيطر على ويستهلك ٨٠٪ مـن موارد العالم وأوضح أن أداة الكوكب الأرض فإن لا يمكن تصور ما هو أسوأ منها. وساق جارودى أرقـامًا خطيـرة لحالات الانتحـار وعدد الجـرائم والتى بلغت خمسة أمثـال ما كـانت عليه عـام ٦٥ وأوضح أن الإسلام يضمن بقواعده حيـاة كريمة للناس وتطـرق بالتفصيل إلى أسس الحضارة الغربية منتقدًا ما وصلت إليه قائلاً:

ويمكن تلخيص الافتـراضـات الأوليـة للحضـارة الأوروبيـة وأذكر هنا أن هذا يعنـى تعريفا لعلاقاتها بالطبيعـة وبباقى الأفراد وبالله (أو مسألـة النهايات الأخيرة للحيـاة) فى ثلاثة افتـراضات أولية.

١ ـ الافتراض الأولى لديكارت والقائل «يتعين علنا أن نصبح سادة ومالكين للطبيعة».

٢ ـ الافتـراض الأولى لآدم سميث القائل: إذا سعى كـل منا

إلى تحقيق مصلحته الشخصية فإن ذلك سيؤدى في نهاية المطاف إلى تحقيق المصلحة العامة إذ إن هناك يدًا خفية تحقق هذا التناغم .

٣ ـ الافتراض الأولى لمارلووى الذى تضمنه كتابه «فاوست» وهو: يصبح الإنسان قديرا تمام القدرة بدلا من الله حتى يتمكن من تسيير العالم .

وبعد خمس سنوات من الهيمنة دون منازع توصلت هذه الثقافة إلى نتائج تتناقض والتى كانت قد حددتها لها هذه الافتراضات الأولية فقد انتهت إلى :ـ

ا ـ تلوث الطبيعة وتلفها والإمكانية التقنية لتدميرها .

ب ـ تزايد كبير للعنف البشرى فقد بات واضحا من منافسات إنما هو منطق حرب يخلق نوعا من عدم التوازن المتزايد بين الشمال والجنوب كما يخلق تباينات متزايدة فى داخل الشعب الواحد بسبب تراكم الثروات لدى أحد قطبى المجتمع وتراكم الفقر لدى القطب آخر.

جـ ـ إن ادعاء تسيير العالم بدلا من الله واستبعاد الإيمان

بالقيم المطلقة وجعل الفرد والأمة مركزا ومقياسا لكل شيء خلق نوعا من الغـاب تتناحر فيه الطموحـات لتحقيق السلطة والمتعة وتنمية الأفـراد والجماعـات ينتج عنها فوضـى العنف فى المدن واختلال التوازن الناتج عن الرعب فى العالم .

يمصون دم الفقراء

وبعـد مضى قـرنين من تطبيق هـذه المبادئ التى نـادى بهـا ميلتون فـريدمـان وآل فون هـايك وأتباعهم من الأمـريكيين مثل ريجـان ومن الإنجليـز مثل تـاتشـر أو من الـوزراء الفـرنسيين اليسـاريين واليمينيين ظهرت عيـوبها جليـا إذ تؤدى إلى تـراكم متزايـد للثروات والسلطـة فى أحد قطبى المجتمع وإلـى التبعية والبطالة والاستعباد فى القطب الآخر.

وينطبق هـذا الوضع على المستـوى العالمى : فبعـد خمسة قـرون من الاستعمار الـذى قضى على الـزراعـات الغذائيـة فى البلاد للزراعة محصول واحـد ومنتج واحد يمثل ملحقا لاقتصاد الدول المستعمـرة القديمة ممـا سمح بالإبقـاء على التبعية حتى

بعد الاستقلال السياسى الشكلى وذلك عن طريق القناع المزدوج للمساعدة التى يقدمها المستعمرون القدماء وإدارة الديون التى يقوم بها صندوق النقد الدولى .

والنتيجة التى استتبعت ذلك هى أنه فى الفترة بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٨٩ زاد نصيب الـ ٢٠٪ الأكثر ثراء فى العالم من ٧٠٪ إلى ٨٣٪ من الدخل العالمى أما العشرون بالمائة الأكثر فقرا فقد انخفض نصيبهم إلى أقل من ١و٥ .

ولا يفتا هذا الاستقطاب أن يزداد أيضًا فى الدول الأكثر ثراء ففى الولايات المتحدة يسيطر ١٪ من الأكثر ثراء ففى الولايات المتحدة يسيطر ١٪ من الأكثر ثراء على ٤٠٪ من الثروة القومية .

إن الحساب الختامى لانهيار الحضارة الغربية ثقيل للغاية ويمكن تلخيصه فى بضع كلمات :

هناك أقلية غنية لا تتعدى خمس سكان العالم تسيطر وتستهلك ٨٠٪ من الموارد الطبيعية فى هذا العالم و «النموذج الغربى» للتنمية يكلف العلم الثالث (بسبب الفقر وسوء التغذية

والجـوع والأمراض البسيطـة والعـلاج) حياة ٤٥ مليـون شخص سنـويا من بنيهم ١٥ مليـون طفل دون السنوات الخمس أى مـا يعادل عدد قتلى هيروشيما مرة كل يومين.

ولا يمكن تصور إدارة أسوأ من ذلك لكوكبنا من جانب الذين يدعـون تلقين دروس فى الـديمقراطية وفـى الحرية وفـى حقوق الإنسان.

فجرائمهم تحجب عنهم أهلية تلقين تلك الدروس.

«ووحدانية السوق» التى سميت «الحداثة» تأخذ شكل انهيار للعلاقـة الاجتماعيـة لصالح منظـور داروني اجتماعى كمـا كان يتصورها سبنسر وتتلخص فيها الحرية الممنوحة للأقوى لالتهام الأضعف.

وقـد أعلن من قبل الأب لاكـورديـر عن هذه البـديهـة والتى يمكن التحقق منهـا اليـوم أكثـر مـن أى وقت مضى وهى أن فى العلاقة بين القوى والضعيف تجد الحرية مجالا واسعا لممارسة الظلم.

وتجـربة السـوق الحرة بين الـولايـات المتحدة وكنـدا حيث

يتعـدى أجر العـامل ٢٠ دولارا يوميـا والمكسيك حيث يقل عن ثلاثة دولارات قـد أعطت مجالا لنقل مراكز الشـركات مما أدى إلى تفشى البطـالـة بين العمـال الأمـريكيين واستمـاريـة وضع العبوديـة المجحف الذى يعانـى منه العمال المكسيكيـون وقد أظهرت هذه التجربة حقيقة هـامة وهى أن القلاقل التى قام بها الشيـابـاسى إنمـا هى تعبيـر عن رفضهم للتضليل الآثم الـذى يتسم به ما يعرف باسـم «التجارة الحرة» .

والأمر يتعلق بمسـألة متداخلـة الجوانب سـواء ما كـان منها اقتصادى أو سياسى أو دينى .

فـالطابع الـدينى إنما يتجلى فى الغـايات الأخيـرة للإنسـان والتى تتمثل فى معـرفة مـا إذا كـان تنمية العلـوم والتقنية تـؤدى بالضرورة إلى تحطيم الإنسان أو ازدهار.

والحق أننا نرى بصورة واضحة وجلية آثار «وحدانية السوق» التى تعتبر النتيجة العليا «الحداثة» الغربية .

ثم يحتكم جارودى إلى الأرقام ليثبت حقيقـة ما يقول فيقول هناك تدهور فى العلاقة الاجتماعيـة فى نظام قال عنه هوبز عند

نشأته ــ إن الفردية والمنافسة يجعلان فيه إنسان وحشا لأخيه الإنسان.

ويمكن ترجمة ذلك فى أرقام :

ففى فرنسا تم تسجيل ١١٥٠٠ حالة انتحار عام ١٩٩١ مقابل ١١٦٠٠ عام ١٩٩٢ و١٢٠٠٠ عام ١٩٩٣ وبالنسبة للسكان زاد عدد الجرائم حتى بلغ خمسة أمثال ما كان عليه أى من ٨٣٧٠٠٠ جريمة وجنحة فى عام ١٩٦٥ ليصل إلى ٣٨٠٠٠٠٠ فى عام ١٩٩٠ و٦٦٠٠٠ جريمة مخدرات فى ١٩٩٢ مقابل ١٠١٠٠٠ عام ١٩٨٥ .

ويتجاوز اليوم عدد الذي يعانون من البطالة فى فرنسا ثلاثة ملايين فرد، وفى الوقت الذى يسيطر فيه ١٠٪ من الفرنسيين على ٥٥٪ من الثروة القومية يعيش ٥ ملايين شخص على دخل يقل عن ٢٣٠٠ فرنك شهريا بينما يبلغ دخل السيد ميشيل أينيار رئيس مجلس إدارة شركة والت ديزنى ٢٠٣ ملايين دولار سنويا .

وتتكرر نفس هذه الصورة فى كل البلاد التى تسود فيها «الحداثة» و «وحدانية السوق» ففى الاتحاد السوفيتى منذ إقامة

النظام الرأسمالى عن طريق الدعارة السياسية التى يمارسها يلتسين ازداد استهلاك المخدرات حتى بلغ نفس مستوى الاستهلاك فى الولايات المتحدة. ففي أوزباكستان زادت مساحة الأرض المنزرعة بنبات الخشخاش بمقدار ستة أمثال أى من ١٥٠ هيكتارًا فى ١٩٩٢ لتصل إلى ١٠٠٠ هيكتار فى ١٩٩٥.

وفى الولايات المتحدة التى تعتبر رائدة فى مجال التدهور بلغ رقم الأعمال فى مجال المخدرات نفس قدره فى مجال صناعة السيارات والصلب.

ويشهد الانتحار والمخدرات على الرغبة فى الانطلاق من عالم فى طريقه لأن يصبح غير صالح للحياة.

بيد أنه توجد علامات أخرى للتدهور غير التباين فى الثروات أو الانطلاق. ولن أذكر هنا سوى نموذج واحد وهو الفساد فاقتصاد السوق يحمل فى طياته الفساد كما تحمل السحب الرعد. ففى نظام يباع ويشترى فيه كل شىء حتى السلطة والضمائر يعلن الفليسوف المعروف بتحفظه الشديد «إلان كوتاه» فى كتابه «الرأسمالية فى كل الدول» أن الزيادة فى الفساد

إنما ترتبط ارتباطا وثيقا بزيـادة الأنشطة المالية والإعلامية فعندما يسمح الإعـلام بمناسبـة إجراء عمليـات ماليـة مختلفة النـوعية ولاسيمـا عمليات الانـدمـاج والاكتساب ببنـاء فى بضع دقـائق ثروات ضخمة لا يمكن تحققها حتى من خلال العمل المضنى طـوال العمر فإن إغـراء البيع والشـراء يصبح صعب المقاومـة . ومما يهيىء تنميـة اقتصاد السوق تطويـر هذه الأسـوق الأصلية ويختتم عالـم الاقتصـاد بقوله : يلعب الفساد دورا قـريب الشبه من التخطيط .

إن الدور الأساسى للبنوك إنمـا يتلخص فى جمع المدخرات واستثمارهـا فى مجال الإنتـاج إلا إنه قد تغيـر بصورة ملحـوظة حتى أن رؤوس الأمـوال أصبحت تستخـدم فـى المـراهنـة على ارتفـاع وانخفـاض رؤوس أمـوال أخـرى دون خـدمـة اقتصـاد حقيقى ... فتحـولت البنـوك إلـى صـالات قمـار وأصبحت كالطفيليـات الضارة بالشـركات الماليـة التى يلعب فيها بالـولد الذهبى وعلى تذبذت الأسعار.

تلك هى الحداثة التى ترفضها والتى تطيح بأى معنى للحياة

فالنطق بكلمة الله يعنى الاعتـراف بأن للحياة معنى وأننى مسئول عن اكتشافه وتحقيقه .

ولا تقـولوا لنـا أننا نحكم على الحـداثـة الغربيـة من منطلق انحرافاتهـا وانحلالاتها : فالنهاية التى آلت إليهـا تلك الحداثة والتى تعـــرض بقـاء كـــوكبنـــا للخطـر هـى على العكس من ذلك . نهاية منطقيـة بحتة فرضياتها الأولى التى تم تعـريفها منذ عصر النهضة وقد تنبأ شكسبير فى «دفة أثينا» وسرفانت فى دون كشوت بمـا سوف تؤول إله الحضـارة القائمة على هيمنـة المال وهمـا لـم يشهـــدا إلا بـدايـاتهـــا أمـا اليـوم فنحـن شهـود على نهايتهاوفـاعلون لا إراديون لها وأعنى بتلك النهايـة فقدان الحياة والعالم لكل معنى .

وقد أثبتـت كل الفرضيـات الأولى لتلك الحداثـة المزعـومة كذبها وافتراءها .

ويأتى فـى المقـــام الأول الفـــرضيـــات الأولى الخـــاصـــة بـالديمقـراطيـة وبالـدفـاع عن حقوق الإنســان . فـدوما كـانت الديمقراطية تعتيما لأقلية يمتد نطاقها من ملاك العبيد إلى ملاك

الثـروات فالـديمقراطيـة التى يطلق عليها اسم ديمقـراطية أثينـا وعــرف بهــا عهــد يــريكليس والتى تعتبـر نمــوذجًــا «لأم الديمقراطيات» لـم تكن إلا حكـم ٢٠ ألفًا من المواطنين الأحرار لمائة ألف عبد محرومين من كافة الحقوق .

ينـادى إعـلان استقـلال الولايـات المتحـدة بـالمسـاواة فى الحقوق لكل البشر وعلى الرغم من صدور هذا الإعلان الرسمى ظلت العبودية قائمة بعده لما يزيد على قرن .

يؤكـد إعلان حقوق الإنسان والمـواطن الذى أصدرتـه الثورة الفـرنسية على مـايلى : «يولـد كل البشـر أحرارا ومتسـاوين فى الحقـوق ، إلا أن الدستـور الخـاص بـاقتراع دافعى الضـرائب ـ والذى جاء هذا الإعلان فى ديباجته ـ يحرم ثلاثة أرباع الفرنسيين من ممــارسـة حقهم فى التصــويت لأن فقــرهم يجعل منهم مواطنين سلبين .

بوسع كل فـرد أن يستند إلى حقوق الإنسان فـالمساواة تكون كاملة أمام القانـون فلكل من العاطل والملياردير نفس الحق فى تأسيس جريدة أو فى إنشاء قناة تليفـزيونية . وهذه المساواة أمام

القانون تكون تامة بـدرجة لا تعرف معها الاستثناءات. فمحظور على هذا المليارديـر كما هو على هذا العاطل سـرقة رغيف خبز و إذا ما حدث ذلك فسوف يحكم عليها بنفس العقوبا.

هذه الأمـور كلها منصوص عليهـا فى إعلان حقـوق الإنسان الصـادر عن الأمم المتحـدة فى عام ١٩٤٨ وفى قـوانين الـدول التى يقال عنها «ديمقراطيـة» كما تتحدث تلك القوانين عن حق العمل، لمـلايين العاطلين عـلاوة على حق التصـويب. ولكن هنـاك قوانين أخـرى أكثر إلـزاما تسـود فى الواقع: فلقـد حلت الورقة النقدية ومحل البطاقة الانتخابية.

ليس فقط لأنـه فى الولايـات المتحدة ـ على سبيـل المثال ـ يحتـاج الشخص ٥٠٠ مليـون للقيام بحملـة انتخـابيـة ليصبح عضوا فى مجلـس الشيوخ أو النواب ولكن لأن الثـروات فى كل تلك الـدول تسمح بشراء الأداتيـن الرئيستين للحكم ألا وهمـا: وسائل الإعلام من أجل التأثير على الرأى العام وصناعة التسليح لاقناعهم فى نهاية الأمر.

وهـذا لا يمثل انتهـاكـا لمبــادئ الـديمقـراطيـة الليبـراليـة

البورجوازية ولكن تطبيقا حرفيا لها : فلقد كتب بوضوح الفيلسوف الإنجليزى ج لوك الذى كان يعرف عن تجربة أسس أول «ديمقراطية» أوروبية وهى الديمقراطية الإنجليزية وممارستها فى كتابه «دراسة ثانية عن الحكومة المدنية» : إن الهدف الأكبر الذى يسعى كل البشر إلى تحقيقه هو الإبقاء على الملكية ويستنتج من ذلك وفى منطقية كاملة أن من لا يمتلكون يستبعدون من الديمقراطية .

وقد أكد الكاتب العظيم ديدرو عشية الثورة الفرنسية ـ فى إحدى مقالات موسوعته التى حملت عنوان «النائب» ــ على الأفكار السياسية للملوك حيث قال فى لهجة حازمة : «المالك وحده هو المواطن» .

وعلى الرغم من المظاهر الشكلية فإن النفس هذا المبدأ ما زال سائدا اليوم فى «ديمقراطياتنا» الليبرالية محققا حكم روسو فى «العقد الاجتماعى» حين قال أبدا لم يحدث أن كانت هناك ديمقراطية وذلك لسببين :

١ ــ إنعدام الإيمان العام فى الموت والحساب والحياة

الأخرى .

٢ ـ تفاوت الثروات .

ويحول هـذان السببان دون تكون تلك «الإرادة العـامة» التى تمثل حجر الزاوية لمفهومه عن الديمقراطية الحقيقية .

وقـد برهن قـرنان من التجـرية على صـدق نبوءة روسـو التى أقامها على تجارب الماضى .

ويبـدو اليـوم واضحــا للعيـان كـذب التمـاثـل القـائم بين الـديمقـراطية وحـريـة السـوق هـذا المبـدأ المخادع لسيـاسـة الأمريكية .

وتكمن وراء ذلك أسباب رئيسية ذكرها روسو وهى : لا يمكن التوصل لإرادة عامة إلا إذا كان للمجتمـع بأسره أهداف مشتركة إلا أن السـوق لا يعـرف إلا إرادات فـرديــة لأفـراد وجمـاعـات يتصادمون ويتنافسون فيما بينهم كما فى الغاب فوحدانية السوق هى ـ من حيث المبدأ نفسه ـ نقيض الديمقراطية .

ومفهـوم روسـو هذا شـديـد الشبـه بمفهوم القـرآن الخـاص بتفاوت الثروات ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمـرنا مترفيها ففسقوا**

فيها فحق عليها القول فدمـرناها تدميرا﴾[سورة الإسراء : ١٦] أو مفهومه الخاص بالشورى حين جعلها ضرورية لرجال الدين من أجل اتخاذ القرارات المصيريـة . وتجدر الإشارة إلى أن الشهادة التى يطالب بها روسو لا تتخذ من أى ديـانة يطالب بها روسو لا تتخـذ من أى ديانـة أخرى مـرجعية لهـا وهذا هـو الحال أيضـا بالنسبة للقرآن الذى لا يزعم أنه يحمل للناس دينا جديدا ولكنه يدعوهم إلى تلبية نداء الإيمان الموجود فى قلوبهم .

بعـد أن نفخ الله فى الإنسـان من روحـه ، كمـا أكـد القـرآن الكـريم مرارا وتكـرارا أنه «لا إكـراه فى الدين » إذن ينبغى علينـا التفكـر ـ حيـن اعتبارنـا للمـاضى فى الظـروف المهيئة لنهضـة إسلامية حقيقية تكون باعثا لحداثة جديدة .

ويجيب جـارودى على ذكر أسبـاب نجاح الإسـلام وأسباب انتشاره قائلا : إن التوسع الكبير للإسلام فى القرن الأول الهجرى لم يكن أبـدا غزوا عسكريـا فسكان شبـه الجزيـرة العربيـة كان عددهم ضئيلا إذا مـا قيس بهذا التوسع الهائل كمـا أنه لا سبيل للمقـارنـة بين تقنيـاتهم العسكـريـة وتقنيات الامبـراطـوريـات

العظمى مثل بيزنطا وفاس .

فللنجاح أسباب ثلاثة وهى :

١ ـ تجديد دينى

٢ ـ ثورة اجتماعية .

٣ ـ طفرة ثقافية .

١ ـ تجديد دينى :

الإسلام ليس دينا جديدا ولد مع دعوة النبى محمد .

ـ الله ليس إله خالصا بالمسلمين فكلمة الله «بمعنى» «الإله» هى ترجمة حرفية للكلمة التى تعنى الله الواحد . فالمسيحى ـ الذى يتحدث العربية ـ بذكر كلمة «الله» حين يدعو الله فى صلواته وطقوسه .

ـ الإسلام يعينى الخضوع اللاإرادى والحر لله الواحد . وهذا هو القاسم المشترك الأعظم فى كل الديانات السماوية : اليهودية والمسيحية والإسلام منذ أن نفخ الله فى الإنسان من روحه حيث يقول الله فى كتابه العزيز ﴿**ونفخت فيه من روحى**﴾

[سوة الحج : ٢٩] أى منذ بدء الخليقة.

ــ وهكذا يعرف القرآن الإسلام بصورة واضحة ويأمر الله محمدا بأن يقول: ﴿**قل ما كنت بدعا من الرسل**﴾ [سورة الأحقاف : ٩].

ـ وهو يذكره كثيرا لأنه ليس النبى الأول: ﴿**لقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين**﴾ [الحجر: ١٠].

ويقول القرآن ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] جميعهم كانوا رسلا لإله واحد.

ويؤكد الله فى حديثه إلى نبيه على استمرارية الرسالات النبوية (ما يسميه القرآن سنة أو حديثا شريفا) وكثيرا ما يأمره قائلا:

﴿**سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾ [سورة الزخرف : ٤٥] [سورة يونس : ٩٤]، [سورة النحل : ٤٣] [سورة الأنبياء : ٧].

وفى القرآن. يأمر الله المسلمين بتكريم أنبياء اليهود ومسيح النصارى [سورة النساء : ١٥١]، [سورة الحديد : ١٨].

ويذكر الرسول محمد البشر أجمعين بالديانة الأولى : ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[سوة الروم : ٣٠] .

وهذا النداء موجه لكل الشعوب يقول القرآن أن الله قد أرسل رسله لكل الشعوب وجعلهم يتحدثون لغتهم حتى تفهم رسالتهم وذلك يشمل من لم يتحدث عنهم القرآن مثل الهند والصين .

٢ ـ ثوة اجتماعية :

تحدد الرسالة الاجتماعية لمجتمع المدينة الشروط الواجب توافرها فى كل مجتمع إنسانى وهذه الرسالة هى رسالة الشريعة الرئيسية : الله وحده المالك ، الله وحده الأمر والله وحده العالم .

ـ الله وحده المالك ﴿**له ما فى السموات والأرض**﴾ [سورة البقرة : ١١٦ ، ٢٨٤] ، [سورة آل عمران : ١٠٩] الإنسان ـ خليفة فى الأرض ـ مكلف بإرادة هذا الملك فى سبيل الله .

ـ وهذا المفهوم يتعارض مع مفهوم الحق فى قانون جوستان

الذى يعـرف الملكية بـالحق فى الاستخدام وإسـاءة الاستخدام وعلى العكس من ذلك ، فإن الواجبات ـ بالنسبة للمسلم ـ تأتى قبل الحقوق .

ولا يمكن لـلإنسان المسئـول عن أداة ملك الله أن يتصـرف فيها كما يشاء ـ فلا يمكن له أن يدمره وفقا لنزواته أو أن يبدده أو أن أترك الأرض بلا زراعة دون أن يجعلها تثمر بالعمل ولا يمكن لـه أيضـا أن يجمع المـال ويكنـزه : ﴿**والـذين يكنزون الـذهب والفضة ولا ينفقـونها فى سبيل الله فبشـرهم بعذاب أليم**﴾ [سورة التوبـة : ٣٤] واللعنة الكبـرى فى القـرآن موجهـة ضد الثـرى أبو لهب الذى تدينه ثرواته : ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه مـالـه ومـا كسـب * سيصلى نـارًا ذات لهب**﴾[سورة المسد : ١ـ٣] .

وكل تعـاليم القـرآن تنـادى بـالـزكـاة والتى تتمثل فى انتقـال اجتماعى للثـروات كأحد متطلبات الـدين وتحظر الـربا أى كل زيادة فى الثـروات بلا عمل فى خدمة الله . وهى تعـاليم تهدف إلى الحيلـولـة دون تكـديس الثـروات فى أحـد قطبى المجتمع

وتفشى البؤس والفقر فى القطب الآخر.

٣ ـ طفـرة ثقافيـة فهذا هـو البعد الثـالث وهو بعـد ذو طابع نقدى تنفع مسئوليته على ضروة الـوقوف بالفكر الدينى المستنير ضد الفقهاء القادمين من الخارج والذين يعتبرون أنفسهم عمالاً وحراسًا للمطلق دون أى علـم.

وعلى علماء الـدين البحث فيما يحدث ويتعرض لـه الدين الإسـلامى اليـوم وذلك يتحقـق بعـدم الانطـلاق على معضلـة خـاطئـة أو الوقـوع فى محل اختيـار محـاكاة الغـرب أو العـودة للماضى وفى ذلك إنقاص لشأن الإسلام العظيـم.

لقاء جـــارودى
مع المثقفين والمفكرين

فى لقاءاتهم بالثـراء والتنوع فى الأسئلة المطروحـة والإجابات التقى جـارودى بالكتـاب والمفكـرين المصريين حيث أجـابٍ على كافة الأسئلة التى وجهوها له وفيما يلى جانب من اللقاء :

● د. صلاح فضل : رحلة خصبة ومسيرة روحية عميقة تحول فيهـا جـارودى من المسيحيـة إلى المـاركسيـة إلى الإسـلام ثم جمعهمـا معًـا فى مـزيج بـديـع أصبح الإسـلام فيـه هـو القـوة الحاكمة . . ماذا عن تحولات الرحلة الفكرية والروحية؟ !

■ جـارودى : نشأت فى أسـرة ملحـدة لكنها محـافظـة فى السياسـة وأثناء الأزمة الاقتصـادية العـالمية وانتشار الفـاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيـا بدأت أشعر أن الحياة عبثية ولا معنى لها ، وقـرأت فى هذه السن المبكرة كتـابًا لكيركجـارد عن واقعة فداء سيدنا إبراهيم بابنـه إسماعيل وتأثرت من تأملات كيركجارد فى إذعان إبراهيم وطاعته لربـه وقبوله لكلام الله بلا قيد أو شرط وقررت فى سن الرابعـة عشرة اعتناق البروتستانتيـة . وفى الثانية والعشرين قررت الانضمـام للحزب الشيوعى لكننى لـم أكن فى يوم مـن الأيام ملحـدًا وعندما كنـت عضوًا فى اللجنـة المركـزية

للحزب الشيوعى الفرنسى كنت فى الوقت ذاته رئيسا للطلاب المسيحيين البروتستانت ودخلت الحزب الشيوعى كمسيحى وكنت فى هذه الأثناء طالب فلسفة . وكنت أبحث عن منهج فوجدته فى الماركسية ، والماركسية لا علاقة لها بالأديان ومن وجهة نظرى فالدين يضع الغاية القصوى للحياة ويجسد القيمة المطلقة ويجعل للوجود معنى . وعندما كنت معتقلاً فى أحد سجون الجزائر نظمنا إضرابًا عام ١٩٤١ وطلب قائد المعتقل فلك الإضراب فرفضنا وعندما تأكد أننا مصرون على الرفض طلب من الجنود أن يطلقوا الرصاص فلم ينفذوا الأمر وعلمت بعد ذلك أن هؤلاء الجنود جزائريون مسلمون وأن الدين الإسلامى يمنع المسلم من إطلاق الرصاص على أعزل ، وبدأت دراسة الإسلام وبخاصة الإسلام الذى كان سائدًا فى الأندلس وقرأت القرطبى وابن حزم وابن ماجه وابن طفيل وابن رشد وابن عربى . ووجدت أن الإسلام ليس دينا خاصًّا ولكنه الدين الذى آمنت له كل الرسل ، والإسلام يعنى الخضوع اللاإرادى والحر لله الواحد وهذا هو القاسم المشترك الأعظم فى كل الديانات السماوية . ويعرف القرآن الإسلام بصورة واضحة

ويأمـــر الله محمـــدًا بأن يقـــول ﴿**قل مـا كنت بـــدعًـا من الرسل**﴾ويـذكـره كثيًـرا بأنـه ليس النبى الأول ﴿**ولقد أرسلنـا من قبلك فى شيع الأولين**﴾ ويقول القرآن ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبلـه الرسل**﴾ ويـؤكـد الله فى حـديثـه إلى نبيـه على استمراريـة الرسالات النبـوية ﴿**سل مـن أرسلنــا من قبلـك من رسلنا**﴾ وفى القـرآن يأمـر الله المسلميـن بتكـريم أنبيـاء اليهـود ومسيح النصـارى [سـورة النسـاء : ١٥١ ، سوة الحـديـد : ١٨] ويذكـر الرسـول محمد البشر أجمعين بـالديـانة الأولى ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطـر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ هكذا فهمت الإسلام بأن نـداءه موجـه لكل الشعوب ويقـول القرآن إن الله قد أرسل رسله لكل الشعـوب وجعلهم يتحدثون لغتهم حتى تفهم رسـالتهم وذلك يشمل مـن لم يتحـدث عنهم القـرآن مثل الهند والصين ... فالإسلام هو الدين المجدد. وبالنسبة لى فقد تأثرت بنموذج الإسلام الذى كـان سائدًا فى الأندلس كان هناك منـاخ رحيب للحـريـة فإلى جوار المسـاجد تـوجـد الكنـائس والمعابـد وإلى جوار الفـلاسفة المسلمين تواجـد فلاسفـة يهود

مثل ابن ميمون وساهموا فى الحضـارة الإسلامية ، أما عن مسار حياتى الفكرية فيقوم علـى الاتصال لا الانفصال وعندما ذهبت إلى السعودية لاستـلام جائزة الملك فيصل سألنى صحفى عن علاقتى الآن بالمسيحية والماركسية فقلت له إننى أدخل الإسلام وتحت إبطى دعوة يسوع المسيح وتحت الآخر كتاب رأس المال لكـارل ماركس وعنـدما أردت أن ألقى محـاضرة هنـاك عن ابن عربى اعتبروه شيطانًا .

الإسلام بلا كهنوت

● أحمد عبد المعطى حجازى : أنت صاحب كتاب «وعود الإسلام» وفهمت منـه أن وعود الإسـلام مقدمـة للبشريـة كلها . والآن معظم من يتحدثون باسم الإسلام يقـدمونه فى صورة سلبية جدًّا ويبررون الإرهـاب باسمه ونحن نريد مسلمًـا يجدد الإسلام فما هى وعودك للإسلام؟

☐ جارودى : اعتنقت الإسلام واكتشفـت من خلال جلال الـدين الـرومى وابن راشـد وابن عـربى والحلاج وفـريـد الـدين العطار وغيـرهم أنه دين يتميـز بعدة خصائص أولاً إنـه دين عام

وشامل لا يحتكر فيه أحد الحقيقة غير الله وحده هو الذى يعلم وهو الذى يعرف ومعـرفة الله هى المعرفة المطلقة الثابتة ومعرفة البشـر نسبية ومتغيـرة والله لم يخلق العـالم مرة واحـدة إنما هـو مستمر فى الخلق. والفقة هو معرفة الفقهاء عن الإسلام وبالتالى فهـو معرفـة بشـريـة متغيرة الـزمـان والمكـان والظروف ، ففقـه الشافعى غير فقه أبى حنيفة هناك فقه قديم وفقه جديد نطالب به والإخلاص للقـدماء لا يعنى الحفـاظ على رماد القبـور، وإنما يعنى الحفـاظ على شرارة الخلق والإبـداع وبما أن الإسـلام دين شامـل فإنه يحتـاج منا الفهم والحـوار المستمر بيننا. فكـل منا يتعلم من الآخـر وموقفهـم ضد حـريـة المرأة وحقهـا فى العمل والتعليم والرسول عليـه الصلاة والسلام قال **خذوا نصف دينكم عن عائشة**» والإسلام ضد وحشية الطاليبان مثلاً.

ثانيًـا فى الإسلام الله وحده هـو المالك﴿**له ما فى السموات والأرض**﴾ والإنسـان خليفـة الله فـى الأرض مكلف بإرادة هـذا الملك فى سبيل الله ولا يجوز لـلإنسان المسئول عن إرادة ملك الله أن يتصرف فيه كما يشاء. فلا يمكن لـه أن يدمره وفقا لنزواته

أو أن يبـدده أو أن يتـرك الأرض بلا زراعـة دون أن جعلهـا تثمـر بالعمل ، ولا يمكن له أيضـا أن يجمع المال ويكنزه : **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾**واللعنـة الكبرى فى القـرآن موجهـة ضـد الثرى أبـو لهب الذى تدينه ثرواته **﴿تبت يدا أبى لهب وتب* ما أغنى عنـه ماله وما كسب * سيصلـى نارا ذات لهب﴾** وكل تعالـم القرآن تنادى بالزكاة والتى تتمثل فى انتقال اجتماعى للثروات كأحد متطلبات الدين . وتحظر الربا ، أى كل زيادة فى الثروات بلا عمل فى خـدمـة الله ، وهى تعـاليم تهـدف إلى الحيلـولـة دون تكـديس الثـروات فى أحـد قطبى المجتمع وتفشى البـؤس والفقـر فى القطب الآخر.

ثالثا العلاقة بين الإنسان وربه فـى الإسلام علاقة مباشرة فلا توجد واسطـة بينهما ولا يوجد كهنوت ولا سلطـة رجال دين فلا كنيسة ولا قساوسة .

رابعا : عندما قرأت صدر الدين الشيرازى تعلمت أن المحبة الإلهية فى الإسلام تكتسب بالمحبة الإنسانية .

●محمد سيد أحمد يسأل : لماذا أضفتم فى كتابكم الأخير ملحقا عن الفلاسفة الجدد فى إسرائيل وكيف نفرق بين اليهودية والصهيونية فى هذا الإطار؟

□ جارودى : أعتقد أنه من الموضوعات الهامة فى كتابى التفرقة بين اليهودية كديانة والصهيونية كسياسة الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهودية ومن حسن الحظر أن كثيرا من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندما أراد تيودور هرتزل أن يؤسس إسرائيل عارضه معظم الحاخامات فالصهيونية ما هى إلا هذه البدعة المتشددة العظمى التى غيرت الرسالة الإلهية بإعطائها هذا التبرير الأيديولوجى لقومية عدوانية وتم تبديل إله إسرائيل بدولة إسرائيل هذه البدعة التى أطلقها هرتزل إن المطلب الوارد فى التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أى قراءة تحريفية تحول الأقوال العظيمة التى قالها

الآباء الكهنة والرسل لتجعل منها تـاريخا قوميا وحتى قبليًا. إن هذا المطلب هو بـدعة تدعم السياسة الصهيـونية . وهى تؤدى إلى المفارقة التالية فحسب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥٪ فقط من الإسـرائيليون متـدينـون وبالـرغم من ذلك فإنهـا تحـاول أن تجعل الغالبيـة العظمى من الشعب يـؤمن بأن هـذه الأرض ملك له لأن الله قد وعده بها . هـذا الإله الذى لا يؤمن به الشعب إن بن جـوريـون الكافـر هـو الذى أطلـق هذا الشعـار المذكور فى إسرائيل يقدمون لهم التوراة عن مملكة داود الثالثة . وعندمـا يستدعـون الشباب للجنـدية فى إسـرائيل يقدمـون لهم التوراة وفيها خريطة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويقولون إن تفكك المستوطنات خيانة كبرى لليهودية .

إسرائيل ملحدة

○محمـد عودة : عنـدما نـدرس إسرائيل نـدرسها كمشـروع استعمارى استيطانى لا عـلاقة له بالروحانيـات ولا باليهودية ... فكيف يرى جارودى الدور التاريخى لإسرائيل؟

□ جـارودى : أتفق معك فإســرائيل هى اختـراع اليهـوديـة

الأوروبية وهرتزل مؤسس إسرائيل والأب الروحى لها ملحد غنوص وقد رسم لها مهمة رئيسية قبل أن تنشأ. وقام بالمساعى العديدة لدى دول الغرب التى كانت استعمارية فى ذلك الوقت وهى إنجلترا والمانيا وإيطاليا وروسيا وكانت حجته الرئيسية التى استند إليها أنه إذا قامت إحدى هذه الدول بحماية هذه الدولة الوليدة فستتمتع بميزة على كافة خصومها لأن هذه الدولة ستكون بمثابة رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل تغلغل استعمارى يقوم بالضرب. وستكون بالنسبة لأوروبا متراسا ضد آسيا. وعندما تحول ميزان القوة الاستعمارية لأمريكا تحولت إسرائيل إلى عميل لها بحيث تلعب إسرائيل إلى عميل لها بحيث تلعب دور الإدارة لحماية مصالحها فى المنطقة.

● **د. مصطفى محمود: أحب أن أنقل إليك شعور كاتب إسلامى يمثل كل الإسلاميين فى مصر. والسؤال يدور حول شعورنا أن المسرح يعد فى منطقتنا لمواجهة عسكرية قريبة وأن إسرائيل ومن ورائها أمريكا سوف تحسم أطماعها عسكريًّا فهل يشعر جارودى معى أن هذا الاحتمال وارد أم أنها هموم مبالغ**

فيها؟

□ جارودى : أعتقد أن إسرائيل ستكون مفجرًا لحرب عالمية جديدة ولن يكون لهذه الحرب سمات الحروب العالمية السابقة. فالحروب السابقة وقعت بين الدول الغربية وكانت بمثابة حروب أهلية فى إطار النظام الرأسمالى. الحرب الجديدة ستكون حرب حضارات بين الشمال الرأسمالى وبين الجنوب وسوف تلعب إسرائيل فى هذه الحرب دورًا حاسمًا وبعد سقوط الاتحاد السوفييتى فإن الولايات المتحدة تبحث عن شيطان آخر تبرر به هيمنتها وتدخلها واستعمارها. فتحت شعار محاربة الشيوعية كانت الولايات المتحدة تتدخل فى الدول التى تبعد على الأقل عشرة آلاف كيلو متر عن حدودها. الشيطان الجديد الذى عثرت عليه أمريكا هو الإسلام الذى تسميه الإرهاب. وبخاصة فى الدول الإسلامية البترولية التى لا تقع تحت سيطرتها. مثل إيران وليبيا، وأعتقد أن أول حرب ستكون ضد إيران. وعندما اجتمع قادة الإرهاب فى شرم الشيخ حدد شيمون بيريز الهدف الجديد مدعيًا أن إيران هى مصدر الإرهاب

بكافة أشكاله فى العالم دون أن يقدم دليل على ذلك .

نعم للكفاح المسلح

● **هل تعتقد أن اتفاقيات السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن تعيد للفلسطينيين حقوقهم؟ وهل هناك اختلاف بين سياسة بيريز وسياسة نتنياهو؟**

□ جارودى : بالتاكيد لا: لأنه لا توجد مفاوضات حقيقية إلا حينما يوافق جميع الأطراف على طاعة القانون الدولى ، ولكن دعنا نتساءل ما الذى تعطيه هذه الاتفاقات للفلسطينيين؟ ٦ ٪ فقط من الأراضى المحتلة والباقى لإسرائيل وهذا معناه أن هذه الاتفاقات غير معنية إلا بـ ٦ ٪ من القضية الفلسطينية . . والأرض التى يأخذها الفلسطينيون عبارة عن مقاطعات مجزأة تحيط بها المستوطنات (٢٠٠ـ مستوطنة) فى حماية الجيش الإسرائيلى . والطريق المؤدى إلى القدس والذى تلتقى عنده جميع الطرق ممنوع اجتيازه بتاتًا إلا لليهود ، ومنذ التفرقة العنصرية التى كانت قائمة فى جنوب أفريقيا لم نعرف أبدًا نوعًا من التفرقة المكشوفة بهذا الشكل ، فهذه ليست مفاوضات سلام

ولكنها نوع مـن إملاء الإرادة . هذه مهزلة سـافرة . وعن نفسى ، فأنا لن أزور فلسطين المحتلة باتفاقات أوسلو، وأعتزم بالمقابل تكرار زياراتى لقرية قانا فى لبنان ولا يوجد فرق بين حزب العمل والليكود إلا فى الكلام فقط . وما كان يـريد بيريز تحقيقه بخبث شديد، يريد نتنياهو تحقيقه بصلف شديد .

● جلال أمين : مـاذا عن الحل . وعن إمكانيـة تحقيق دعوة جارودى إلى مقاطعـة الجنوب لأمريكا والدول الغربيـة اقتصاديًّا فى الظروف الدولية الراهنة . ؟

□ جارودى : أعتقد بصراحـة أن حل القضية الفلسطينية يبدأ من أمريكـا وطالما أن إسـرائيل تمتلك كل هذا السـلاح والمال والتفوق الدبلوماسى والدعم الأمريكى وحق الفيتو الأمريكى فإن مقاطعـة إسرائيل فقـط غير كاف . الحـل أن نضرب أمريكـا فى نقاط ضعفهـا ، فى الاقتصاد فأمـريكا هى أكبـر دولة مـدينة فى العـالم والبنـوك الأمـريكيـة مجـرد أوكـازيـونـات تعتمـد على المضـاربـات أكثـر من اعتمادهـا على العمـلات واقتصـادهـا اقتصاد هش يمكن ضـربه بسهـولة وأقوى سـلاح فى أيدينـا هو

المقاطعة . ففى كل مرة نشترى فيها زجاجة كوكاكولا أو سيارة أمريكية فإنك تدعم الاقتصاد الأمريكى الذى يدعم إسرائيل ، وفى القرن الماضى عندما قاطع الهنود مصانع النسيج البريطانية أفلست وتخلخلت قبضة الاستعمار الإنجليزى على الهند ، الحل مقاطعة الاقتصاد الأمريكى والغربى و إقامة نظام جديد للتعاون الاقتصادى بين الجنوب ، ولقد شاهدت فى أوروبا أحدث الجرارات التى تعمل فى الحقول لكنها لن تعمل إذا منعت عنها البترول . نستطيع دول العالم الثالث أن تحقق الاكتفاء الذاتى وتحل مشكلات الباطلة والتضخم والجوع والهجرة . وأعتقد أن هذا هو الحل لسحب مقدرات الأمور من يد الولايات المتحدة . فأمريكا لن تضحى بأموال العرب المكدسة فى بنوكها بسهولة فهدفنا هو مقاومة استعمارية أمريكا من خلال تكامل وحوار جاد بين دول الجنوب وهذا هو الطريق لتخفيف الدعم والتفوق المالى والدبلوماسى والعسكرى لإسرائيل .

● **هل هذا معناه إنك ضد حق الشعب الفلسطينى فى**

الكفاح المسلح؟

□ جارودى : العملية ليست عنفًا أو غير عنف . لكنى أعتقد أن الشعب الفلسطينى يمكن أن يعبــر عن وجــوده بــالكفــاح المسلح . والمعركة الأساسية من وجهة نظرى اقتصادية ، تتطلب اتحاد الدول العـربية كلها . والاقتصاد الأمـريكى لن يصمد أمام ضياع الأمـوال العربيـة . وإذا كانت أمـريكا سترفـع دعمها عن إسرائيل فلن تستمـر إسرائيل أكثـر من ستة أشهر. لـذلك فإننى أركز على الحرب الاقتصادية .

● **بهاء : ما رأيك فى الأصولية وبخاصة الأصولية الإسلامية؟**

□ جارودى : أود أن أقول إننى حاربت الأصولية الفكرية منذ عام ٤٨ أمـا الأصولية الـدينية فهى أن يعتقد الإنســان أنه يملك الحقيقـة النهائيـة وبـالتالى يتعين فـرضهـا على الآخرين وهـذه جريمة . ومن هذا التعريف كتبت ٤ كتب عن الأصولية وقلت إن الحقيقة يجب ألا تفرض على الآخرين فهذا نوع من الاستعمار. هـذا التعـريف للأصـوليـة كتبتـه عن الكنيســة الكاثـوليكيـة ثم تكلمت عن الأصولية الإسلامية وقلـت إنها ستؤدى إلى التدهور

الإسلامى. ثم هاجمت الأصولية الصهيونية عندما كتبت عن إسرائيل فاستدعوا لى البوليس، ومهمتنا كمسلمين ألا نخلط بين الفقه والتشريع فالتشريع شامل خالد لجميع العصور. أما الفقه فهو متغير بتغير العصور. المواريث مثلا أقرب للفقه منها للشريعة، وحد السرقة يوقف تطبيقه فى حالة عدم توفر مجتمع الكفاية.

● الدكتور يحيى الجمل ألاحظ أن الأستاذ جارودى يستخدم مفهوم الأصولية كما هو متداول فى الإعلام الغربى ألاحظ أنه يخلط بينه وبين مفهوم السلفية. فالأصولية تعنى العودة إلى الينابيع الأصيلة ولا تعنى الجمود أو فرض الفكر بتعسف على الآخرين. وأريد أن أسال عن رأى جارودى فى مستقبل الإنسانية بصفة عامة؟

□ جارودى: عندما أقول الله يصبح للعالم معنى الوحدانية فالعقيدة شىء ضرورى ولا يكون للحياة معنى بدونها. والطابع الدينى إنما يتجلى فى الغايات الأخيرة للإنسان والتى تتمثل فى معرفة ما إذا كانت تنمية العلوم والتقنية تؤدى بالضرورة إلى

تحطيم الإنسان أو ازدهاره .

● **كيف تنظر إلى مستقبل الحضارة الغربية؟**

□ إن الحساب الختامى لانهيار الحضارة الغربية ثقيل للغاية ويمكن تلخيصه فى بضع كلمات هناك أقلية غنية لا تتعدى خمس سكان العالم تسيطر وتستهلك ٨٠ ٪ من الموارد الطبيعية فى هذا العالم، والنموذج الغربى للتنمية يكلف العالم الثالث (بسبب الفقر وسوء التغذية والجوع والأمراض) حياة ٤٥ مليون شخص سنويًا من بينهم ١٥ مليون طفل دون الخمس سنوات، ولا يمكن تصور إدارة أسوا من ذلك لكوكبنا من جانب الذين يدعون تلقين دروس فى الديمقراطية وفى الحرية وحقوق الإنسان وفى العالم الآن ٣٥٠ شخصًا يستحوذون على قسط من الثروة التى يستحوذ عليها ٢ مليار من البشر. أما الديمقراطية فهى فى الواقع العملى للأغنياء وليست للفقراء وعلى سبيل المثال يحتاج الشخص إلى ٥٠٠ مليون دولار فى أمريكا للقيام بحملة انتخابية ليصبح عضوًا فى مجلس الشيوخ أو النواب .

● **وماذا عن تفاصيل الحملة الصهيونية عليك فى فرنسا بعد**

صدور كتابك « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟

□ رفضت كـافـة الصحف التى تشن حملـة تشهيـر واسعـة النطاق على مجرد نشر رد مع أن هذا حقى القانونى. وقد هوجم موزع كتبى من العصابـات الصهيونية الفرنسية وتم تشـويه وجهه وأحـرقت واجهـات المكتبـات التى تعـرض كتبـى فضـلاً عن الملاحقة فى كل مكـان والتهديد بالقتل. وأنتظر محـاكمة أمام محكمة فرنسية فى ١٣ نوفمبر القادم. هذه الحالة ليست حالتى فقط ففى السبعينيات تم فصل البروفيسور « روبيرفوريسون » من جامعـة ليدن وتم اغتيالـه معنويًا لأنـه قدم بحثًا علميًّـا يقول إن عمليـة حـرق اليهـود فى غـرف الغاز فى ألمـانيـا هى أكـذوبـة صهيونية وفى الثمانينيات عنـدما حصل الباحث « هنرى روكبه » على درجة الدكتوراه فى جامعة « نـانت » فى موضوع غرف الغاز وشكك فيها سحبت منه درجة الدكتوراه لأول مرة فى تاريخ فرنسا وفصل الأستاذ الذى أشرف عليـه بقرار من وزير التعليم، وسبق لى أن قدِّمت للمحـاكمة ثـلاث مرات أوائل الثمـانينيات بسبب مقال فى « اللوموند» يدين الغزو الإسرائيلى للبنان.

لقاء جارودى

فى مكتبة القاهرة الكبرى

● واستمرارًا فـى برنامـج لقاءاته فـى القاهرة التقـى جارودى بالمثقفين من كتاب ومفكرين وأساتـذة جامعة فى مكتبة القاهرة الكبرى ليـواصل أحاديثه حول القضـايا التى طرحها فى لقـاءاته السابقة. وبداية أبدى جارودى اتفاقه مع الرأى الذى يذهب إلى أن الدولة اليهودية لم تكن منـذ ولادتها حلا للمشكلة اليهودية أو تمثل قضية روحيـه لتحديد مصير الشعب اليهـودى ولكنها ومنذ البداية مشروع سياسى استعمارى استعملتـه الامبريالية الألمانية فى الحـرب العالميـة الأولى واشترتـه الامبـرياليـة الألمانيـة فى الحـرب العـالميـة الأولى ثم ارتمـت على أعتـاب الامبـريـاليـة الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية ولهذا يتم دراستها كمشروع استعمارى استيطانى لا صلة له بالـدين موضحا أن إسرائيل تعد اختـراع الوطنيـة والعنصريـة الأوروبية ولاشأن لهـا بالـدين على الإطلاق فمؤسسها الروحى « هرتـزل » قال ما هو نص فى كتابه « الـدولة اليهـودية » أنـه استعمل الدين فقط من أجل العـودة إلى أرض الميعـاد كمـا أضـاف أنـه أراد أن ينشىء درعـا للحضـارة الغربية ضد البربرية الشرقية لتصبح الغاية فيما بعد وأثناء الحرب العـالميـة الأولى هى السيطـرة على منـابع النهـر ولكن بعـد أن

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحصل على نصف ثروة العالم تقريبا أصبحوا عملاء أمريكا فى الشرق واتسعت الغاية لتشمل تفتيت كل الدول العربية الموجودة فى منطقة الشرق الأوسط والسيطرة عليها .

الإسلام الحق

ويحاول جارودى أن يشرح اللبس الذى أصاب البعض ممن حضروا ندوته السابقة فى جامعة عين شمس وغيرها والذين تصوروا أنه يرى فى إيران والسودان النموذجين المثاليين للإسلام الصحيح !!

قائلا : إن القضية منذ البداية ليست دينية وإنما سياسية محضة فالعدو الرئيسى للإسلام هو الولايات المتحدة الأمريكية فقبل انهيار الاتحاد السوفييتى كانت أمريكا تعتبر أن الشيوعية هى العدو الرئيسى لها لكى تبرر التسليح فى المنطقة وتجميد العالم ضد عدوها السوفييتى ولكن وبعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط العملاق السوفييتى حاولت أمريكا أن يجد البديل فى الإسلام الذى تراه نوعين أولهما إسلام طيب لا خطر منه ولا

ضرر وهو إسـلام صندوق النقد الدولى وتكبيل الـدول الإسلامية بالديون والفوائد وبالتالى عـرقلة المسيرة والتنمية الاقتصادية فى هذه الدول لتصبح خاضعة باستمرار للهيمنة الأمريكية .

أمـا النـوع الثاني مـن الإسلام فهـو كل من يعـارض مصـالح الـولايـات المتحـدة الأمـريكيـة فى المنطقـة ومن هنـا يتضح أن المسألـة ليست دينيـة مطلقا وإلا كيف تفسـر وجـود ٤٠٠٠٠٠ جنـدى أمـريكـى يـرابضـون فى منطقـة الخليـج العـربى ليس لمحاربة الأصولية الدينيـة أو التيارات المتشددة وإنما دفاعا عن مصالح أمـريكا فى المنطقـة وفى مقدمتهـا البترول المـوجود فى إيـران والعراق وليبيـا والسودان فهنـاك مخطط أمـريكى لتوحيـد السوق العـالمى تتزعمه وتـدافع عنه ليصبح كل شىء قـابلا لبيع والشراء حتى القيم الإنسانية .

لذلك أطالب بتكاتف الجميع ضد العدو المشترك ـ أعنى به أمريكا ـ بصرف النظـر عن الاختيار السياسى أو المعتقد الدينى وهنا استشهد بمـا حدث لفرنسا خلال الاحتـلال النازى وبين ما يحدث فى العـالم العربى الآن فالكل فى فرنسـا فى ذلك الوقت

كان ضـد النازية سـواء كان ينتمى للتيـار اليمينى أو اليسارى أو الاشتراكى فالعدو واحد والمواجهة لابد أن تكون جماعية .

اســتمرارية

وينكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى على نفسه التنقلات الفكريـة الحادة فى حياتـه بل يقول : أننى أسأل وبـاستمرار بأن هناك مـراحل فى حياتى من الكاثـوليكية إلى الماركسية ونهـاية بالإسلام وهو أمر غير صحيح فهناك تواصل فى حياتى ففى عام ١٩٣٣ عندما كـان عمرى عشرين عامـا وصل هتلر إلى السلطة فى ألمـانيا وبـدأت الأزمـة الاقتصاديـة الطـاحنـة فى الولايـات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩ وانعكـاساتها السلبية على أوروبا وتساءلت فى ذلك الـوقت وكنت طالبا للفلسفة : مـا سبب هذه الأزمـة التى تحدث فى الغـرب؟ ! فـوجدتنى أكتشف أن الأفـراد والأمم فى الغرب كـانوا مغرقين فى ذواتهم وهو مـا جعل الحرب دمارا على الكل ضد الكل كما لاحظت أن الغرب يعانى من أزمة روحية فبدأت أقرأ عن سيدنا إبراهيم وأضحيته لله سبحانه وتعالى فشعرت أن هناك قيما مطلقة والتزام غير مشروط يجب أن أعلمها

فاتجهت إلى المسيحية وإن كنت مازلت أفتقد المنهج وابحث عن الوسيلة لارتقاء هذه القيم المطلقة وهو ما وجدته فى الماركسية وكان أمامى فى ذلك الوقت اختياران أولهما « لآدم سميث» المدافع عن الرأسمالية والذى يرى أن نشأة الغنى والثروة يتم عن طريق تحقيق المصلحة الشخصية والتى يتبعها بالضرورة تحقيق المصلحة العامة وهذه الدعوة من آدم سميث لم تتحقق حتى الآن .

أما الاختيار الثانى فوجدته فى كارل ماركس الذى من خلاله عرفت أن تركيز الثروة فى أيدى الأقلية ينتج أيضا الفقر فى أيدى الأغلبية فهناك فقط ٣٥٠ فردا فى العالم مليون ٥ , ٢ مليار فى ثروة العالم .

ويضيف جارودى قائلا : كنت حتى ذلك الحين لا أرى تناقضا فى مسارى الروحى بل تكاملا فالدين عندى هو الغاية القصوى والنهاية أما الماركسية فتقدم لى المنهج والوسيلة حتى عرفت الإسلام فوجدت فى القرآن الكريم دينا شاملا وعادلا فهو دين يؤمن بكل الأنبياء ففى النهاية الإيمان بالله هو الذى يعطى

للحياة معنى وقيمة لذلك أنا ضد توحيد السوق البشرى وأن الإنسان ليس إلاسلعة تباع وتشترى والحياة مجرد زيادة كمية لفئة تنتج وأخرى تستهلك .

ثلاث خصائص

● ويرى جارودى أنه ليس صاحب دعوة خاصة فى الإسلام وأنه غير منوط بهذه المهمة ولكنه عليه فقط أن يشرح تجربته مع الإسلام ليأخذ بها الآخرون إن أرادوا قائلا : فى فرنسا المسلمون الفرنسيون قليلون جدا وهم مثقفون فى النهاية على الرغم من أن الإسلام هو الدين الثانى فى فرنسا بعد المسيحية ولكنه إسلام المهاجرين والأخوة العرب خاصة من شمال إفريقيا ومعظمهم من العمال ومن ثم أن الذى أثر فى كثيرا هو «رينيه جينو» الذى اعتنق الإسلام أيضا وفسر الإسلام بطريقة صوفية فمن خلاله اكتشف الرومى فريد الدين العطار وابن عربي والحلاج وهذا هو الإسلام عندى فى البداية قبل أن أتحول إلى مفهومى عن الإسلام الآن والذى يتميز بثلاث خصائص هامة أولها :

أنه إسلام عام وشامل لا يحتكر أحدا فيه الحقيقة أو يدعى

النهاية الكاملة وإنما هو الإسـلام والقرآنى العادل . أما الخاصية الثانية هى إيمـانى بأن الإسلام دين متجدد يؤمن بقانـون الحركة فى العالم وهو ما قاله أيضا الشاعر الكبير محمد إقبال فى كتابه عن «تجديد الفكر الدينى فى الإسلام» مطـالبا بالاجتهاد كقانون للحركة فى الإسلام .

وأخيرًا الخاصية الثالثـة وهى أن الإسلام دين شامل يحتاج فيه بعضنا البعض لتبادل الفهم والحوار فالله وحده هو الذى يعلم أما نحن البشر فمعـرفتنا محدودة ونسبية فـالتغيير ليس قانـونا للعلم فقط وإنما للدين أيضا فلا أحد يستحق أن يوصف بأنه مؤمن إلا إذا اكتشف إيمانه كـل يوم وأخيرا يبقى للإسلام أنـه دين الاجتهاد وروح النقد فلا يوجد به هيئـة دينية تقف كواسطة بين العبد وربه بل كل فرد مسئـول عن أفعاله وأعمالـه وبالتالى فالـدين دين عام فالله موجـود ويمثل وحدة كل المؤمنين وليس وحـدة السوق كما تريدها الولايات المتحدة الأمريكية .

محاضرة المفكر الفرنسى الكبير
روجيه جارودى حول
الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

● لماذا أصـدرت هذا الكتاب الآن بينما كنت قـد أصدرت كتابا آخر فى عـام ١٩٨٢ تحت عنوان فلسطين أرض الرسالات السماوية .

● عندما أصدرت هـذا لكتاب عن فلسطين كان ذلك عقب غزو لبنان وجرائم الحروب التى ارتكبها ريل شارون المسئول عن موت ٢٠٠٠٠ ألف قتيل لبنـانى وكذلك مـذابح صبرا وشـاتيلا وكان الغرض منهـا إظهار أن هذا العدوان الدانىء ضـد المقارنة الفلسطينية لاحتـلال بلدهم وضـد شعب لبنان والـذى كان من منطق السياسة الصهيونية كما قلنا فى ذلك الوقت مع الأب .

وقولنا فى مقـال نشر فى جريدة «لومونـد» هذا المقال الذى أدى إلى رفع ثلاث قضايا ضد مدير الجريدة Jacques Fauver

وأنـا شخصيـا وقـد كسبناهـا جميعـا وتم إدانـة LICR قادة الصهيـونيـة الفـرنسيـة وحكمت المحكمـة بأن النقـد الـواضح لسياسة دولة الأيـديولوجية التى تلهمها (وهنـا يقصد الصهيونية) ليس له أى علاقة بالعنصرية.مناهضة السامية .

واليوم بعد انهيار الاتحـاد السـوفيتى الذى بدأ يدخل فى عهد

الرأسماليـة وبعد الرغبة الأمـريكية فى تدمير العـراق فإن الخطر الصهيونـى يأخذ أبعـادا أخرى على مستـوى العالم والعـلامات الدالة على ذلك عديدة .

ومنذ أن بـدأت الحملة الضخمـة للوسـائل العسكريـة ضد العراق عندما لم يتحرك أحد بعد أن احتلت إسرائيل حدود كافة الدول المجاورة لها وقامت بضم مـدينة القدس قال أحد الوزراء السابقين لجنرالPEYREFITE ALAIN. M فى جـريدة لوفيجـاور ان هناك اثنان من اللـوبى دفعت بالولايـات المتحدة بالدخول فى الحرب :

١ ـ اللوبى الصهيونى للقضاء على العراق .

٢ ـ لوبى رجال الأعمال لتنشيط الاقتصاد الأمريكى .

إن التواطؤ الأمريكى الصهيونى للإعداد لحرب جديدة ظهر مرة أخـرى (وهذا أدى إلى بداية ظهـور أفكارى ـ عن الأسـاطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية عنـدما حدد شيمون بيريز فى شرم الشيخ مشيرا إلى أن إيـران هى هدف جديـد وهى تلهـم الإرهاب العالمى الأمـر الذى كان سيبرر عـدوانا جديدا على لبنـان وتوج

بمذابح قانا وكانت الفكرة التى دارت حولها آرائى عن الدور الجديد للسياسة الإسرائيلية المتعلقة ليس فقط بالشرق الأدنى ولكن أيضا بسياسة السيطرة العالمية للولايات المتحدة، تستند على «الخطبة حول تاريخ العالم» والواردة فى المقال المتضمن برنامج صمويل هنتجتو SAMUEL HUNTINGTON عن «صدام الحضارات» (الذى نشر فى مجلة -commen taneالعدد رقم ٦٦ الصادر فى ربيع عام ١٩٩٤).

كان البنتاجون حتى ذلك الوقت قد أعرب عن الفكرة الخرافية المتفائلة لحلم السيطرة العالمية والذى ظهر فى كتاب -FU RUYAMAعن «نهاية التاريخ» الذى كان يفترض أن يخضع العالم بأكمله لأسوأ نظرية تحريرية للسيطرة وهو مذهب وحدانية السوق، إن أطروحة صمويل هنتجتون أكثر دهاءا فهى تظهر العقبات التى تعترض تحقق«هذا النظام العالمى الجديد»».

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أى على مدى نصف قرن تقريبا استندت سياسة زيادة التسليح الأمريكية على حجة وهى

التهديد السوفيتى .

كان ــ باسم الأمن الأمريكى ـ بـرير العدوان فى كافـة أنحاء العالم من فيتنـام إلى كوريا ومسـاندة كافـة النظم الديكتاتـورية العسكرة فى أمـريكا اللاتينية وفى الفلبين تحت حكم مـاركوس وحماية الأبارتيد فى جنوب إفريقيا السابقة .

بعد انهيار الاتحـاد السوفيتى كان لابد من إيجـاد بديل ليقوم بدور «الشـرير» « وامبـراطورية الشـر» المطلوب محـاربتها على مستوى القارات الثلاثة ، وكان ذلك هو الإسلام الذى كان يعتبر تهديدا عـالميا فى شكل «الإرهاب» وكان مبـررا لاستمرار سباق التسلح وتدعيمه وأعطى فرصـة للتدخل الاقتصادى والعسكرى فى كـافـة أنحـاء العـالـم . إن نظـريـات هنتجتن عن «صـدام الحضارات» شكلت الأساس النظرى لهـذا الاتجاه الاستراتيجى الجديد .

وكانت النتائج التى توصل إليها واضحة :

(إن صدام الحضارات سيسيطر على سيـاسة الظلم وخطوط الانكســار بين الحضـارات ستكــون خطــوط المـواجهــة مع

المستقبل . .) .

· كـانت الحـروب السابقـة تقع فى معظمهـا تـدور فى داخل الحضارة الغربية أنها كانت «حـروب أهلية غربية» على حد قول وليام لند WILIM LIND وقد انطبق ذلك على الحـرب الباردة والحربين العالميتن والحروب التى وقعت فى الماضى فى القرون السابع عشر والثامن عشر والتـاسع عشر وبانتهاء الحرب الباردة خرجت السياسة الغربية من مـرحلة الغرب لتصبح مركز التفاعل بين الحضارة الغربية .

وأظهر بـوضوح أن استنتـاجات الآثـار المترتبـة على تحليل وجهة نظـره للسياسة الـدولية . هـذه الآثار يمكن أن تنقسم إلى مـزايا قصيـرة المدى وأخـرى على المـدى البعيد فعلى المـدى القصير يبـدو أن الغرب من مصلحتـه أن يطور التعاون والـوحدة داخل الحضـارة التى يمثلهـا وبصفـة خـاصـة بين مكـونـاتهـا الأوروبية وتلـك الموجودة فى شمـال أمريكـا وهى أن تضم إلى الغرب مجتمعات شرق أوروبا وأمريكـا اللاتينية التى لها ثقافات قريبة من ثقافة الغرب ومن هذه الآثار أيضا الحد من زيادة القوة

العسكريـة للدول ذات النظام الكـوفيشيوسى والإسـلامى وعدم القضـاء على القـدرات العسكـريـة الغربيـة والاحتفـاظ بتفـوق عسكرى فـى الشرق الأقصى وفى جنـوب غرب آسيـا واستغلال الخـلافات والمنـازعات بين الـدول الكوفيشيـوسى والإسلاميـة ومسانـدت الحضارات غيـر الغربية للجمـاعات المـوالية لقيم ومصـالح الغرب ودعـم المـؤسسات الـدولية التى تعكس وتبـرر المصالح والقيم الغربية وتشجيع مشاركـة الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات .

وعلى المدى البعيد هناك إجـراءات أخرى يمكن أن تتخذ، فعلى الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصـادية والعسكرية التى تعتبر ضروريـة لحماية مصـالحه فى عـلاقاته مع هـذه الحضارات، وكل ذلك يظهر بوضوح نوايا الغرب .

ولكن ما هو دور إسـرائيل فى الجغرافية السياسية المـرسومة بهـذا الشكل؟ إن إسرائيـل تتمتع بوضع استـراتيجى حـاسم فى هذه «المواجهـة بين العالمين» إن الأب الروحى لدولـة إسرائيل قد رسم لها مهمة رئيسية حتى قبل أن تنشأ فمن أجل «خلق دولة

يهوديـة» قام بمسـاعى عديـدة لدى القـوى الغربية التـى كانت استعمارية فى ذلك الوقت وهى إنجلترا وألمانيا و إيطاليا وروسيا كانت حجته الـرئيسة التى استند عليها أنه إذا قـامت إحدى هذه الدول بحمـاية هذه «الدولـة اليهودية» فستتمتع بميزة على كـافة خصومها لأن هذه الـدولة ستعتبر بمثابة رأس حربـة مغروسة فى المنطقة من أجل تغلغل استعمارى يقول بالضرب. وكتب يقول فى عام ١٩٨٥ فى كتـابه «الدولة اليهـودية» إننا سنكون بـالنسبة لأوروبـا متـراس ضـد آسيا وستكـون بمثـابـة الحصن المتقـدم للحضارة ضد البرية (الدولة اليهودية) باريس ١٩٢٦ ص٩٥

"L'Etat saif" Lipschutz,paris 1926 p.95)

وكـــان أيـــزنهاور يعتـــبر الشـــرق الأوســـط فـــى ذلك الـــوقت «أهـــم مكـــان استراتيـــجى فـــى الـــعالم.

(cite' par STEVEN SPIEGEL: " THe other arar " Arab - Israele Conflct")

(Universite' de Chicogo 1985 p.51).

إن إسرائيل تتمتع بثلاث زايا رئيسية :

١ ــ موقعها الاستراتيجى على مفترق أوروبا وآسيا وإفريقيا .

٢ ـ موقعها الاستراتيجى فى قلب هذا الجزء من العالم الذى يحتوى على نصف بترول العلم عصب التنمية (بالمعنى الغربى للكلمة) .

٣ ــ الأسطورة اللاهوتية عن«شعب الله المختار» (والتى تستخدم لتغطية أطماع الغرب عن الموقع الاستراتيجى والموقع الاقتصادى لإسرائيل وتضع تجاوزاتها بكافة أشكالها فوق أى قانون وأى عقوبة بشرية وبصفة خاصة فوق كافة قرارات الجماعة الدولية (على سبيل المثال الـ ١٩٢ إدانة التى اتخذتها الأمم المتحدة ضد سرائيل والتى أوقفها الفيتو الأمريكى لحماية إسرائيل) .

١ ـ الموقع الاستراتيجى

إن فلسطين التى تريد إسرائيل ضمها بالكامل كمرحلة أولى للفتح أسماه هتلر (المجال الحيوى) "espace irta-lary"Lebnsrau" ويعنى به الشرق الأدنى والأوسط من

النيل للفرات بتفتت كافة الدول المجاورة لها وهى لبنان وسوريا والعـراق والأردن ومصر ، فلسطين هـذه تقع على مفترق الطـرق الجغـرافية والاستـراتيجية لثـلاث قارات وهى أوروبـا ـ الجبهـة المتقدمة لها ـ وآسيا وأفريقيا .

وأراد القادة الإسرائيليون أن يأخذوا زمام السبق لحسابهم على الأغراض الأمريكية وذلك بالاستيلاء على فناة السويس بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا ، وكانت الذريعة التى استندوا عليها هى تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس .

إن التنسيق العسكرى للعملية تم فى بـاريس بين موشى ديان وشيمـون بيـريز مـن جـانب ومن الجـانب الفرنـسى الجنـرال شـال (وهو أحد رؤساء مؤامـرة الجنرالات فى الجزائر (Lan Laire"Moshe Dayan."P156)

وهنا تدخل الأمريكيون والسوفييت الذين أرادوا عدم ترك هذه الفرصة تفوتهم وأوقفوا فى اللحظـة الأخيرة الغزو الإسرائيلى لقناة السويس .

ولم يكن ذلك بالنسبة لإسرائيل إلا تأجيلا للعملية .

لقد كانت القناة هى الممر الإجبارى الذى يربط بين المحيط الهندى وجنوب غرب آسيا ومن ثم فقد كانت مرمى لأطماع إسرائيل وأولها أن تتمركز فى خليج العقبة الذى ينفتح على البحر الأحمر بشرط أن يظل مضيق تيران فى أيديها .

هنا كان يمكن بدء مرحلة جديدة لتوسع إسرائيلى بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية وكان الترابط المالى والسياسى بين إسرائيل والولايات المتحدة قد بدأ فى عام ١٩٤٨ فى عهد الرئيس ترومان تحت اسم النقطة الرابعة لبرنامج المعونة فقد حصلت إسرائيل وحدها فى ما بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٢ على نفس ما حصلت عليه خمس دول من بلدان المشرق العربى وهى مصر ولبنان و الأردن وسوريا والعراق التى يتعدى عدد سكانها ٢٠ ضعف عدد سكان إسرائيل .

أما فيما يتعلق بالتعاون العسكرى الذى بدأ فى عام ١٩٦١ فقد اتسع بشكل ضخم بعد كامب ديفيد فقد نص بروتوكول التفاهم الاستراتيجى الذى وقع فى واشنطن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ على أن يقوم ريجان بتوريد أسلحة لإسرائيل بكميات

أكبر من المنصوص عليها فى الاتفاقيات السابقة وبصفة خاصة ٧٥ طائرة جديدة إف ١٦ وذلك قبل غزو لبنان ببضعة أيام حيث إنه بعد الجلاء عن صحراء سيناء بستة أسابيع كان غزو لبنان قد بدأ وهكذا بدأ مشروع إسرائيل الكبرى يتحقق وإنشاء امبراطورية حقيقيـة فى الشـرق الأوسط التى نـادى بهـا آريـل شـارون فى ديسمبر ١٩٨١ إذ قـال : ((خلال السنوات القادمـة سوف تتسع دائرة المصـالح الاستراتيجيـة لإسرائيل لتشمل ليس فقط البـلاد العربية الواقعـة على البحر الأبيض المتوسط ولكن الشرق الأدنى بأكملـه ولابد أن تمتد حتـى إيران وبـاكستان والخليج وإفـريقيا وتركيا)) .

ومثلمـا فعلت الولايـات المتحدة الأمـريكية عنـدما طـردت الهنود دون أن تضع حـدودا لتوسعها هكذا فعل مـوشى ديان فى عام ١٩٨٢ عندما قال (فالنأخذ مثلا إعلان الاستقلال الأمريكى أنه لا يشتمل على أى إشارة للحدود الإقليمية ، إننا لسنا ملزمين بوضع حدود للدولة) (صحيفة جيروزاليم بوست الصادرة فى ١٠ أغسطس ٦٧ الصادرة فى : ١٠ أغسطس ٦٧ .

بقى بعـــد ذلـك ذبح الفلسطينين المـــوجـــودين فى المعسكرات .

وقد تم ذلك فى مـذابح صبرا وشاتيـلا المحاصرة بـالجيوش الإسرائيلية حتى يتمكن القتلة الفاشيون التابعون HOBEIKA من إنجاز مهمتهم وقد حـاول تقرير لجنة كـاهان» أن يطمس معالم السياسـة الإسرائيليـة بدعوى أن الفصل مـن الخطأ فى المنطقة الواقعة وزعـم التقرير أن التصفية الجسديـة للفلسطينين حدثت (بالخطأ) فى حين أنها كانت مبرمجة منذ سنوات من قبل القادة الإسـرائيليين ومعـاونيهم الفـاشيين فقـد استطـاع بفضل هـذه العملية مجرمو الحرب ومرتكبو الجرائم ضد الإنسانية مثل أربيل شـارون ورفـائيل إيتـان من الاستمرار فـى مراكـزهم السيـاسيـة المتألقة ، إيتان بصفته حامل لـواء نتنياهو فى عام ١٩٩٦ وإريا شارون فى منصب كبير الوزراء فى حكومته يجرى كل هذا تحت الحمـايـة غير المشـروطـة للـولايـات المتحدة الأمـريكيـة التى تستخدم حق الفيتو فى مواجهة أى قرار عقوبة يصدر ضدها بل وتمدها باسلحة ارتكاب الجريمة فمن بين الـ ٥٦٧ طائرة التى

كانت تملكها إسرائيل عشية غزو لبنان كانت ٤٥٧ منها، واردة من الولايات المتحدة الأمريكية مدعمة بالمنح والقروض الرأسمالية من واشنطن . إن سياسة التسليح الزائدة هذه متوجة بترسانة نووية تجعل إسرائيل تضع نفسها فوق كل شريعة دولية وفى ٢٩ يونية ١٩٧٥ كتبت صحيفة «هاارتز» HAARETZ الإسرائيلية مقالا بقلم SHLOMO AHARONSON جاء فيه : ـ

إن السلاح النووى هو أحد الوسائل التى تستطيع أن تقضى على الآمال العربية فى تحقيق نصرا نهائا على إسرائيل ... فيكفى عدد من القنابل النووية لتسبب خسائر ضخمة فى جميع العواصم العربية وتؤدى إلى انهيار سد أسوان وأن كمية إضافية منها ستمكننا من الوصول إلى المدن المتوسطة و إلى المنشات البترولية ... ويوجد فى العالم العربى مئات من الأهداف التى سيؤدى تدميرها إلى حرمان العرب من المزيا التى اكتسبوها خلال حرب عيد الغفران ... إن شركات جنوب إفريقيا تستخدم إسرائيل لإفشال العقوبات الاقتصادية المفروضة من جانب بقية العالم ، كما أن الاتفاق بين إسرائيل والجماعة الأوروبية

المشتركة سمح لها بإدخال منتجـاتها فى بلدان السوق المشتركة ولكن بالإضافة إلى كافة العـلاقات الأخرى فإن التفاهم الرئيسى الموجود بين البلدين قائم على المستوى العسكرى .

(٣٠ أبــــريل ١٩٧٧ "SULZBERGER" New - yore Times"

وقد أرسل رئيس الكـونجرس اليهـودى الأمريكى رسـالة إلى السكـرتيـر العـام لـلأمم المتحـــدة فى عـام ١٩٧٦ قـال فيهـا إنه«لاحظ بأسـف شديد إن إسـرائيل مذكـورة ضمن الدول التى تورد أسلحة لجنوب إفريقيا (١٤/ ١١/ ١٩٧٩ . . Haaretz)

إن عمليــة التبـادل الـرئيسيـة بالنسبـة لجنـوب إفـريقيـا هى اليورانيوم الموجودة لديها والذى تطمع فيه إسرائيل بصفة خاصة والتى كانت تمتلك منـذ ١٩٧٦ ترسـانة بها مـا بين ثلاثـة عشر وعشرين قنبلة من طراز قنابل هيروشيما .

عدد نوفمبر BRIAN BECKEJT" Middie East International"

وهكذا نستطيع أن نفهم كيف أمكن لدولة إسرائيل الصهيونية

أن تأخذ مثل هـذه الأهمية فى الاستـراتيجية العلميـة بحيث إنها أصبحت تهدد اليوم السلام العالمى .

إن دولة إسـرائيل ليست فقط مسئولـة عن حمايـة الاستعمار الجمـاعى للغـرب تحت الهيمنة الأمـريكيـة فحسب بل وإنهـا أصبحت بالنسبـة للولايـات المتحدة الأمـريكية جـزءا رئيسا فى علاقات القوى على الساحة الكونيـة متعدية بذلك نطاق الشرق الأوسط .

إن دور إســرائيل فى تقـــديم الأسلحـــة والمتشـــاورين للدكتاتوريات العسكرية فـى أمريكا اللاتينية يعتبر دورا ذا اهمية قصوى بـالنسبة للـولايات المتحدة الأمـريكية وسـردت صحيفة هاولام هـاز الإسرائيليـة فى عـدد ٢٢ ديسمبر١٩٨٢ أثنـاء زيارة وزيـــر الخـارجيـــة الإســـرائيلى لـزعمـــاء الارنجنتين لمـــدهم بـالمستشـــارين العسكـريـيـن وتجـار الأسلحـة وخبـــراء فنيين لمساعـدتهم فى مكافحة حـرب العصابـات وحـــدث نفـــس الشـــىء فـــى جـواتيمالا والسلفادور حيث تم قتل خمسة آلاف هندى فى عـام ١٩٨٢ (صحيفة «الإيكـونومست») ١٣ نـوفمبر

١٩ ١٩٨٢ فبراير.

جندى حماية البترول فى الشرق الاوسط

تلعب إسرائيل فى هذه السياسة العالمية دورا مميزا كجندى لحماية حقول البترول فى الشرق الأوسط .

إن إسرائيل مكلفة بهذه المهمة وذلك بعد سقوط شاه إيران الذى كان يعمل لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ويقوم بمراقبة الخليج الفارسى وبصفة خاصة مضيق هرمز الذى يمر من خلاله نصف بترول العالم .

لذلك فى إطار حلمها فى التوسع لتحقيق إسرائيل الكبرى «الذى يتوافق مع أغراض الولايات المتحدة فى المنطقة الأمريكية فى المنطقة فإن دور إسرائيل يتركز فى التمهيد للعدوان على دولة إيران الجديدة بتكليفها بالمهمة الشيطانية ووصفها بأنها المحرك السري الرئيسى «للإرهاب العالمى »ويتم ذلك بفضل سيطرتها على وسائل الإعلام العالمية .

عندما اجتمع قادة الإرهاب الدولى العالمى فى شرم الشيخ فى الآونة الأخيرة حدد شيمون بيريز الذى كان رئيسا لوزراء

إسرائيل فى ذلك الوقت الهدف الجديد وهو أن إيران هى مصدر الإرهاب بكـافة أشكالـه فى العالم بـدون أن يقدم أى دليل على ذلك .

فى الواقع ومنذ عهد هتلـر فإن كل مقاومة لأى احتلال أجنبى تعتبر إرهابا فعندما يقوم أحد المقاومون اللبنانيون وسواء كان من تلاميذ الخومينى أم لا بإطلاق الرصاص على جندى إسرائيلى من جيش الاحتلال يعتبـر ذلك إرهابا يتم عن قصد ضـرب المدنيين اللاجئين فى أحـد معسكرات الأمم المتحـدة القنابل الإسـرائيلية اعتبر ذلك كفاح ضد الإرهاب هذا هو منطق إرهاب الدولة مثلما فعل هتلر عندما قتل أربعين من رجال المقـاومة فى شاتوبريلون Chatoubrilonلمعاقبة الإرهابى الذى قتل قائد ألمانى فى قطار مترو بـاريس Barbes أو عنـدما اعتقـدت الـولايات المتحـدة الأمـريكية أن أمنهـا مهددا على بعـد عشـرة آلاف كيلو متـر من حدودها وضربت بالقنابل مئات الألوف من الأرواح البشرية التى تفحمت فى الأحراش أو بين المزارع التى احترقت .

إن إسـرائيل تدافـع بهذا الشكل عن «أمن» حـدودهـا وذلك

بـاحتـلال حدود جيـرانهـا جميعـا من فلسطين إلى لبنـان ومن الجولان إلى القدس .

ومن المؤسف أن تسمع القادة الإسـرائيليين يرددون باستمرار عبارة أمن بلادهم فى الوقت الذى يتعدون فيه على أمن جيرانهم ليس بـاحتلال حـدودهم فحسب ولكن لجعل إرهـاب الدولـة يختم عليها .

«حسب إحصائيـات وزير الداخلية الإسرائيلى يـوسف بورج فقد قتل عشرة من اليهود فى عام ١٩٨٠ على أيدى إرهابيين و٨ فى عام ١٩٨١ فى حين أننا قتلنـا فى عام ١٩٨٢ مئات السكان فى الدول «العـدوه» وهكذا فأمـام مقتل ١٨ يهوديـا انتقمنا بقتل آلاف من غيـر اليهود وبـذلك حققنـا نتيجـة باهـرة تـدلل على انتصـارات الصهيـونيـة وأستطيع أن أقـول إنهـا نتيجـة مـذهلـة (صحيفة إسرائيلية Migvam عدد نوفمبر ١٩٨٢) .

إن أمن إسرائيل ومحاربة الإرهاب يقتضيان وكذلك السيطرة على البتـرول . إن التحكم فى ملكيـة البترول يشغـل بال الغـرب بصفـة مستمرة فمنـذ عام ١٩٥٨ أى قبل التأميم الـذى قام بـه

القائد عبد الكريم قاسم حصل الغرب على امتيازات بترولية تلك الامتيــازات التى غطت ٩٤٪ من أراضى الــدولـة كتب وزيــر الخارجيــة البريطـانى سلفين لـويد لرئيـس وزرائه قائلا إنـه يرى احتمالين بـالنسبة للكويت حيث ظهر البتـرول فى عام ١٩٤٦ : «أما احتـلال بريطانى قـوى» أو إقامـة «دولة كويتيـة على غرار سويسرا» .

وأضاف أن المصــالح الرئيسية للإنجليـز والغرب فى الخليج الفارسى هى :

ا ـ ضمان الوصول إلى البترول الذى تنتجه الدول الواقعة على ضفاف الخليج الفارسى بواسطة إنجلترا والدول الغربية الأخرى؟

ب ـ ضمان توافر هذا البترول طبقًا لاتفاقيات مناسبة(بالجنية الاسترلينى) والحفـاظ على الترتيبات المقبولـة لاستثمار. فائض العائد الذى يتوافر فى الكويت .

هذه المتطلبـات البريطانيــة وضرورة وجود مصــدر مضمون للبترول يضمن بقــاء اقتصاد أوربا الغـربية يعطى بـرهانا إضــافيا للولايات المتحدة الأمريكية لتســاند الإنجليز باستعمال القوة إذا

لــزم الأمـر حتى تحتفـظ بسيطـرتهــا على الكــويت والخليج الفارسى .

عنـدمـا أرسلت الـولايـات المتحدة الأمـريكيـة قـوتهـا إلى السعـودية فى أغسطـس ١٩٩٠ قالت «صحيفـة Wall Street Jouenal فى عددها الصادر فى ٣١ أغسطس ١٩٨٩» .

إن الولايـات المتحدة الأمـريكية لا تـرسل قواتهـا إلى منطقة الخليج لمسـاعدة السعـودية على مـواجهة العـدوان فقط ولكن أيضا لتسـاند دول الأوبك التى تستطيع خدمـة مصالح واشنطن بصورة أفضل .

لقد أردت الولايات المتحدة بذلك أن تقوم «نموذجا» ليعرف العالم الثالث بأكمله لتثبت لـه أنه ليس مسموحا لأى شعب أن يرتفـع إلى أعلى مستوى فنى وإلا وقع فـريسة للتـدمير كمـا أنه ليس مسموحا له باستغلال ثرواته الوطنية «فى هذه الحالة البترول بدون الخضوع لمـراقبة الأسعار لمعرفة القوة الكبـرى كما أنها لا تستطيع أن تبتعد عن الدين الذى الغذاء والعناية الصحية السيئة ذلك ما جاء فى تقرير الصليب الأحمر.

التشدد الدينى وأسطورة
«اليهودية المسيحية»
حرب عالمية جديدة

إن المنطقة المذكورة فى التوراة عن إسرائيل الكبرى بمساندة واشنطن المطلقة قد تكون مفجرا لحرب عالمية ثالثة أو على حد تعتبر Huntington أول حرب حضارية سوف نكتفى بذكر مجموعتين من الملاحظات :ـ

١ ــ إن المطلب الوارد فى التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أى قراءة حرفية تحول الأقوال والأمثال العظيمة التى قالها الإباء الكهنة والرسل لتجعل منها تاريخ قومى بل وحتى قبلى إن هذا المطلب هو يدعه تدعم السياسة الصهيونية وهى تؤدى إلى المفارقة التالية : حسب تقديرات إحصائيات الحكومة الإسرائيلية١٥٪ فقط من الإسرائيليين متدينين وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض ملكا له لأن الله قد وعده بها ... هذا الإله لا يومن به العرب إن بن جوريون الكافر هو الذى أطلق الشعار المذكور فى التوراة بقيان«مملكة داود الثالثة» .

أعلن موشى ديان عام ١٩٨٢ قائلا إذا كنا نملك التوراة و إذا

كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فلا بد أن نمتلك أيضا الأراضى المذكورة فى التوراة ، أرض القضاة والإباء الكهنة صحيفة .

"Jerusalem - Post" الصادرة فى ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

فى عام ١٩٧٤ ، أشاد مناحم باراشن فى صحيفة "Yediot Ahronot" بتعاليم الحاخام موشى ديان الذى استعان بالنصوص الواردة فى التوراة لتبرير الموقف الإسرائيلى تجاه الفلسطينيين قائلا عنه «هذا الطاعون الذى أدانته التوراة ... والذى جاء ليأخذ منا أرض الميعاد الذى وعد بها الله إبراهيم ... علينا أن نحذر حد يشوع للاستيلاء على أرض إسرائيل لنستقر فيها كما أمرتنا التوراة ... لا مكان على هذه الأرض لشعوب أخرى خلاف شعب إسرائيل وهذا يعنى أنه يتحتم علينا أن نطرد الذين يعيشون عليها ... إنها حرب مقدسة فرضتها التوراة » وكتب الحاخام رابين اليعازر فالدمان من جوسن أمونيم

Rabbin Elazar Valdman du "Giush Emounim"

بعد ذلك بشهرين فى صحيفة "Nekurah" يقول عن مستعمرات الضفة الغربية .

الواجب علينا بالطبع أن نعيد النظام فى الشرق الأوسط أو فى العالم إذا لم نتحمل هذه المسئولية فسنكون مخطئين ليس فقط أمام أنفسنا ولكن أمام العالم إن جميع القادة الغربيون هم شخصيات ضعيفة (عن صحيفة Davar فى ٨ أكتوبر ١٩٨٢) ندد يهود ماير Yehuda Ben Meir أحد مؤسس الحركة بنتائج تلك السياسة قائلا: «حسب جوشن أمونيم

Gush Emounim علينا أن نستولى ليس فقط على سوريا وتركيا ولكن يجب أن يصبح دم أبنائنا حاميا للعالم بأكمله».

فى عام ١٩٩٥ صرح الحاخامle Rabbin Aviner «أحد العناصر المؤثرة فى R.O) قائلا: ان اى جنحة ترتكب ضد اى جندى يهودى أخطر بكثير من ارتكاب نفس الجنحة ضد شخص غير يهودى هذه هى تعاليم التوراة ... وفى وقت الحرب يوصى بقتل جميع من هم غير يهود الموجودين فى معسكر الأعداء بما فى ذلك النساء والأطفال هذا هو مبدأ الحرب الشاملة ... فإذا ما شعر أحد اليهود بالرأفة تجاه عدوه فيدفع بقية اليهود ثمن ذلك بحياتهم«هاارتز ٢٤ مارس ١٩٩٥».

وذكـر نفس المقال أنـه أثناء مـراسم دفن Hoss (مساعـد الحاخام الشهر Levinger الـذى كان من الخليل والـذى قتل على أيـدى الفلسطينيين) تم وضع التابـوت بجانب قبـر جولـد ستين Goldstein السفاح الـذى قام بقتل العـرب وهم يؤدون الصلاة) قبل ترتيل المزمور١٩٩٤ (الرب آلة الانتقام) وسأل أحد الصحفيين من صحيفــة جيـروزاليم بــوست - Jerusalem PostالحاخامGinsburg جنسورج عن سبب هذه الحركة أجابه قائلا: «ربما يوقظ ذلك روح الانتقام لدى اليهود».

إن الاستخدام الدمـوى هذا النصوص التوراة لتبريـر السياسة الأثيمة على أساس دينى ولكن على قراءة متطرفة التى أصبحت احتيال عنصرى دموى.

إن التـوراة الكتاب المقـدَّس أروع تـذكـار بواسطـة الأمثـال لتدخل الله ففى حياة البشر مصـدره مثل جميع الملاحم العظام منقول عن التقـاليد الشفوية الشعبية، وتحـولت لتصبح ملحمة واحـدة دونها كتـاب مجهولـون أو نسبت إلى شـاعر أسطـورى (هورمبروسى وفالميكى إلخ ...).

مثل الإلياذا اليونانية والـراماياتيا التى .Homer, Valmiki etc كتبها الهندوسى .

عندما كان المحررون يقومون بـوضع الصياغة النهائية للتوراة بعد العـودة من المنفى فى القرن الخـامس تقريبـا أرادوا أن يروا فى إقامـة مملكة داود تحقيقا للوعـود الإلهية إذ إن كل شىء يتم تغطيتـه استنـادا على النبـوءات العظيمـة التى سجلت مـراحل تجسد ابن الإنسان فى التضحية العظمى لها قيم رفيعة مطلقة لا تقاس بالأفكـار المنطقية الصغيرة والعبر الأخـلاقية التى صنعت تاريخنـا هذه القيم متمثلـة فى الـوعد «بالخـلاص على الأرض الأرض الخصبة ، حسب الـوعد) وخلاص الـروح (هو المتمثل فى التحريـر من كافـة أشكال العبـودية التى عانـى منها الشعب اليهودى أثنـاء «الهجرة الجماعية» عنـد هروبه من بطن الفـراعنة المـذكـورين فى كتب التـاريخ والـوعـد الإلهى بتحقيق النصـر للذين يحملون الرسالـة الإلهية كل ذلك وارد على لسان القبائل البدائية الذين تحدثوا بلغتهم البربرية عن الفتح الأسطورى لبلاد كنعان على يد يشوع وأخيرا الـوعد بملكوت المسيح حيث يكون

الله هو الكل فى الكل .

هـذا هـو المعنى الإلهى للمغامـرة الإنسـانيـة . عندمـا يقـر بواسطة أشخاص يدركون أن الله تعالى لا يقارن بهم لا يكلمهم سوى بامثـال كما أنهم لا يستطيعون أن يذكروه إلا كنـاية وعمله هو لغة الملاحم .

غيـر أن التشدد هـو على عكس ذلك قـراءة حـرفيـة للرمـوز ليجعل من الأسطورة أداة لتبرير التـاريخ الذى ليس هو خطوات عظمة الإنسان و إدراكه للمعنى السـامى لله والحياة ولكنه تكرار للعديد من المعارك الدامية المتكـررة ضد أناس آخرين يعبر من خـلالها الشـاعر الملحمـى القبلى عن الانتصارات الإلهيـة فى قلب الإنسـان .

إن الحفريات تظهر لنـا الطابع الأسطورى البحث للبطولات المنسوبـة ليشوع : إن أسـوار أريحا لـم تكن مـوجودة منـذ بعيد عندمـا زعـم أنها انهـارت على أصوات البـوق إن مدينـة لم تكن موجودة عندما زعم أنه استولى عليها (Voir Pere de Vaux "HISTOIRE ANCIENNE D'EGYPTE T.I.P.366).

وعين عبور البحـر الأحمر الذى ورد فى سفر الخـروج عندما قـال إن مئات آلالاف من المهـاجرين عبـروا سيرا على الأقـدام البحـــر الجـاف فى حين دفن فيــه جيش المصـــريين الضخم بعربـاتهم وفراعنتهـم ، هـذه القصة ليس لهـا أى ذكر فى أرشيف المصريين .

(VOIRE PERE DES VAUX HISTOIRE
ANCIENNE D'EGYPTE T.I.P.366).

فى حين أن مؤرخيهم تركوا تقارير عن حراسة الحدود ذكرت مرور أى متسول .

من الغـريب ، منطقيـا أن يتقبل المسيحـون هـذه القـراءت المتشددة التلمودية والصهيونية للتـوراة كما أنه خطر من الناحية السياسية فالصهيونيـة ما هى إلا البدعة المتشددة العظمى التى عبرت الـرسالة الإلهـة بإعطائها هـذا التبرر الأيـديولوجى لقـومية عدوانية وبدل إله إسرائيل هذه البدعة التى أطلقها هرتزل .

نددها الحـاخامات اليهود المخلصين لإيمـان أنبيائهم ومن بين أمثلـة أخرى عـديدة الحـاخام مـوشى مانـوحين Moshe

Menufim(والد الموسيقى الشهير Yehudi Menuhim كتابا أسماه: انهيار اليهود The Decance of Judsm أظهر فيه أن هذ الانهيـار نفسه القومية الهيـونية وكان العنوان الأصلى لكتـابه هذا القومية اليهودية: جريمة ولعنة تاريخية مهولة.

"Le Nationalisme Jisme Juif: un crime et une malediction historique monstrueus"

وأكـد أنه على عكـس شموليـة الأنبيـاء اليهود فإن التفسيـر القبلى والقـومى لتحـالف واسم الشعب المختـار الذى وضعـه أولئك الذين أسمـاهم بالبريد القبليين مثل بن جـوريون وموشى ديـان وشيمـون بيـريـز : والعصـابـة العسكـريـة بأكملهـا التى أحتاجت إسرائيل والذين جعلوا من للوكالة اليهودية والمنظمات الصيهـونية فـى العالم أجمع أجهـزة تـابعـة لحكومـة إسـرائيل ص٢٥٠ و ٤٢٩ و ٤٥٧ لهـا نفس الأيـديـولـوجيـة العنصـريـة الموجودة لدى المناهضين للسامية (ص٢٠٨).

وأضـاف قائلا: اليـوم تشعر الشعوب بالاشمئـزاز من عبارات الجنس المتفـوق والشعــوب المختـارة وعبء الـرجل الأبيض

والأحلاف مع الله وأرض الموعد كل تلك الادعاءات أصبحت اليوم مستهلكة بسبب ما ترتكبه ضد الشعوب الأضعف (ص٢٤٤) لم يعد لهم سوى إله واحد وهو مجال الحيوى(Lebensraum) والوطنية المتطرفة (ص٤٩٦) إن هذه الفكرة المحددة لدى الصهيونية هى أسوأ عدو لإسرائيل فسوف تقودها إلى الهزيمة مثل كافة الامبراطوريات التى أسست على هذه الأيديولوجية من نابليون حتى هتلر.

ليس هناك مستقبل إلا لإسرائيل مجردة من الصهيونية.

نفس الشىء ينطبق على استغلال المفاهيم «التاريخة فقد كتب البروفيسور ليبوفيتسLeidowitz Leibowitz الذى كان أحد قادة (الانسيلكوبيديا اليهودية) فى كتابه إسرائيل واليهودية» ونشر اللغة الفرنسية عام ١٩٩٣ قبل وفاته بقليل ص١١٨).

عندما ترفع الأمة (الجنس بلغة النازية) ونفوذ الدولة إلى القيم لن يبقى هنا أى رادع يقف أمام الأعمال التى يرتكبها البشر لقد انتشرت هذه الفعلية وصلت إلى بلادنا فإننا نسلك الآن ــ فى الأراضى المحتلة الواقعة على الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع

غزة، ولبنـان ـ مثلما كـان يسلك النازيـون فى الأراضى المحتلة من قبل تشيكوسلوفاكيا والغرب (ص١٢٠).

وقـدم الأسبـاب التاليـة أن أمـريكـا تضع فى جيبها نظـامنـا الفاسد... إن الانهيار يمكن أن يحـدث فى ليلة واحدة : نتيجة للغباء المـذنب الذى جعل بقائنـا بأكمله متوقف على المعـونة الاقتصادية الأمريكية... إن كل اهتمام الأمريكيين منصب على فكرة واحدة وهى أن يحتفظوا بجيش من المرتزقة الأمريكيين فى هـذه البقعة يـرتـدون زى Tsahal بحيث يستطيعون استخـدامه حسب رغبتهم عنـدمـا تحين السـاعـة فى أى ظـروف الأمـر لم يتضح بعد ولكن قد يكون ذلك ضـد السعودية إذا ما نشبت ثورة هناك أو ضد سوريا.

لقـد وصلنا إلى درجـة لا مثيل لهـا فى الواقع السيـاسى فى العـالم الغربى الـذى ننتمى له(ص٢٥٤) واليـوم تطبق حكومـة نتنياهـو بقسوة أرشـد نفسى السياسـة التى كان يطبقهـا شيمون بيريـز بحب أكبر قال جـون جاك روسو فى كتـابه عن Profession de foi du Vicaire savoyard عن اليهود المتعصبين إن

إلاهكم ليس هو إلاهنا إن الإله الذى يختار لنفسه شعبا واحدا وأنكر بقية الجنس البشرى ليس هو الأب المشترك لجميع الناس.

وبما أن أخطار الحرب معروفة فما هى الخطوط العريقة لسياسة الدفاع عن السلام؟ إن العدو الرئيسى هو الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل ـ وعند هذه النقطة الحساسة للمواجهة لابد منة بذل جهود متضافرة من قبل شعوب العالم الثالث وأوروبا التى كانت مستعمرة فى الماضى ولكنها اليوم مهددة بأنها ستصبح بدورها تابعة ومستعمرة بسبب اتفاقيات ما سترنجت وضغوط حلف الأطلنطى ومنظمه التجارة العالمية (ألجات سابقا) وهى السلطة المدنية للدين الذى ينادى بوحدانية السوق أى عبودية المال.

بالنسبة للعالم الثالث وبالنسبة لأوروبا الحل هو القطيعة مع (السوق العالمى الذى يضمن تحقيق الهيمنة الأمريكية.

برنامج عملى

١ - بالنسبة للعالم الثالث

باندونج جـــديد

● هناك بديل محتمل نود أن نقترحه للقرن الواحد والعشرين : إن هذا القرن يسجل نهاية عصر ما قبل التاريخ الحيوانى للإنسان حيث كان ثراء أقلية ضئيلة فى علم ضعيف يؤدى إلى بقية تبعية واستغلال وموت الغالبية العظمى للجنس البشرى .

١ ـ إن نهضة الوحدة البشرية لا يمكن أن يتحقق وقوة السلاح ولكن بتضافر القوى البشرية الحقيقية الاقتصاد والثقافة والإيمان .

٢ ـ إن ضعف الشعوب المقهورة فى الوقت الحاضر على استمرارها فالمهمة الأولى إذن هى وضع حد لكافة الصراعات التى يعنيها الطغاه وذلك بالمفاوضات السليمة .

٣ ـ إننا نرفض بصورة جماعية ، تسديد الديون المزعومة لصندوق النقد الدولى .

ـ إننا نرفض إذن أن نكون فريسة للابتزاز وأن نسدد لصندوق النقد الدولى هذه الديون الخاطئة والفوائد الربوية المرتبطة بها .

ـ ونرفض أيضا المساعـدات الزهيدة التى تهدف إلى تغطية هذا الظلم الذى رجع إلى مئات السنين .

ـ عندمـا نقوم بإلغاء الدين وفوائده سنكـون صندوق تضامن بحيث يعـوض بنسبـة كبيـرة المسـاعـدة المـزعـومـة التى كـان مستغلينا يقدمونها لنا .

٤ ـ إننـا نعارض كافـة أشكال «الخطـر» الذى يفرضـه أسياد العـالـم «المـوقتين بصـورة تعسفيـة على الـدول التى تـرفض سيطرتهم .

لن نعـد بعـد ذلك تولـى أى اعتبار لهم وسـوف نبـدأ العمل بحرية مع أشقائنا الذين يلاقون نفس ألوان المعاناة .

٥ ـــ بصفـة عـامـة ، نقرر إنشـاء «سـوق مشتـرك لشعـوبنـا ونضاعف التبادل بين الجنوب وبين بلادنا التى تمتلك ٨٠٪ من الثروات الطبيعية الموجودة فى العالـم .

ـــ سوف نقـوم بهذا التبـادل على أسـاس المقايضـة حتى لا نضطر إلى المـرور عن طريق العمـلات الاجنبية لـدول الشمال وبصفـة خاصـة الـدولار ونحـرص على القضاء تـدريجيـا على

المضـاربة بحيث تختفى تمـاما مـن بلادنـا لحين إيجاد عملـة موحدة لنا .

٦ ـ نـريد القضـاء على أشكال الهيمنـة الاقتصاديـة وكذلك على عدوانهم الثقافى .

ـ سوف نحارب أيضا الثقافية المعادية القادمة إلينا من هوليود وسنحارب أسلحتهم وكـافة المظاهـر المعنويـة والمادية الـدالة على انحطاطهم .

٧ ـــ وهذ يقتضى ـــ على المستوى السيـاسى ـ الانسحـاب الجماعى لكافة المؤسسات التى تدعى العالمية والتى أصبحت أدوات لسيطـرة فرد واحـد وتستخـدم لتغطيـة عمليات العـدوان العسكرية والاقتصـادية والثقافية مـــن هـــذه المـــؤسسات : الأمم المتحـدة وصندوق النقد الـدولى والبنك الدولـى ومنظمة التجارة العـالمية(ألجات سـابقا) وجميع تـوابعها التى أصبحت مثلها شريكة فى مؤامرة فرض سيطرة استعمارية على العالـم وفى مفهـوم يقلل من شأن الإنســان الـذى يعتبـر كمستهلك ومنتج فحسب تحركـه مصلحته الفرديـة ويرفض إعطاء أى اتجـاه آخر

لحياته خلاف العمل كعبد ليستهلك أكثر عندما لا يكون عاطل و مستعمر أو مطرود .

٨ ـ إن أنواع التهديد أو العدوان التى قد ترتكب ضد أى واحد منا سوف تحارب بكافة الوسائل من قبل جماعتنا العالمية بأكملها .

٩ ـ إن هذه الجماعة العالمية التى تهدف إلى خلق عالم يكون له وجه إنسانى لن يشتمل على أى طرد سوءا كانت دينية أو سياسية لأن هدفها هو خلق وحدة سيمفونية وليست امبراطورية للبشرية حيث يقدم لها كل شعب وكل جماعة الثروات المأخوذة من أرضه ومن ثقافته ومن إيمانه .

وتكون هذه الجماعة مفتوحة أمام الدول الرسمية التى تشاركها مثلنا العليا وكذلك أمام الأقليات المقهورة بشرط أن تحقق هذه الأقليات داخل كل بلد وحدتها على أساس مبادئنا المشتركة .

كان هدف قمة باندونج الأولى هو رفض الانحياز وراء أى كتلة من الكتلتين فى عالم ثنائى الأقطاب ـ وذلك للحفاظ على

استقلالها ومثلنا الأعلى ما زال كما هو إلا أن الظروف التاريخية قد تغييرت فنحن نعيش فى عالم له قطب واحد وعلينا أن ندافع عن هويتنا لأولئك الذين يزعمون فرض السيطرة العالمة عن طريق لعبة وحدانية السوق التى تعنى إعطاء «حرية» للذين هم أقوى حتى يفترسوا الأضعف وذلك يجعل السوق أى مال المنظمة الوحيد للعلاقات الاجتماعية .

إننا نرفض هذه الرؤيا لعالم ليس له إنسان وحياة بدون هدف إنسانى أو أى معنى بل إننا نتحد لبناء عالم «واحد ثرى بتنوعه وواثق فى مستقبله بفضل تضافر الشعوب والثقافات فى أمان مشترك تغذيه التجربة النابعة من ثقافة كل فرد وبدافع من دفع مشترك وهو إعطاء كل طفل وكل امرأة وكل رجل أيًّا كان أصله وتقاليده الوسائل التى تمكنه من بذل كل الإمكانيات البشرية التى يحملها فى داخله .

المقال الذى كتبه الكاتب الكبير

الأستاذ / سعد الدين وهبه

بجريدة الأهرام

تحت عنوان

إسرائيل عارية !!

جـــاء روجيــه جــارودى إلى القـــاهــرة والتقى بـــالمثقفين والمفكــرين وفتح عقلــه وقلبه وبصــدق واضح، وحــرارة تبعث الدفء فى القلوب. وبمنطق لا يخطىء وبحضـور طاغ تحدث فى أمـور كثيرة، لقد تقـابلت وتحدثت فـى حياتى إلى أسـاتذة كبـار فى مصر وخـارج مصر وكنت محظــوظا أن عرفت قممـا كثيـرة فى الفلسفــة والاقتصاد والسيـاســة والثقـافة، وأشهـد أن جارودى طـراز فريــد . من هذه القمم فهـو قد عـرف كل شىء وأحـاط بكل صغيرة وكبيـرة وفى كل أمر يتحـدث فيه ورغم أنــه قدير فى مخاطبة الجماهير إلا أن النزعة الأكاديمية لا تفارقه فهو دائم الاستشهاد، يستند دائما إلى أفعـال وقعت أو أقوال ترددت ربما منذ أشهر وربما منذ سنوات ، وفى أحيان أخرى منذ قرون طويلة .

وكمـا كـان روجيــه جـارودى أول من تنبأ بـانهيـار الاتحـاد السـوفيتـى بعـد أن كـان نجمـــا لامعـا فى الحـزب الشيــوعى الفرنسى. كان جارودى أول فيلسـوف أوروبى يقف فى مواجهة الصهيونيــة العالمية، يحـاربها وتحاربــه ويلقى فى وطنه جميع

ألوان العسف والظلم ، ولكن قناعته لا تلين وعزيمته لا تتأثر وإرادته لا يفلها شيء .

تحدث جارودى عن إسرائيل فقدَّمها عارية لا تسترها أساطير ولا ادعاءات ولا أكاذيب ، كما تحدث عن الولايات المتحدة الأمريكية فقال إن جوهر السياسة الأمريكية هو إيجاد عدو تحاربه وترهب به الآخرين ويكون حجتها فى التسلح ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وعلى مدى نصف قرن من الزمان كان العدو الرئيسى الذى يحرك السياسة الأمريكية هو التهديد السوفيتى .

وكان باسم الأمن الأمريكى تعتدى أمريكا على أى دولة وأى شعب فى العالم ، فمن فيتنام إلى كوريا ومن أمريكا اللاتينية إلى إفريقيا ، كانت الولايات المتحدة دائما السند القوى للنظم الدكتاتورية فى جميع أرجاء العالم كانت تحمى شاه إيران والدكتاتوريين الصغار فى أمريكا اللاتينية كما تحمى ماركوس فى الفلبين وتحمى التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا .

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى كان لا بد من إيجاد بديل ليقوم بدور (امبراطورية الشر) التى تجب محاربتها على مستوى القارات الثلاث . وكان هذا العدو الجديد هو الإسلام الذى صورته أمريكا أمام العالم مرتبطا بالإرهاب وكان هذا الإرهاب أو الإسلام فى نظر أمريكا هو المبرر للاستمرار فى سباق التسلح كما كان فرصة للتدخل العسكرى والاقتصادى فى جميع أنحاء العالم .

كانت الحروب الكبرى السابقة مثل الحرب العالمية الأولى والثانية ، ومثل حروب القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر جميعها تقع بين أقطار أوروبية ، كانت أوروبا تحارب أوروبا حتى فى الحرب الباردة كانت بين دول أوروبية وبعد انتهاء هذه الحرب خرجت السياسة الغربية من مرحلة الغرب لتصبح مركز التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارة غير الغربية ، وبدأ الغرب يطور صور التعاون والوحدة داخل الحضارة التى يمثلها خاصة بين مكوناتها الأوروبية وتلك التى تقع فى شمال أمريكا ثم تضم إلى الغرب مجتمعات شرق

أوروبا وأمـريكا الـلاتينية ، التـى لها ثقافـات قريبـة من الثقـافة الغربية وكان من أول أهداف هـذا التكوين الحد من زيادة القوة العسكــريــة للــدول ذات الحضــارات الأخــرى ابتــداء من الكونفوشيسيـة حتى الإسلام ، وعلى العرب أن يحتفظـوا بالقوة الاقتصاديـة والعسكرية التى تعتبر ضـرورية لحمايـة مصالحهم فى مواجهة هذه الحضارات .

وكانت ركيزة هذه الحضارة الغربية فى منطقة الشرق الأوسط هى إسـرائيل فهذه الـدولة خلقت فى هـذه المنطقة من العـالم لتكون قلعـة وحصنا متقدمـا للحضارة الغربيـة ضد البربـرية . وهـذا هو قـول هرتـزل أبو الصهيـونية العـالمية وأول من نـادى بالـدولة اليهودية ونشـر هذا فى كتابـه بعنوان (الدولة اليهـودية) الذى أصدره فى عام ١٨٩٥ لم يكن هرتزل يهوديا مؤمنا بل يكن يبحث لليهود عن وطن كما يقال فإنـه كان ملحدا لا دينيًّا ولكنه كان يبحث للغرب وللحضارة الغربية عن نقطة الانقضاض على الحضارات الأخرى التى أسماها بالحضارة البربرية .

وهذا بالضبط هـو الذى أغرى الدول الغربية انجلتـرا وفرنسا

وألمانيا و إيطاليا وروسيا بمساندة الصهيونية العالمية وحماية إسرائيل ثم انضمت إلى هذه المجموعة بل تولت قيادتها الولايات المتحدة الأمريكية . الهدف من وجود إسرائيل إذن كما يتصور جميع هؤلاء حماية الحضارة الغربية ضد الإسلام والمسلمين .

وكان اختيار فلسطين لإنشاء هذه الدولة اختيارا عبقريا فإسرائيل فى هذا المكان تتمتع بموقع استراتيجى فريد على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا و إفريقيا وهى نفس الميزة التى تتمتع بها مصر.

كما أن إسرائيل ذات الموقع اقتصادى مهم فى قلب هذا الجزء من العالم الذى يحوى نصف بترول العالم عصب التنمية (بالمعنى الغربى) وهناك أيضا تلك الأسطورة اللاهوتية عن (شعب الله المختار) والتى تستخدم لتغطية أطماع الغرب فى الموقع الاستراتيجى والموقع الاقتصادى لإسرائيل ، وتضع تجاوزاتها بل وأخطاءها فوق أى قانون وأى عقوبة بشرية باعتبار أن كل ما تفعله هو تنفيذ لإرادة الله ، ولذلك فقد أصدرت الأمم

المتحدة ١٩٢ قرارا ضد إسرائيل لم تنفذ منها قرارا واحدا، إنها تعتبرها جميعها كما قال جميع رؤساء إسرائيل (حبرا على ورق)

وبدأ تسليح إسرائيل لتحقيق هذه القلعة التى تقف بالمرصاد للمسلمين والعرب، ثم تطور السلاح وأصبح قلعة نووية، وكتبت صحيفة هارتس الإسرائيلية فى يونيو ١٩٧٥ مقالا بقلم الصهيونى شلوموا هارمسون جاء فيه:

إن السلاح النووى هو إحدى الوسائل التى تستطيع إسرائيل أن تقضى بها على الآمال العربية فى تحقيق نصر نهائى على إسرائيل، فيكفى عدد محدود من القنابل النووية لتوقع الخسائر الضخمة فى جميع العواصم العربية، وتؤدى إلى انهيار سد أسوان فى مصر، وكمية إضافية من هذه القنابل سوف تمكننا من الوصول إلى المنشآت البترولية، كما أن فى العالم العربى آلاف الأهداف التى سيؤدى تدميرها إلى حرمان العرب من جميع المزايا التى اكتسبوها خلال حرب عيد الغفران (حرب ١٩٧٣).

ويصف جارودى إسرائيل بأنها جندى حماية البترول فى الشرق الأوسط لحساب أمريكا والغرب

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف أمكن لإسرائيل الصهيونية أن تنال مثل هذه الأهمية فى الاستراتيجية العالمية بحيث أصبحت تهدد السلام العالمى .

إن دولة إسرائيل ليس فقط مسئولة عن حماية الاستعمار الجماعى للغرب تحت الهيمنة الأمريكية فحسب ، بل إنها أصبحت بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية جزءا رئيسيا من علاقات القوى على الساحة الكونية متعدية بذلك نطاق الشرق الأوسط .

تحدث جارودى عن أمريكا وعن سيطرتها على الاقتصاد العالمى بمؤسسات استعمارية ، اقتصادية هى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والجات وتحث عن انهيار الفن فى أمريكا وتحوله إلى سلعة . فالموسيقى صاخبة والسينما تقوم على الجنس والدم ، والفنون التشكيلية سخيفة وساذجة ، وكل ذلك نتيجة لاقتصاد السوق والقيمة التى تعلو على كل القيم فى

أمريكا والمجتمعات الغربية ، وهى أن كل شىء معروض فى السوق ، كل شىء .

ومنها الذمم والضمائر والقيم معروضة للبيع وللشراء ولكل شىء ثمنه .

تحدث عن الأساطير الصهيونية قديمها وجديدها وفنَّدها تفنيدا واضحا ، وكشف عن الزيف والكذب فى كل ما قال به الصهيونيون . ووضع فارقا كبيرا بين اليهودية كدين اعترف به الإسلام ويعترف به المسلمون ، والصهيونية كحركة عنصرية سياسية هدفها السيطرة وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

ودعا جارودى إلى باندونج جديدة ، وكما كانت باندونج القديمة إعلانا لعدم الانحياز إلى أى من الكتلتين اللتين كانتا تتصارعان على المسرح العالمى ، فإن باندونج الجديدة يكون هدفها عدم الانحياز للقوة الواحدة التى تحكم العالم اليوم .

ويرسم جارودى برنامج عمل للعالم الثالث كى يحقق باندونج الجديدة .

تحدث جارودى فى أمور كثيـرة . تحدث عن الإسلام وكيف أنه الأمل للعالم كلـه فى الخروج من محنته الحاليـة ، ووضع لذلك شروطـا أن يكون إسـلاما حقيقيا كمـا نزل من السمـاء لا إسلام الإرهاب والضلالات .

رد جارودى علـى عشرات الأسئلـة ، وكان لابـد أن يتحدث فيما هـو قائم الآن بين العرب وإسـرائيل وكان لابـد من حديث خـاص بيننا وقـد كـان . وجلسنـا معا أسألـه واحصل منـه على إجابات واضحة عن كل ما سألته عنه .

سألته أولا عن اتفاقيات أوسلو بـاعتبارها الأساس لما يجرى الان تحت اسم السلام .

ورد جارودى قائلا :

أعتقد أن هذا ليس بدايـة عملية السلام لأن عملية السلام لا يمكن أن تبدأ إلا فى إطـار احترام القانون الدولى بـدءا من قرار الأمم المتحـدة الخـاص بتقسيم فلسطين ، لكـن يتضح من اتفاقيـات أوسلو أن الفلسطينيين لن يحصلـوا على أكثر من ٦٪ من الأراضى الفلسطينيـة ، أضف إلـى هـذا أن مسـاحـة الحكـم

الذاتى (البنتـوستات) يحاصـرها الجيش الإسرائيلى من نـاحية والطريق السريع الذى أنشأه أريل شارون من جهة أخرى، وليس ما يحـدث إذن بعملية سلام بأى شكل من الأشكال ، إنمـا هو وضع يذكِّرنـا بتلك الاتفاقيات التى فرضها هتلـر على المارشال بيتان عنـد اجتياح فرنسـا فقد اقتـرح هتلر على بيتان أن يتـرك له سلطـة الحكم الـذاتى على نصف الأراضى الفـرنسية بشـرط أن يقوم هو بمنع أى هجوم ضد القوات الألـمانية وهذا الاتفاق يشبه إلى حد كبير ما تفرضه إسرائيل على الفلسطينيين حيث يوافقون على وجود قوات شرطة فلسطينية بشرط أن تظل دولة إسرائيل فى أمان.

الفرق الـوحيد بيـن الحالتين أن بيتـان كان لـديه خيـار آخر حيث كانت انجلتـرا مستمرة فى الحرب وكانت الجـزائر لا تزال فرنسيـة وبالتـالى كان بـإمكان بيتـان استكمال القتـال مستعينا بالقوات الموجودة فى الجزائر وهذا بالضبط ما فعله ديجول .

هل يمكن أن تحقق هذه الاتفاقيات أهداف الفلسطينيين؟

من المؤكـد أن ذلك لا يمكن أن يحقق أهداف الفلسطينيين

كذلك ما الـذى يمكن أن يقدمه اتفاق وادى عربـة فهو استمرار المهزلة طبقا لنفس القواعد لذا فقد سعدت برفض الرئيس مبارك المشاركة فى تلك المهزلة .

هل تضع سياسة بيريز تصورا جديدا للشرق الأوسط؟

من الواضح أن بيريـز لا يطرح أى نظام جديـد وأريد أن أذكر بالمنـاقشة التى تمت قبيل الانتخابات بين ممثل حـزب الليكود ليبـراب أيول البـانـون و«يوسى بلين » ممثل بيـريـز فى جريـدة يديعوت أحرونوت اتفق «بلين » و «بانون» فى هذه المناظرة على الشـروط التى تخـدم (مصالح المسـتـوطنين العـامـة) وهذا هـو التعبير التى استخدمته الجريدة .

الفرق الوحيد أن البانـون ينادى بضرورة استقدام نصف مليون مستوطن آخر أما «بلين» فقد التزم بإبقاء المستوطنات الحالية مع الالتزام بضمـان الأمن والتنمية الشاملـة لها ، هذا يعنى إمكـانية التوسع فى المستوطنـات ، هذا ما أقره بيريـز حين أعلن «طالما عقد المستوطنون مهمتنا لكننا مع ذلك سنلتزم بحمايتهم فى كل مكان » كما أضاف أن التسويـة النهائية تسمح بالإبقاء على كل

المستوطنات. ليس هناك إذن خلاف جوهرى بين نتنياهو وبيريز فى هذا الصدد.

ذلك بالإضافة وفقا لما نشرته إحدى الصحف هناك أن حكومة العمل أخذت العديد من القرارات لمصلحة المستوطنات تفوق بكثير تلك التى أقدمت عليها أى حكومة من حكومات الليكود حتى ١٩٩٢، فعندما خرج الليكود من السلطة فى ١٩٩٢ كان حجم المعونة المخصصة للمستوطنات ٢٥ مليون دولار، بينما منح ائتلاف بيريز ١٤٠٠ مليون دولار لإنشاء طرق سريعة ووحدات سكنية جديدة، هذا خلاف المبالغ المخصصة لتعويض الخسائر التى يمكن أن تترتب على تنفيذ اتفاق أوسلو.

وتضيف الجريدة أن عدد المستوطنين فى ١٤ مارس ١٩٩٦ فى الأراضى المحتلة وباستثناء القدس الموحدة قد وصل إلى ١٤٧ ألفا (مقابل ١٢٢ ألفا) خلال السنوات الثلاث الأولى لحكم بيريز وذلك ما أكدته جريدة يديعوت أحرونوت وهكذا فإن بيريز لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون رجل السلام

القادر على حل هذه المشاكل، إن بيريز يقدم بأسلوب ـ النفاق ـ على نفس ما «يتلذذ» نتنياهو باقترافه فى العلن.

ـ ألاحظ أنكم تفضلون سياسة نتنياهو؟

نعم لأن سياسته توحد العرب. بينما أسلوب بيريز يخلق الأوهام، لذلك لا يمكن القول أن بيريز يخلق نظاما جديدا.

ومن المعروف أن حزب العمل منذ عهد بن جوريون وعهوده الأولى يؤكد أن قرارات الأمم المتحدة لا تعدو أن تكون حبرا على ورق، فهل يمكن القول بأن بيريز رجل سلام حقا؟

لا أعتقد أننا يمكن أن نقول ذلك عن الرجل الذى أدخل أكبر عدد من المستوطنين.

وما رأيكم فى بنيامين نتنياهو ؟

ــ أنا لا أعرفه ولكن كل ما أعلمه عنه أنه أتى من حزب جابوتسكى وشامي وبيجين إذن فهو خليفة كل أولئك القتلة المسئولين عن مذبحة دير ياسين وجرائم أخرى.

هل يمكن لهذا الشخص أن يحقق سلاما فى الشرق الأوسط؟

ـ لا يمكن طبعـا ، لقد جـاء لتحقيق كل مـا نـادى به أبـاؤه الروحيون أى مشروع إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات التى ستستند إلى تفتيت الدول المتجاورة وهى تضم العراق ، إيران ، سوريا ، الأردن ، مصر ، لبنان .

ـ وما هو دور الولايات المتحدة؟

إن الـولايـات المتحدة ليست معنيـة السـلام بأى حـال من الأحوال ، إن كل ما يهمها هو إبقـاء الوضع على ما هو عليه بل إساءة المـوقف ، كل مـا يهمها هـو البترول الذى يمثـل أساس التنمية الغربيـة والتحكم فى العالـم كله وهذا مـا يحقق مشاريع إسرائيل الحالية .

هل يستطيع الاتحاد الأوروبى أن يلعب دورا فى أزمـة الشرق الأوسط؟

ـ نعم لكن منـذ اتفـاقيـة مـاستـر يخت التى تنص على أن الاتحاد الأوروبى لايمكن إلا أن يكون الدعامة الأوروبية لائتلاف الأطلنطى وهـم أيضـا المستعمـرون القدامى ولكـن بعد الحـرب العالمية سقطت انجلترا وفرنسا وأصبحت الولايات المتحدة هى

القوة الوحيدة وكانت تملك نصف ثروات العالم. وبالتالى فإن أوربـا تستطيع بالفعل ولكنى لا أعـرف إذا كـانت ستجد القـوة اللازمـة لذلك ، فهناك ألمـانيا التى تمثل قوة حقيقيـة بل والقوة الوحيدة فى أوروبا ولكنها أيضا إحدى دعائم حلف الأطلنطى .

ـ إذا وصل الجمهـوريون إلى السلطـة فى الولايـات المتحدة فهل تعتقـد أن السياسـة الأمريكية تجـاه الشرق الأوسـط سوف تتأثر بذلك؟

لا أعتقد أن السياسـة الأمريكية متمثلة فى الحـزب والتعددية الحزبية والديمقراطية ما هى إلا مجرد أكذوبة. الحقيقة أن هناك حزبا واحدا ذا فرق كثيرة .

الفرقة التى تكسـب يستأثر حلفاؤها بالمنـاصب العليا ولكن السيـاسة هى فى الحقيقـة واحدة، الفـرق الوحيـد هو تـاريخ الحـزبين ، حيث إن الحـزب الجمهـوى كـان يحتل فى الأصل الجنـوب الـزراعى ، أمـا الحزب الـديمقـراطى فكـان يعبـر عن الشمـال الصناعى ولكن هـذا عهـد مضى مع تحـول الولايـات المتحدة إلى الصناعة .

ـ إذا نجح كلينتـون لن يكـون بحاجـة إلى أصـوات اليهـود

الأمريكيين وهذه هى فترة رئاسته الأخيرة فهل يمكن أن يتغير موقفه؟

مشكلة كلينتون داخل الحزب الديقراطى ليست أصوات اليهود فليس هناك سوى ٦ ملايين يهودى فى الولايات المتحدة وليسوا هم الأكثر ولكنه يحتاج إلى أموالهم و ٦٠ ٪ من الأموال المطلوبة لنجاح الحزب الديمقراطى مصدرها اليهود ، فإذا كان الرئيس هو كلينتون أو أى شخص آخر هذه ليست المشكلة وهم يحتاجون أيضا إلى إعلامهم وهو إرسال شركات هوليود وشبكات تليفزيون، كما أن ثلاثا من قيادات جهاز المخابرات الأمريكى من اليهود بل يمكننا أن نقول إنهم صهيونيون .

ـ إذن لماذا قلتم إن مصير إسرائيل هو الزوال؟

انا لا أتحدث عن زوال عن طريق حرب ولكن لأن كل الامبراطوريات القائمة على القوميات انهارت مثل امبراطورية نابليون وهتلر... وبالتالى فكونها مؤسسة على القوة يجعلها معتمدة اعتمادا كليا على الولايات المتحدة ،إسرائيل لا تستطيع أن تحيا ثلاثة أشهر بدون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية .

ـ ماذا تقترحون على العرب؟

ـ أعتقد أنه يجب أن يكون هناك وعى واضح فإن مصير فلسطين سوف يحد وليس فى فلسطين ولكن فى واشنطن وكما أن نقطة الضعف ليست القوات المسلحة فيجب أن نعرف أننا نهزم الصواريخ بالحجارة. الانتفاضة شىء جيد جدا يثبت من خلاله الشعب الفلسطينى أنه موجود وليس كما قالت جولد مائير أرض بلا شعب لشعب بلا أرض إذا فمن الضرورى دائما أن توجد هذه المقاومة المسلحة ولكن ليس بهذا الشكل ستحل المشكلة فى حالة مقاطعة العالم الثالث للولايات المتحدة لدفعها إلى الإفلاس.

وهكذا فإن الرأى الخاص بالسوق المشتركة سيكون عاملا مهما ، فإن ٨٠٪ من الموارد الطبيعية موجودة فى العالم الثالث فيجب أن تتضاعف العلاقات التجارية بين الجنوب والجنوب وأن تلتزم هذه الدول بمقاطعة جذرية لكل ما هو أمريكى سواء كانت منتجات صناعية من الكوكاكولا إلى الأفلام، وكذلك مقاطعة إسرائيل أعتقد أن هذا هو السلاح الوحيد المتاح حاليا.

المشكلة فى الوقت الحاضر إذن هى فى السوق العالمية لأنها مؤشر «تشغيل» وهو أسلوب الولايات المتحدة فى السيطرة على العالم ، وإسرائيل إحدى مكونات هذه السياسة .

فإسرائيل كانت دائما « رأس الحربة» للحضارة الغربية فى مقابل بربرية الشرق، لذلك فإن إسرائيل تلعب دورا رئيسيا تحدده دائما واشنطن حيث مبعث القوة .

قضى جارودى فى القاهرة أربعة أيام وعدة ساعات . . ألقى فيها محاضرتين وعقد ٧ ندوات ، حضر محاضرته الأولى ١٢٠٠ شخص من مختلف الأعمار والمستويات والثقافات والمهن والتقى بأساتذة جامعة عين شمس وبأعضاء اتحاد الكتَّاب ونقابة الصحفيين ورؤساء تحرير ومحررى صحف ومجلات مؤسسة الأهرام ومجموعة كبيرة من المثقفين تحدث ١٥ ساعة متصلة وأجرى عشرة أحاديث صحفية منفردة و ٥ أحاديث تليفزيونية و ٣ أحاديث إذاعية . . التقى بحوالى ألفى مثقف وأستاذ وكاتب وصحفى .

عاد جارودى وهو يحس أنه إذا كانت قد خذلته باريس فقد

احتضنته القاهرة وإذا كان قد فقد أصدقاء فى باريس وروما ولندن ونيويورك ومدريد وبرلين فقد كسب مئات الأصدقاء فى القاهرة ودمشق وبيروت وعمان وفلسطين وباقى عواصم الأمة العربية.

أيها الصديق الكبير:

لقد حللت أهلا ونزلت سهلا، قلوبنا وعقولنا تحييك فى مجيئك وفى عودتك وفقك الله ووفقنا جميعا من أجل قضية عادلة ليتحقق لها النصر بإذن الله.

كيف نفهم
موقف جارودى ؟

بقلم / محمد إبراهيم مبروك

إذا أردنا أن نتفهم موقف جـارودى من الإسلام لابد أن نسأل أنفسنا هذا السؤال : ما الذى ننتظره من جارودى؟

إنه من السـذاجة أن ننظر إلى جارودى ـــ تحت ضغط الواقع الفكرى المتردى عندنا ـ على أنه طوق النجاة الذى جاء إلينا من الغرب بعبقـريته ليعلمنـا حقائق ديننـا ويضع الحلول الفـريدة للمشاكل والتحديات التى تواجهنـا فى هذا العصر. وما لابد أن نعيه هو أن القيمـة الحقيقية لجارودى هى فى كونـه يمثل دلالة كبرى على مـدى سمو هذا الدين على كل الفلسفـات والأوهام البشريـة بل على كـونه يمثل أقصى الإشبـاع الذى تنشـده أكبر العقـول الفلسفية فى هـذا العصر، وأهم مـا يستطيع أن يقدمـه جارودى هو أن يكشف لنـا أسرار تطور رحلته الفكـرية العميقة من أجل الحقيقة حتى اهتدائه إلى هذا الدين؟

ولكن ليس لنا أن نطالب الرجل بما لا يملك ونحاكم مواقفه دون النظـر إلى وضعيـة ظـروفـه أو الظروف الفكـريـة لعـالمنـا الإسـلامى فى تلك المرحلـة إن جارودى حين دخل الإسـلام لـم نجـد فيمن قـابلهم أبـا حنيفـة أو ابن حـزم أو ابن تيميـة أو ابن

خلدون وهو الرجل الذى عاش عمره يناطح صناديد وأئمة الفكر الفلسفى فى الحضارة الغربية ، إن تقديم المشروع الحضارى الإسلامى يستلزم استيعاب الأصول الفكرية والتشريعية للإسلام واستيعاب المتغيرات الفكرية والواقعية المعاصرة من أجل امتلاك القدرة على استخلاص الحلول من هذه الأصول لتلك المتغيرات ، فهل وجد جارودى من يمتلك هذا فى كل المجالات؟

إننى لا أريد أن أفجر هنا الحديث عن أزمة الفكر الإسلامى المعاصر إن كان ـ إنصافا للحق ـ قد قدم هذا الفكر فى بعض المجالات كالمجال السياسى الكثير ولكننا لابد أن نعترف هنا بأن شحذ الجهود فى المجال السياسى أدَّى إلى التقاعس فى الكثير من المجالات الأخرى ومن ناحية ثانية فإن الفكر المؤسس سواء كان تابعا لأنظمة حاكمة أو كيانات سياسية محددة أدى إلى تطويق الفكر الإبداعى الحر ومن ثم تعويقه عن تقديم المشروع الفكرى الحضارى الذى يواكب المتغيرات الحادثة فى الواقع المعاصر والذى قد يختلف فى مضامينه مع

المضامين السياسية التى تحكم هذه المؤسسات .

إن الأمـر كبيـر وخطيـر جـدا ولا يناسبـه هـذا المقـام لكن المستخلص من كل ذلك أن اتهام جارودى للحركات الإسلامية المعاصرة بعدم تقديم المشروع الحضارى البديل اتهام ظالم فى جانب كبير منه وحقيقى للغاية فى الجانب الآخر، ولكنه فى كلا الأمرين اتهـام قائم على عدم استيعاب الضغـوط الخطيرة التى يواجهها الفكر الإسلامى المعاصـر وعدم الاستيعاب هذا يقابله عندنا عدم الاستيعاب لما وراء أطروحات جارودى الفكرية من غـرابة وتجـافى للكثير من الحقـائق الإسـلامية لأنـه على أبسط تقدير فإن جارودى الآتى من الغـرب لن ينجح فى تقديم ما لم ننجح فى تقـديمـه مـا لم نستطـع تقـديمـه نحن أهـل الفكـر الإسلامى .

إن سلفنا الصـالح كانت تحكمهم قـاعدة «إن القوم حـديثو عهد بـالإسلام » فى تحديـد مواقفهم من النـاس . أما نحن فلن نطالب هؤلاء الحديثى عهد بالإسلام بأكثر ما نطالب به أنفسنا ، إننى لا أنكر ما فى الكثير من أراء جارودى من خروج فى مسائل

مثل مسألـة الحجـاب أو التقـارب مـا بين الأديـان أو هجـومـه القـاسى على بعض علماء المسلميـن دون التهوين من مـدى خطورة جرأته فى تناوله مثل تلك الأمـور، وهو الأمر الذى تدفعه إليـه ذاتيتـه وشعوره بـدوره الـرسـالي كـواحد من أفـذاذ الفكـر العالميين لكننـا إذا تجاوزنا ذلك نظـرنا فى رحلة تطـوره الفكرى حتى اهتدائه إلى الإسلام لأدركنـا أن جارودى وجد فى الإسلام الحل الحقيقى لتلك المعادلة التى جـاهد طوال عمره من أجل الوصول إلى حلها وهى العمل الدؤوب وصولا إلى الجمع بين الإيمـــان ودفع الإنســان إلى العمل مـن أجل تحقيق كينـونتـــه الحقيقية فى هذا العالم وإنها المعـادلة التى حاول أن يجد حلا لها فى الجمع بين مـاركس وكيركجارد ولم ينتج عنهـا الانسجام الحقيقى داخله أو حتى على المستوى الفلسفى فى فكره.

لـذلك فإننـا نجـد فى اهتدائه إلـى الإسلام تمثيـلا لـذروة الاجتهاد البشـرى من أجل الوصـول إلى الصيغة الفلسفيـة لما يجب أن يكـون عليـه الإنســان وإن كانت الصـورة المعـاصـرة

للإنسان المسلم هى صورة مشوشة لما كان عليه منذ أربعة عشر قرنا، هكذا نستطيع أن نفهم جارودن .

محمد إبراهيم مبروك

حتى كتابة سطور هذه المقابلة كانت تفاعلات قضية «جارودى» لا تزال تستأثر باهتمام الصفحات الأولى فى صحافة فرنسا وخارجها بسبب ما أثارته من جدل وضع مرة أخرى «مصداقية الإعلام» الغربى أمام اختبار دقيق وكشفت لكثير من الفرنسيين عن مدى خضوع الإعلام الغربى للدعاية الصهيونية. الحملة على «جارودى» بدأت مع نشر كتابه الخطير «**الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**» وهو الكتاب الذى يكشف فيه جارودى عن عدم صحة كل ما قيل وكتب عن معاناة اليهود أثناء الاحتلال النازى وبشكل خاص لروايات عن غرف الغاز . بمجرد ظهور الكتاب انبرى له اللوبى الصهيونى فى الإعلام الفرنسى بحملة مكثفة من الهجوم على «جارودى» تتهمه بالخرف والعداء للسامية وتأييد ما فعله «هتلر» باليهود إلى آخر الإسطوانة المعهودة عند بروز أدنى شك فى التاريخ المروى عن اليهود. أو بالأحرى التاريخ الذى يرويه اليهود عن أنفسهم

والحقيقة أن كتاب «جارودى» كان يمكن أن يمر دون أن يشعر به المواطن الفرنسى ، خصوصا وأن الكتاب طبع على

نفقه «جارودى» الشخصية، بعد أن رفضت دور النشر المعروفة طبع الكتاب وتوزيعه ولكن الحدث الفارق الذى ألهب القضية هو انحياز الاب بيير الراهب الفرنسى العجوز الذى يكن له الجمهور الفرنسى قدرا كبيرا من الحب والاحترام، لموقف «جارودى» وحقه فى التعبير عن آرائه. هنا استعرت الحملة على الاثنين.. فالذى يدعم «جارودى» هذه المرة ليس رجلا عاديا بل هو راهب مسيحى يحظى منذ الخمسينيات بتقدير واسع من كل الفرنسيين الذين يعرفون مواقفه الاجتماعية ونضاله منذ الخمسينيات من أجل الفقراء بلا مأوى والذين تابعوه مرة أخرى ينتفض رغم ثقل أعوامه التسعين، بعد أن رأى عشرات من الفرنسيين يموتون على أرصفة باريس الباردة دون مأوى.

وعندما انفجرت قضية «جارودى» أبى الراهب المسيحى المناضل أن يترك صديقه «المسلم» جارودى وحيدا أمام «اللوبى» الصهيونى إزاء الحملة التى تعرض لها الاثنان.. لم يملك الأب بيير إلا أن يعلق على هذ الحملة قائلا: «إنهم سيتهموننا بالعداء للسامية وكراهية اليهود إذا قلنا إن مغنيًا يهوديا

يغنى بشكل سيىء».

المهم أن الحصـول على مـوعـد مع «جـارودى» لم يكن بالأمر الهين، فـالرجل دائب النشاط ودائم الترحـال من بلد إلى آخـر يحـاضـر هنـا وهنـاك رغم عمـره الـذى بـدأ يقتـرب من الثمانين. وكان عوننا على تدبير هذا اللقاء مناضل عربى تونسى وصديق قديم لـ «جارودى» تطوع لتذليل المهمة وبشكل خاص مكان اللقاء فـالمفكر الفرنسى لا يستطيع لقاءنـا فى مكان عام بعد التهديدات بـالقتل التى تلقاها بعد نشر كتـابه الأخير الذى فيه لأسس السياسة الإسرائيلية.

تم الاتفـاق على عقـد اللقـاء فى بيت «جـارودى» إحـدى ضواحـى باريس، واستقبلتنـا زوجته بـود «شرقى» وروح شـرقية تلمحها فى كل أنحاء البيت، بدءا من الحـديقة الكبيرة المرتبة على النسق الأندلسى بالأوانى النحاسية الشرقية المتناثرة فى كل أركان البيت وعلى كل درجة من درجـات السلم الذى قادنا إلى مكتب جارودى فى الدور العلوى، حيث استقبلنا « جارودى» بـابتسامـة كبيرة بعـد أن قدم كـرسى مكتبه لــ «السيد المـلاح»

قـائلا : « تفضل ستكون أنت عميـد هذه الجلسـة» ليستقر هـو على كرسى فوتيه «عريض» مستأذنا فى رفع قدميه ، فوق كرسى صغير شديد الانخفاض نظـر إلى إصابته بجلطات فى الساقين لا تمكنه من الجلوس طويلا وفيما يلى أهم ما جرى فى اللقاء .

● محاورة مع المفكر الفرنسى المسلم

رجاء جارودى

عن الإسلام وإسرائيل ـ والسلام

هنـاك عدو واحـد لهذه الأمة ولكل الأديان بل عدو للعلمانية أيضا ـ هو أمريكا

الدكتور / صفوت حاتم

أجرى الحوار فى باريس

الأستاذ / السيد الملاح

نقلا عن جريدة الشعب القاهرية.

افتتح «جارودى» اللقاء بذكريات دافئة عن زيارته الأولى لمصر عام ١٩٦٧ لقائه بالمثقفين المصريين فى جريدة «الأهرام» ثم لقائه الرئيس بالراحل «**جمال عبد الناصر** » بصحبة الكاتب الكبير «محمد حسنين هيكل » وروى لنا كيف قال له الرئيس **عبد الناصر**: إنه لولا وجوده هو شخصيا فى السلطة لكان هيكل قد استقر فى السجن لجرأة ما يكتبه . .

ومن جانبنا أثرنا أن نقدم أنفسنا للمفكر الكبير بالتعريف بنشاط «حزب العمل» التيارات الفكرية المشكلة له وتطوره السياسى ولجريدة «الشعب » وما تمثله فى الحياة السياسية المصرية .

ثم بدأنا حوارنا بالسؤال المتوقع : السيد روجيه جارودى قد يكون من المفيد أن نسمع منكم شخصيا كيف التقيتم مع الإسلام؟

الإسلام أنقذ حياتى

جواب : لقائى الأول مع الإسلام كان ذا طابع عجيب ، وأدين له بحياتى ، فقد حدث أثناء إقامتى فى الجزائر أن وقع تمرد فى

المعسكر الفرنسى الـذى أخدم به آنذاك . أصـدر على أثره قائد المعسكر أمـرا بإطلاق النـاس علىَّ وكان المنـوط به تنفيـذ هذا الأمر سرية من الجنود المسلمين الذين رفضوا تنفيذ هذا الأمر . . وعندمـا سألت قائد السريـة الجزائرى عن سبب تصـرف هؤلاء الجنود . . أجـابنى بأنـه لا يوجد سبـب وإنما الشرف العـربى يأبى أن يطلق رجل مسلح النـاس على رجل أعـزل . . وأعتـرف لكم بأنهـا كـانت المرة الأولـى التى أعرف فيهـا معنى «الشـرف العسكرى» بهذا الشكل ... وبفضل هـذا الشرف أنقذت حياتى وأنـا فى سن الثـامنـة والعشـرين بعـد أن أمـر القـائد الفـرنسى بإهدارها .

لقـائى الثـانى مع الإسـلام كـان بعـد إطـلاق سـراحى من معسكرات النـازى . . وقد بدأ اهتمامـى أولا بالثقافة الإسـلامية وليس بـالدين الإسـلامى وكان أول أعمالـى هو المحاضـرة عن «دور الثقافة الإسلامية فى الثقافة العالمية» عام ١٩٤٦ فى مدينة الجزائر قـرر على إثرهـا الجنوال «مـاس» طردى من الجـــزائر بتهمة «الترويـج لدعاية ناهضـة لفرنسا» ... هل تعـرفون لماذا؟ لأننى اقتطفت فى هـذه المحاضـرة مقولة لــ «أناتـول فررانس»

يقول فيها : إن أسـود عام فى التاريخ الأوروبى هـو العام الذى حدثت فيه معركة بواتييه التى اندحرت فيها الحضارة العربية أمام البربـرية الفرنسية . . ولقـد اندهشت حين أخبرنى الـرئيس عبد الناصر حينما قابلتـه عام ١٩٦٧ فإن الضباط الأحرار المصريين ترجموا هذه المحـاضرة فيما بعد وكانوا يتداولـونها ... هكذا كان اهتمـامى أولا بـالثقـافـة الإسـلاميـة وكل كتبى التى كتبتهـا عن الإسلام كتبتهـا قبل أن أعتنق الإسلام فكتبت «الإسـلام يسكن مستقبلنا» وكتـاب «وعود الإسـلام» إلى آخره ، لم أكـن مسلما ولكن كان لـدى إلمام كبير بالثقـافة الإسلاميـة وبشكل خاص الفكر الصـوفى والصوفيين الأوائل وهـو بالفكر الـذى استهوانى كثيرا ولا يـزال يستهوينى حتى هذه اللحظـة ، إن قرطبة عـاصمة الخلافـة فى إسبانيا أكبـر شاهـد على هذه الثقافـة التى لا تزال تجذب مئات الآلاف إليها كل عام . . مائة ألف زائر كل عام .

لاتزال الثقافة الإسلامية تجذب مئات الألوف

لقد كـانت قرطبة بحق هى عـاصمة الثقافة فى أوربـا . . خذ مثـلا الجـراحة ، لقـد عـرفت أعظم الجـراحين فى العمليـات

الجراحية والولادية وعمليات العيون ... إن كل الأدوات الجراحية التى استعملت فيما بعد فى كل جامعات أوروبا فى لندن وباريس وباليرمو ومونبلييه وكتبهم فى الطب كانت هى المراجع المعتمدة فى كل معاهد الطب فى أوروبا ونفس الشيء فى الرياضيات والفلك وكل العلوم كالبصريات والضوء مع ابن الهيثم الذى كان يعيش فى مصر وكل هؤلاء الذين طوروا المناهج والتجارب العلمية .

باختصار ما يسمى بـ «الغزو العربى» لم يكن غزوا عسكريا وإنما هو فتح للحضارة والثقافة أو إذا أردت الدقة «ثورة ثقافية» ... وإنه لمن دواعى سعادتى أننى أسمع ملك إسبانيا الحالى «خوان كارلوس » يردد مقولة «إن فترة الخلافة الإسلامية هى فترة عظيمة فى التاريخ الإسبانى» . وإن كانت الحقيقة تتطلب القول : إنها حقبة عظيمة فى التاريخ الأوربى كله .

هذا هو المظهر الثانى الذى جذبنى إلى الإسلام ، المظهر العلمى والثقافى .

المظهر الثالث الذى جذبنى إلى الإسلام هو جانبه الروحى

والصوفى وأنا دارس بشكل خاص للفكر الفلسفى الصوفى وقد كتبت أكثر من مرة أن الإسلام هو الذى أدخل مفهوم «وحدة العالم» مفهوم «الواحد الكلى» ... وهكذا أصبحت مسلما تدرجت من الإعجاب بالثقافة الإسلامية إلى «روحية الإسلام» ...

الإسلام فى خدمة الإنسان وليس لتدميره

إن ما يدهش الإنسان فى الثقافة الإسلامية وما يدهشنى أنا بشكل خاص أن الثقافة والعلم فى الإسلام كانتا دوما لخدمة الإنسان وليس لتدميره. . إن المناهج التجريبية والبحث العلمى والكشف الفلسفى الذى كان موجودا فى قرطبة كان لخدمة الإنسان وهدفها الأساسى البحث عن الحكمة وتطور الإنسان. على العكس من الحضارة الغربية التى تستخدم العلم لتدمير الإنسان كما فى اكتشاف الذرة والقنابل النووية ، الغرب كان دوما هكذا. . بينما العرب قدَّموا مفهوما آخر للعلم مفهوما يربط بين العلم والحكمة.

العلم ضالة المسلم

الشيء الثالث الذى يعطى الإسلام تفرده الخلاق هو أن الإسلام يرى أن العلم فى بحثه عن السببية . . لم يكن يعطى الأولوية لـ «السببية» المادية . كما أن الحكمة فى بحثها عن الوحى «النهائى» لم تعتبر نفسها «نهائية» ومن ثم كان «الإيمان . كان هناك حدود للعقل كما أن الإيمان لم يكن حدًّا للعقل ، على العكس كان الإيمان دافعا للعقل من دون حدود ... هذا هو الذى أعطى لجامعة قرطبة تفردها الخلاق .

الشيء الرابع هو ديمقراطية الثقافة التى انتهجها الإسلام فبعد اختراع الورق وأخذه عن الصينيين ثم تصنيعه فى دمشق ثم فى قرطبة ، فبعد الورق ثم تعميم الثقافة ولم تكن مقصورة على فئة معينة .

الديمقراطية الاجتماعية فى الإسلام

ثم هناك أيضا الديمقراطية الاجتماعية . . فأنا قرأت ماركس منذ عام ١٩٣٣ ، ما جذبنى فى ماركس ليس فلسفته ولكن منهجيته فى فهم «المبادرة الإنسانية» وعندما كنت أقول آنذاك : إننى مسيحى وماركسى كانوا يتهموننى بالجنون .

فى تاريخ الرأسمالية هناك منظران أساسيان آدم سميث وكارل ماركس كل منهما حلل الرأسمالية على طريقته . . والآن وبعد قرنين من الرأسمالية وصلنا إلى نتيجتين متناقضتين . . إن ماركس الذى درس جيدا آدم سميث وأعجب به قال إن الرأسمالية . . تصنع ثراء واسعا وتقدما تكنولوجيا هائلا ولكنها ستخلق ظلما اجتماعيا واغترابا للإنسان . . والآن من كان على حق آدم سميث أم كارل ماركس؟ بالتأكيد كارل ماركس ...

خذ مثلا الشمال والجنوب . . إن ٨٠ ٪ من المصادر الطبيعية موجودة فى الجنوب ولكن هذه الثروة مسيطر عليها ومستهلكة من قبل ٢٠ ٪ فقط فى الشمال والنتيجة الطبيعية لكل هذا أن ٤٥ مليون إنسان يموتون من الجوع أو سوء التغذية . . وطبقا لإحصاءات اليونيسيف هناك بينهم ١٥ مليون طفل . . هذا يعنى أن النمو على طريقة آدم سميث والفكر الليبرالى الذى يتبناه الليبراليون يعنى أن نموذج النمو الغربى يكلف بلدان العالم الثالث «هيروشيما» كل يومين . هل تصدق كل يومين . هذا يفسر لك لماذا كنت ماركسيا .

الإسلام دين الحوار

الشيء الأخير الذى جعلنى مسلما ، قلت من قبل الأسباب الثقافية والعلمية ، ولكن كان هناك شيء آخر يدهشنى فى الإسلام ، فعندما ترى اليهودية ترفض المسيح نبيًّا ، وترى المسيحية ترفض محمدا نبيا ، تجد الإسلام يعترف بأنبياء كل هٰذه الأديان . . على عكس ما يروجونه هنا من أن الإسلام منغلق ، تجد أن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى يتحاور مع الأديان الآخرى ويقبلها . دليل على ذلك أننى عندما انتقدت المتشددين المسيحيين فى كتابى «هل نحن محتاجون إلى الله» وعندما انتقدت المتشددين المسلمين والذين سميتهم مرضى الإسلام ، كان ذلك انتقاداً وبقى فى حدود الانتقاد دون أن يحدث أى شيء ، ولكن عندما انتقدت المتشددين اليهود والسياسة الإسرائيلية ، استدعوا البوليس (ضحك) .

لم تكن مناظرة حرة يبينون لى فيها ما إذا كنت على حق أو خطأ لا ، لم يكن الأمر كذلك استدعوا البوليس لهذا الكاتب ورفضوا الحوار.

أحد هـؤلاء كتب فى صحيفـة «اللومـوند» يقول: إنـه يجب عدم الحوار مع أشخـاص من هذا النوع، إنك إذا أعطيتهم حق الكـلام فسيكسبـوننا مقـدمـا.. أى اعتـراف!! مرورا بـالتأكيـد بتهـديـدات حقيقيـة بـالمـوت، ولكننى قلت ردا علـى هـذه التهـديدات: إذا كنتم تـريدون قتلى لإسكـاتى فهذا يثبت عـدم قـدرتكم على إعطاء الحجـة والـرد على، إنكم توقعـون بقتلى على فشلكم!!.

لماذا تراجع الإسلام؟

والسؤال الآن: لماذا لا يلعب الإسلام الـدور المأمول منه؟ ذلك يتطلب منا العودة إلى الأعـوام الأولى للهجرة وكيف انتصر المسلمـون العرب على الامبـراطـورية الفـارسيـة؟! لقد انتصـر العرب لأنهم استطـاعوا أولا تحقيق ثـورة اجتماعيـة عندمـا قرر القرآن أن المال مـال الله والبشر مستخلفون فيه ولا تـوجد ملكية لإنسان، الإنسان يدير هذا المال دون أن يملكه بل يحصل عليه بالعمل.

لماذا تراجع الإسلام إذن؟ تراجع المسلمـون عندما تغاضوا

عن كل هذه الفضائل التى جاء بها الإسلام والتى تكلمت عنها .
وكما يقول صديقى الفيزيائى المسلم «عبده سلام» إن القرآن يحتوى على ثلاثمائة وثلاث وخمسين مرة الدعوة إلى المبادرة الإنسانية أى أن هناك مغزى وهو تشجيع الإنسان على الاجتهاد، وهو الأمر الذى كان معمولا به . خذ مثلا : « أبا حنيفة أو الشافعى» هذان العبقريان عندما عاشا فى مجتمعات متغايرة ، أظهرا كيف يمكن أن يتغير اجتهادهما .

إن الشريعة تم تحديدها بشكل كامل ، لذلك ترى فى القرآن كيف يتحدث الله للرسول قائلا له : إنه شرع له شرعة إبراهيم وموسى وعيسى أى كل الأديان السماوية ، أى أن الشريعة كما يحددها القرآن هى واحدة فى كل الأديان السماوية أى أن هذه الشريعة هى المحدد الوحيد لكل شروط الاجتماع الإنسانى الله وحده يعلم ، الله وحده المشرِّع ، الله وحده يملك » هذه المفاهيم الثلاثة لا يمكن أن يفلت منها أى مجتمع .

ويجب التفكير والاجتهاد وعملنا كمسلمين هو أن نجتهد فى تطبيق الشريعة ، كما كان يجتهد العباقرة الأوائل كأبى حنيفة أو الشافعى ، إن دور المسلم الآن هو تأسيس «فكر إسلامى »

للقرن العشرين أو الحادى والعشرين كما فعلوا هم، إن دورنا هو تقليد «القدوة» وليس تقليد فتاواهم . . إننا لا نستطيع أن نجد لديهم حلاً لمشاكل الطاقة النووية ولا إدارة البنوك ولا وضعية المرأة الحالية . إذن من المبادئ المقدسة يجب أن نجد طريقنا فى فهم مجتمع معين ولحظة تاريخية معينة، هذا يا صديقى هو السبب فى تراجع الإسلام . . لهذا قلت : إن التشدد الإسلامى المتطرف ليس سوى مرض إسلامى عندما نخلط بين الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامى أى عندما نخلط بين القوانين المقدسة وبين التطبيقات التاريخية .

ما هدانى للإسلام

أنه يوظف العلم والثقافة لخدمة الإنسان وليس لتدميره على عكس ما تفعله الحضارة الغربية..

* سؤال : السيد روجيه جارودى : كيف تفسر الحملة العالمية لتشويه الإسلام بوصفه مرة بالتشدد والرجعية ومرة أخرى بالإرهاب . . إلى آخر بقية الاتهامات؟

جواب : منذ الحملة الصليبية وهناك تشويه للإسلام لايزال

قائما حتى هـذه اللحظة . خذ مثلا الأندلس لقـد أسموه «الغزو الإسلامى» ، وبالنسبة إلى فرنسا هناك حرب الجزائر ولعلمك لا يزال بعض الفرنسيين يعتقد أن الحروب الصليبية وحرب الجزائر لم تنته بعد ... والمسلم لأنه فقط مسلم يعتبر عدوا . . من قبل كان العدو هو الاتحاد السوفيتى والشيوعية . . الآن لم يعد هناك شيوعيـة ، كيف ينبغى إذن تبرير كل هـذا السباق على التسلح إنه الإسلام .

* سـؤال : هل تعنـى أن العـداء لـلإســلام أصبح ضـرورة أيديولوجية للغرب؟

تشويه الإسلام ضرورة اقتصادية غربية للتسلح والسيطرة العالمية.

جواب : إنه ضرورة أكثر من أيديولوجية . . إنه أيضا ضرورة اقتصادية لضمان دوران آلة الحرب والتسلح والسيطرة العالمية ، إننا ننتج سلاحا الآن أكثر مما كنا ننتج أثناء حقبة الحرب الباردة عندما كـان العدو هو الاتحاد السوفيتى ، إن الـولايات المتحدة الأمريكيـة تنتج سلاحـا الآن أكثر مما كـانت تنتجه أثنـاء حرب

الخيلج . يجب البحث عن شيطان، والشيطان الآن هو الإسلام كما كـانت الشيوعية مـن قبل ، الإسلام هو العـدو الآن. وكما سجنت فى المـاضى لمدة ثـلاث سنـوات لمجرد أننى شيـوعى بدعوى الإضـرار بمصلحة الأمة، نفس الأمر يتكـرر الآن بالنسبة المسلمين.

ولكن هنـاك شيء أود أن أنبـه إليــه خـاص بـالأصـوليين الإسلاميين. هناك نقطـة ضعف فى فكرهم. إننى لست مطلعا بشكل جيـد على أحوال الحـركـة الإسـلامية فى مصـر ولكننى مطلع جيدا على الحركة الإسلاميـة فى الجزائر وعندما أرسل إلىَّ الرئس أحمد بن بيلا برنامـج جبهة الإنقاذ الإسلامية لاحظت أنه برنـامج جيد علـى مستوى الرفـض: يقولـون مثلا: إننا نـرفض الهيمنة الفـرنسية وهم على حق ، يقـولون: إننا نـرفض الهيمنة الأمريكيـة، وهم على حق ، يقولون : إننا نـرفض أوامر البنك الدولى، وهم على حق. . ولكن لـلأسف لم أجد شيئا إيجـابيا فى البـرنـامج ، والانتقــادات جيـدة ولكن لا يـوجـد مشـروع للمستقبل. . ما الذى سيفعلـونه مثلا لحل مشكلة البطـالة؟ ما

الذى سيفعلونه لحل مشكلة السكن؟ ـ وهى مشكلة خطيرة فى الجزائر ـ نقط الضعف تلك تقلل من قوتهم. ليس كافيا أن نردد الإسلام . . الإسلام . . كما لو كانت كلمة سحرية ستحل كل المشاكل . إن الأمر يتطلب التفكير والاجتهاد، والإسلام يدعو إلى التفكير والاجتهاد. الإسلام يبين كيف نبنى مجتمعا متوائما مع شريعة الله.

* سؤال : نعود إلى موضوع كتابك عن إسرائيل ... ما الذى دعاك إلى كتابة هذا الكتاب ذى الطابع السياسى فى هذا الوقت؟

** جواب : ليس هذا أمرا جديدا علىَّ ، فلقد كتبت منذ كثر من خمسة عشر عاما كتاب «القضية الإسرائيلية ، ولم أكن قد اعتنقت الإسلام بعد، ثم كتبت بعد ذلك ، وبعد أن اعتنقت الإسلام، مؤلفى «فلسطين أرض الرسالات » ثم كان كتابى الأخير عن السياسة الإسرائيلية ، لماذا كان هذا الكتاب الأخير؟ سأقول لك لقد بدأت مشروعا نقديا عن التشدد الدينى . لقد انتقدت التشدد الدينى للبابا فى كتابى «هل نحن محتاجون إلى الله » والذى كتب مقدمته الأب « بيير» .

ثم انتهيت من كتابى «موقع ورحابة الإسلام» الذى سيصدر هذا الأسبوع والذى أنتقد فيه الاصوليين الإسلاميين الذين لا يحملون مشروعا للمستقبل ثم جاء الدور على المتشددين الإسرائيليين، وهو ليس نقدا دينيا، بالنسبة لنقدى للإسلام فأنا اعتبر نفسى منتقدا من داخله وبالنسبة لإسرائيل انتقدت السياسة الإسرائيلية وعلى المستوى السياسى المحض، وأنا اعتبر نقدى للسياسة الإسرائيلية يدخل فى باب الانتقاد للسياسة الأمريكية فإسرائيل ليست سوى ذراع لأمريكا تولت بدلا عنها إشعال خمسة حروب فى الشرق الأوسط بغرض إدماج كل دول الشرق الأوسط فى السياسة الأمريكية وللأسف الشديد هذه السياسة تلقى تأييد بعض الزعماء العرب.

* سؤال : كيف تفسر صمت المثقفين الفرنسيين إزاء الحملة التى تتعرض لها خصوصا وأن هؤلاء المثقفين انتقضوا من أجل حرية التعبير عندما أثيرت قضية سلمان رشدى منذ عدة سنوات؟

** جواب : إننى لا أعتقد أن سبب ذلك هو الجبن ولكن

أعتقد أن المثقفن الشرفاء لا يملكون القدرة على النفاذ إلى وسائل الإعلام بسبب النفوذ الصهيونى ...

* سؤال : الغرب يرفع شعار الديمقراطية ولكن عندما تأتى الديمقراطية بالإسلاميين فهو يتنكر لها، هل الغرب حريص فعلا على شيوع الديمقراطية فى البلدان الإسلامية؟

لا توجد ديمقراطية فى الغرب

** جواب : أولا لا يوجد هناك شيء اسمه ديمقراطية فى الغرب . إن الديمقراطية «الأثينية » كانت ديمقراطية العشرين ألف سيد فى مواجهة مائة ألف من العبيد الذين لم يكن لهم أى حقوق .

المثال الثانى الولايات المتحدة الأمريكية التى أعلنت ميثاقا لحقوق الإنسان والمواطن عند الاستقلال وأن كل البشر متساوون أمام الله ولكنها أبقت مائة عام على نظام العبيد للزنوج، فالديمقراطية كانت إذن للبيض وليست للسود .

ميثاق حقوق الإنسان الفرنسى : كل البشر متساوون أمام القانون، بينما الدستور يقول : إن من شروط الترشيح أن تكون

مالكـا ثروة معينة ، أى إنها ديمقـراطية للأغنيـاء وليست للفقراء لـذلك ليس عجيبا أن يكتب فيلسـوف كبير من فـلاسفة الثـورة الفرنسية هو «ديدرو» إن المواطن هو فقط من يملك .

ثم خذ أيضـا بلدا يعتبر نفسـه بلد الديمقراطيـة الأول يعترف رئيسه «كلينتون» أن ١ ٪ من الأمريكـان يملكون ٤٠٪ من الثروة القـوميـة وهـو تقـريبـا نفس الشـىء فى فـرنسـا . أين هى إذن الديمقـراطية؟ أين الـديمقراطيـة لعاطل عن العمـل ؟ إن ميثاق حقوق الإنسان العالمي عـام ١٩٤٨ يقول : إن البشر لهم الحق فى العمل ، ولكن يوجد ٣ مـلايين متعطل عن العمل فى فرنسا على الورق لدى الحق فى العمل ولكن لا يوجد عمل .

إن القـانون يعـاقب على سـرقة الخبـز، يعـاقب المليارديـر ويعـاقب العـاطل عن العمل . كل النـاس لهم الحق فى شـراء صحيفة أو تلفـزيون ولكن هناك المليـاردير وهنـاك العاطل عن العمل لهما حقوق على الورق ولكن ليس لها أى محتوى فعلى . هذه هى الـديمقراطية ، كل الديمقـراطيين هنا نادوا بديمقـراطية وانتخابـات حرة فى الجـزائر ، وقد كان حـدثت انتخابـات حرة

ولكنها جاءت على غير هواهم، وحصلت جبهة الإنقاذ على المقدمة ، وهنا أوقفوا العملية الانتخابية ثم قبل كل هؤلاء الديمقراطيين بالديكتاتورية العسكرية .

* سؤال : الإسلام السياسى يتخذ أشكالا متعددة فى السودان أو إيران أو تركيا . فى مصر الإسلاميون قدموا أيديهم للتيارات الأخرى كالناصريين واليساريين الآخرين فاستجاب لهذه الدعوة النصاريون وبعض فئات اليسار ولم يستجب لها العلمانيون وفضلوا التعاون مع قوم اليمين الأخرى بدعوى أن الخطر الأساسى هو خطر الإسلاميين. ما رأيكم فى هذا الموقف؟

على اليمين واليسار أن يتحدا ضد الهيمنة الأمريكية.

** جواب : الحقيقة أنه ليس لدى إلمام كاف بتضاريس الحركة السياسية المصرية، ولكن فيما يخصنى أنا أعتقد أن الأمر لم يعد أمر يمين ويسار أو علمانيين ومتدينين المسألة الأساسية : هل نحن مع الهيمنة الأمريكية أو ضدها؟ إن الشىء الذى يجب الاتفاق عليه هو الوقوف أمام الهيمنة الأمريكية .

أثناء الاحتلال النـازى لفرنسا لـم يكن هناك يمين ويسـار وعندما عارض الكثيـرون معاهدة «مـاستريخت» كان بجـانبى الجنرال «جالوا» وهو رجل ديجـولى وطنى من اليمين وساهم فى تحرير فرنسا وتـذكرت أنه أثناء الاحتـلال النازى لم يكن هناك يمين ويسار، كنت أنا مسجـونا فى سجون النازى وكـان هو طيار من قوات ديجول .

المسألـة الآن ليست العلمـانيـة أو الإسـلام وليست اليمين واليسار، هنـاك المصلحة العليـا للأمة وهنـاك عدو لهـذه الأمة ولكل الأديان بل وعـدو للعلمانية أيضـا هو أمريكـا ، وكفرنسى ودون تـدخل فى الشـؤون المصريـة ، إن الشىء الـذى يجب أن يلحم الجميع هـو النضال أمـام العـدو الواحـد، النضال ضـد الهيمنة الأمريكية .

* سـؤال بعد الإعـلان عن نجـاح الليكـود فى الانتخابـات الإسرائيلية، . . كيف ترى مستقبل عملية السلام؟

الانتخابات الإسرائيلية كانت بين قاتلين

** جـواب أولا: ليس هـذا سـلاما ، سيكـون هنـاك سـلام

عندما يخضع كل الأطراف للقانون الدولى، ولكن دولة إسرائيل كانت دوما خارج القانون الدولى، ودافيد بن غوريون قال ذات يوم عندما كان هناك حديث عن التقسيم: إن القانون الدولى ليس سوى خرقة من الورق لذلك فأنا لا أعتقد فى هذا السلام، يمكن الحديث حقا عن السلام عندما يتم إخلاء المستوطنات الإسرائيلية بالكامل، والفلسطينيون لم يستفيدوا سوى ٦ ٪ من أراضيهم، ومهندس هذه المستوطنات هو الجنرال أريل شارون مجرم صبرا وشاتيلا هذا المجرم هو الذى نفذ أتوستراد يربط المستوطنات بعضها ببعض ويعزل القرى الفلسطينية إلى «بانتوستان» كما فى جنوب أفريقيا، لا يوجد سلام ما دامت القدس ليست للجميع، سواء باقتسامها كما كانت من قبل أو وفق وضعية دولية لكل الأديان، ليس هناك سلام إذن. إن الانتخابات الإسرائيلية كانت اختيارا بين قاتلين: السيد شيمون بيريز مجرم مذبحة قانا، والسيد بنيامين نتنياهو والذى نظرا، لصغر سنه لم يشارك بعد فى أى مذابح وإن كان هو الوريث الشرعى لمذابح بيجين وشامير اللذين اعتبرهما مجرمى حرب

منذ كفر قاسم ودير ياسين ومنذ مشروع شامير بالتحالف مع هتلر.

إن الاختيار بين الاثنين هو اختيار بين منافق وبين كارثة.

* سؤال: سيد جارودى: هل تعتقدون أن حياتكم معرضة فعلا للخطر وهل هناك تهديدات فعلية على حياتكم؟

** جواب: نعم هناك تهديدات وهناك تحريض بالقتل ويمكن أن يتعدى أمر التهديد إلى التنفيذ الفعلى.

* سؤال: هل تأخذ السلطات الفرنسية هذه التهديدات محمل الجد وهل عرضت حمايتك؟

** جواب: على أى حال ليس معقولا أن أطلب من البوليس الفرنسى حمايتى.

* سيد جارودى: نشكرك على هذا الحوار الشجاع ونتمنى لك دوام التوفيق والنجاح فى نضالك الشجاع وقلوبنا معك.

«نقلا من جريدة الشعب عدد الجمعة ٢٨/ ٦/ ١٩٩٦م»

«شعراوى» فرنسا الذى تكرهه إسرائيل ويطارده اليهود



الأب «بيير» الذى يبلغ من العمر ٧٥ عاما والذى كرَّس وقته وعمره لمساعدة المحتاجين ومجابهة الظلم والبحث المضنى عن العدل الاجتماعى والذى بلغت شعبيته حد القداسة فى فرنسا، لم يستطع أن يتحمل هجوما شرسا قادته ما تسمى بـ «منظمات السامية» الفرنسية ضده فى الفترة الأخيرة بسبب وقوفه بجانب صديقه المفكر «روجيه جارودى» مؤلف

«الأساطيرا لمؤسسة للسياسة الإسرائيلية» الذى نفى فيها أسطورة حرق اليهود فى محارق النازى ، فقرر الأب بيير أن يترك وراءه كل مجده وشعبيته وأن يبتعد عن بلده فرنسا إلى إحدى دور العبادة المنعزلة فى إيطاليا فى محاولة لتضميد جراح غدر الزمن ونكران الجميل الذى عانى منه . شعبية الأب بيير الإعلامية التى توازى هنا شعبية الشيخ الشعراوى . بدأت منذ عام ١٩٥٤ وظل الأب بيير وجها من الوجوه الأعلامية و«النجومية» شديدة التأثير وظل هو شديد الانشغال أيضا بكل ما هو إنسانى .

لكن الوسائل الإعلامية فى فرنسا لم تنظر لشيخوخته ولم تذكر كل تضحياته . . وبدأت تطالب بتقاعده وتهدده بأقصى التهديدات . بعد إعلان تأييده «لروجيه جارودى» الأمر الذى اعتبرته وسائل الأعلام أحد «تخاريف » القس العجوز.

غير أن هذا القس العجوز لم يستسلم وبدأ فى هجوم مضاد ففى حديث له فى جريدة «لومتان » السويسرية قال الأب بيير : يجب أن تكون لدينا القدرة لكى نرى الحقيقة ونكشف المغالطات التى تم حشو عقولنا بها بما فى ذلك أن ضحايا هتلر

ليسوا فقط اليهود ولكن هناك ٥٠ مليون إنسان سقطوا ولا أحد يتكلم أو يسمح له بالكلام إلا عن اليهود فقط !! وفى هذا السياق أشار الأب بيير إلى نفوذ الحركة الصهيونية العالمية فى الغرب وفى وسائل الإعلام على نحو خاص وأعطى مثلا بالحملة المنسقة ضده وضد جارودى وتساءل بسخرية إن لم تكن هذه الحملة بإيحاء وتوجيه مباشر من الحركة الصهيونية فهل تكون الشياطين هى المسئولة؟!

أما القنبلة المدوية التى قذف بها الأب بيير فى وجه هؤلاء الذين أجبروه على هجرة وطنه فقد تمثلت فى قوله : « إن العهد القديم يخبرنا بأن اليهود أنفسهم ارتكبوا مذابح عرقية بشعة شبيهة بمحارق النازى التى يتحدثون عنها وذلك عندما دخلوا فلسطين فى القرنين الثانى والحادى عشر قبل الميلاد!!

«الفهرس»

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
تعقيب	٢١٧
ـ جارودى يلملم خيوط الشمس تحت سماء القاهرة	
بقلم / حمدان جعفر	٢٢٥
ـ رحلة جارودى وماذا أنتجت	
بقلم المستشار سعيد الجمل	٢٣١
ـ محاضرات جارودى ومحاوراته فى القاهرة	
أعدها / مصطفى عبد الرازق	٢٤٧
ـ محاضرة جارودى مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس ..	٢٥٥
ـ لقاء جارودى مع المثقفين والمفكرين المصريين	٢٧٧
ـ لقاء جارودى فى مكتبة القاهرة	٢٩٧
ـ محاضرة المفكر الفرنسى الكبير روجيه جارودى حول	
« الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»	٣٠٧
ـ جندى حماية البترول فى الشرق الأوسط	٣٢٤
ـ التشدد الديني وأسطورة « اليهودية المسيحية » حرب عالمية جديدة	٣٢٩
برنامج عملى ١ ـ بالنسبة للعالم الثالث باندونج جديدة	٣٤٣
ـ المقال الذى كتبه الكاتب الكبير سعد الدين وهبة بجريدة الأهرام تحت عنوان «إسرائيل عارية»	٣٥١
ـ كيف نفهم موقف جارودى ؟ بقلم *محمد إبراهيم مبروك* ...	٣٧٣

الموضـــوع	الصفحة
ـ محاورة مع المفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى عن الإسلام وإسرائيل والسلام	
جارودى : هناك عدد واحد لهذه الأمة ولكل الأديان بل عدو للعلمانية أيضا هو أمريكا	٣٨٥
شعراوى فرنسا الذى تكرهوا إسرائيل يطارده اليهود......	٤٠٨
الفهرس	٤١١

صــدر من هــذه السلسلــة

اسم الكتاب	المؤلف
١ ـ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية	رجـاء جـارودى
طبع ٧ طبعات ونفدت فى الحال	
٢ ـ د. جمال حمدان ـ صفحات من أوراقه الخاصة	الدكتور جمال حمـدان
٣ ـ آليات الاختراق الإسرائيلى للمنطقة العربية	الكتب الصحفى: مصطفى عبد الرازق
٤ ـ المسكوت عنه فى مذبحة «قانا» والهجوم الأميركى على بطرس غالى	دراسه للدكتور عبد الحميد صالح حمدان

طبع بمطابع
دار الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية - القاهرة
ت : ٢٩٧٣٨٧٠ - ٢٨٥٦١١٢٢

هذا الكتاب

جارودى.. شاهد على العصر

بعد أن أصدرت «دار الغد العربى» (٧) سبع طبعات من كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الأسرائيلية» الذى أحدث دويًا هائلاً على مستوى العالم كله وقد نفدت هذه الطبعات فى القاهرة وعلى مستوى العالم كله . . .

وكان لابد أن يحضر جارودى إلى القاهرة التى فتحت قلبها وذراعيها لفكره وكفاحه من أجل الحق . . لأن مصر بلد الحرية ترحب بهذا المفكر العملاق .

ويسعد «دار الغد العربى» أن تقدم هذه الطبعة الشعبية التى تقع فى ٤١٣ صفحه وهى تحتوى على كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ومحاورات جارودى فى القاهرة التى ناقش فيها مثقفى مصر ومبدعيها . . وقال فكره بكل حرية ووضوح . . .

إن الأساطير والحوارات كُلٌّ لا يتجزأ . . وهو يعرى حقيقة الصهيونية وادعاءاتها الكاذبة . . ويجعلها أمام العالم عارية بلارتو
إنه كتاب كل عربى فى الوطن العربى او عربيًا مغترباً العالم أجمع .

الناشر

حمدان جعفر

الثمن ٤ جنيهات